

أعراس المدينة

الفيضان

olin
PJ
7826
H67
A75
1985



CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



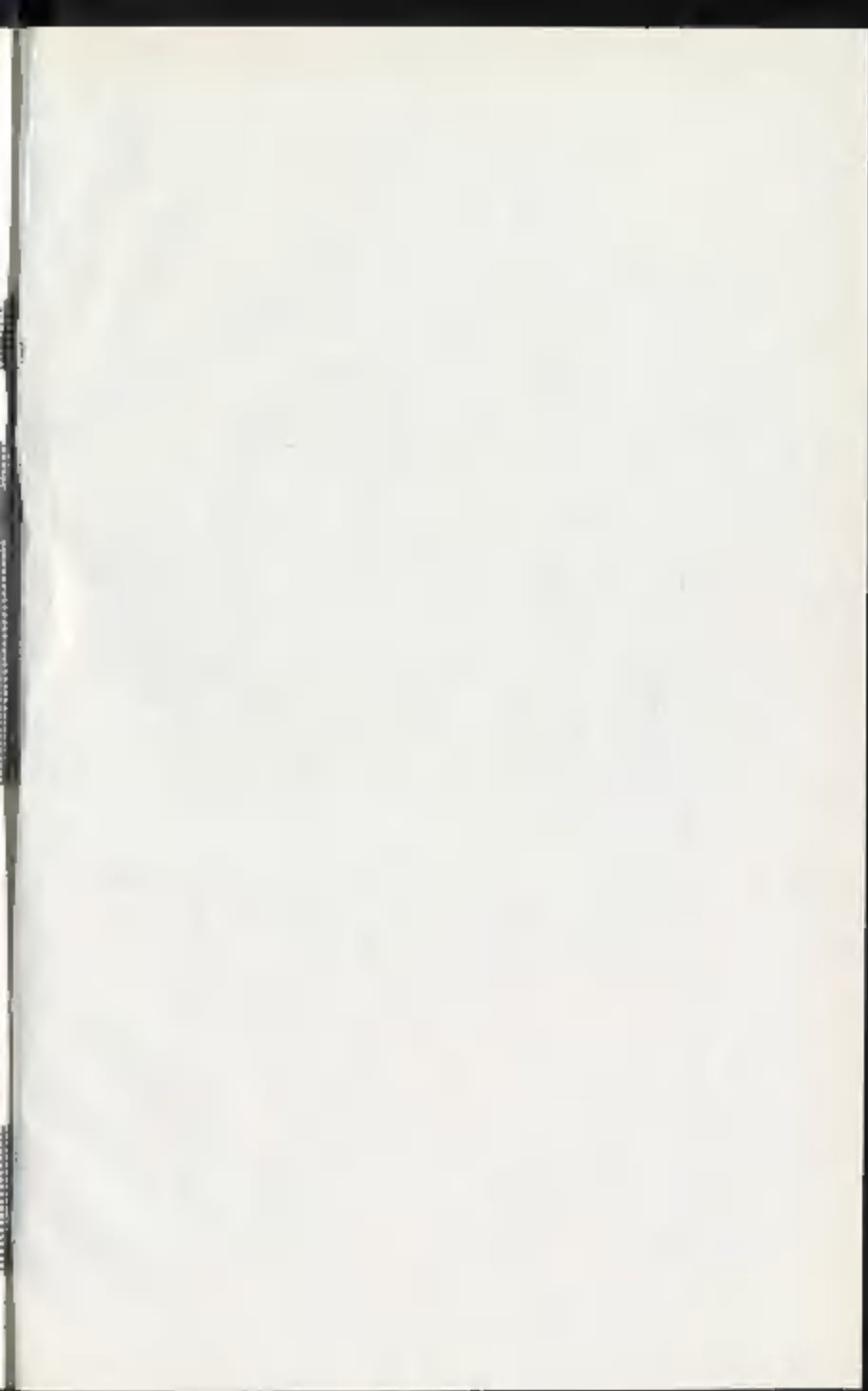
3 1924 059 098 008



حراس المدينة



قال الفيضاني



جمال الفيطاني

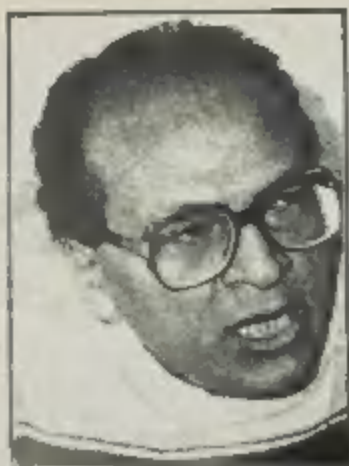
أحراش المدينة





الخلاف بريشة الفنان
الاستاذ حسين بيكار

سكرتير تحرير تنفيذي
والرسوم الداخلية • **معهده** **مكتبة**



تقديم

... أعمال جمال الغيطاني الروائية والقصصية . يعرفها العلم
ن . بعد ترجمة روايته ، الزيني بركات ، إلى الفرنسية وصورها عن
لوسوى العالمة ، ونقلها إلى عشر لغات عالمية أخرى ، بالإضافة إلى
عالمه الأخرى التي نقلت إلى مختلف اللغات .

منذ خمس وعشرين سنة بدأ الغيطاني مسيرته الأدبية ، بالتحديد في
عام ١٩٥٩ ، وبدأ نشر إنتاجه عام ١٩٦٣ ، وعبر هذه المسافة الزمنية
في الأدب العربي ، وأضاف إليه ، وفتح أمامه أفقا في التعبير
تطرق من قبل . لفت أنظار النقاد برواياته الخمس ، ومجموعاته
قصصية الست . من خلال إبداعه يبدو ككاتب متفرد الأسلوب .
تأثر بالتراث العربي ، بالتاريخ المصري ، بلغة المتصوفة ، أحياء
كألا فنية كانت قد هجرت ، الأزمة الماضية عنده سيالة متدفقة ،
هذه المخفريات القصصية التي يقدمها له ، كتاب اليوم ، تمثل تطوره
لال ما يقرب من عشرين عاما ، نقدم فيها أجمل ولرق ما كتب منذ
عام ١٩٦٢ وحتى أواخر السبعينات . مما يجعلها مجموعة بالغة
قيمة ، ممتعة للقارئ والدارس على السواء . . .

● كتاب اليوم ●

المحتويات

٥	● زيارة
١٠	■ أحراش المدينة
٢٢	● رسالة فتاة من الشمال
٢٩	● أيام الرعب
٥٧	● أرض . . أرض !
٧٧	■ وقائع حارة الطبلوى
١٦	■ حكايات الغريب
١٥	● القرام !
١٦	■ لا أحد في وداع المسافرين
٣٤	● كشف اللثام عن أخبار ابن سلام
٤٣	● دمة البلكى على طيفها منصف الشكى
٥٨	● صدر للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٥ / ٢٨٧٢

التقديم الدولي ٦ - ٠٩٨ - ١٢٤ - ٩٧٧ - ISBN



زيارة

كان الشارع الطويل يكاد يكون خاليا من الناس . وبين لحظة
أخرى تهب ريح من ناحية الجبل . فتثير دوامات صغيرة من التراب
الغبار والفضة تصطدم بجدران المنازل وأعمدة النور الفضية اللون
تسقط الملوحة القاتكة . كان الهواء جافا مليئا بنرات دقيقة من الرمال .
بينما اكتست السماء بلون اصفر قاتم . وفي الشارع تنبثق من الأرض
أبعاد متساوية اشجار قد تساقطت أوراقها وتعترت فروعها . . إنه
كان بعيد عن مخزن الترام . . ويقترب من مستشفى حميات
العباسية . . الذي يقع بعده مستشفى المجانين . . .

بعد مسافة ليست طويلة . اصل الى هناك . رائحة التراب الجاف
. . . إنها تملا انفي . . لها وخز نفس الرائحة التي كنت . .
. . . في تلك الليلة . . .

رقت فوق السرير . حملت عيناى في السقف . الظلام خيم فوق
الدينة . الليل خامد الانفاس . كثيف طويل . في انفي أزيز خافت
ينقطع لم ادر مصدره . كانت هناك اصوات الليل الغامضة . عواء
ب من بعيد . بكاء طفل . صوت لم يعلو . سكوت . صمت . دقت
ساعة جامت ابنى . وجهها شاحب . مليء بالحيرة . . .

— أبوك . .

— ماذا به ؟؟

— إنه على غير عادته . .

— كما حدث في الأسبوع الماضي ! !

— بل العن من ذلك . .

— العن من ذلك . . ؟ ؟

شعرت بقلق وتسربت الى اذنى اصوات غلغلة مرتعشة . لم اع
ما هي في بادئ الامر . وعندما استطعت ان ارى جيدا في الظلام
وجدته يجلس في السرير يحلته الصفراء التي رفض ان يخلعها عن
جاء من العمل . كان يرفع وجهه الى السقف ويحلق بعينين جاحظتين
ثم يعد على اصابعه . . ويقول خمسة عشر . . اربعة عشر . . ثم
عشر . . لم يبق في الشهر الكثير . . فيون ستسدد . . اول الشهر
الشهر . .

— فيونه ؟ ؟ اي فيون يا امي ؟ ؟

— إنه يفعل كما كان يفعل ايام بطاقتك . . اذكر . . ؟ ؟

— نعم اذكر . . إنه كان يقضى الليل ويحسب فيونه المترا
عليه .

لحق هذا الوقت كنت بلا عمل ومرتبتي ضئيل . .
يسند راسه الى يديه . . ويبكي بكاء خافتا . . ثم يهمس
ضاع . . ضاعت . .

— هل اذهب الى حجرته . . ؟ ؟

— تعال يولدي . . فانا لم اجيء إلا لهذا . .

ازدانت رائحة القرايب الجاف في انفي . لم الفكر . . مصدرها
الركن المظلم . خربشة فار . بلا شك . فار . دخلت الحجرة . صلت
الظلام . توقفت انظر ناحية السرير .

— امي . . لماذا تسهر حتى الآن ؟ ؟

— هيه . . نعم . . اه

— امي . . اقول لماذا تسهر حتى الآن . . ؟ ؟

— فيون . . احسب فيوني يا بني . . ثلاثة اربعة . . خمسة

عبد المنعم البقال . . على الجزار . .

— لكن لم يعد هناك ديون تحسبها .. فما الذى تحسبه ؟
صرخ قفز ، لوح بيده ..

— ابتعد عني .. ساغلط في الحساب .. الا يكفي انك عاطل ..
أخذت الشهادة . ولم تعمل .. فلماذا تريد .. ؟
— أبى .. ؟

— اذهب بعيدا عني .. قلت لك اذهب .. ساغلط في الحساب
الـ .. الجزار .. البقال .. صاحبة البيت ..

— لم يعد هناك ديون يا أبى ولم اعد متعطلا ..
— اذهب من وجهى .. انك متامر ضدى .. تريدون ان يقتلونى ..
الجزار .. البقال .. صاحبة البيت .. الـ .. الـ .. الـ ..

صوته يذيق سكون الليل ، منازل حارثنا مقلصة . اقل صوت
يجعل النوافذ تفتح والانوار تضاء والرعوس تطل ثم تسال ..

— ماذا هناك ؟ — من يتشاجر ؟ — من ؟
تستمر التعليقات ، ثم يعود الصمت تراجعت الى الخلف . سمعت
صوت بكاء أمى ، جسمها البدين يهتز ..
— يا خسارتك ..

— لا تيكى يا أمى ..
— لماذا لا أبكى يا ولدى ؟ هل هذه نهاية أببك ؟ .. مسكين ..
مسكين .. زمان .. زمان .. زمان ..

كنت اشرف على نهاية دراستى . بقى لي شهر ، احصل بعدها على
شهادة متوسطة . فجأة .. جأتنا اختى من الصعيد ، طلقت ،
ولادها ، زادت نفقاتنا ومرتب أبى ضئيل لم يحتمل ، من قبل كانت عليه
ديون كثيرة ، مرت شهر عسيرة جافة ، بين شهر وآخر يرحل الى القرية
البعيدة ..

— هناك في احضان الصعيد .. باع ما بقى من الأرض الضئيلة . ثم
عاد ذات مرة قال ، لم تعد هناك ارض لتباع . بدا يبدو شلدا ذاهلا

طوال النهار ، يعود من عمله يمسك ورقة وقلم ، تتمم شفتاه بارقام
كثيرة ، هي قروش ، جنيهات للدائنين . خرجت فلم أجد عملا .
أصبحت في بطللة . . أختي لا تزال معنا . . أولادها أربعة . .
مسكين . . أبى . . ١١

خرج الى ذات مرة . بعد قليل غاصرت المنزل خلفه . وصلت الى ميدان
الحسين . . وقفت ذاهلا . . لمحتة . . يضع طرف جلبيته المهترىء في
فمه . . كان لا يزال يدور في الميدان . . ملطب الجبين ، زائغ العينين
يشير للناس بأشعارات من يده . . حنئ .
مسكين أبى . . اقتربت يوما منه . .

— ملك يا أبى ؟

نظر الى . لم يجب

— إنك تدور في الميدان . ولم تذهب الى عملك . .

نظر الى مرة أخرى . هبت ريح من ناحية جبل الدراسة . . ازداد
عابرو الميدان سرعة . أعمالهم تنتظرهم . حلق أبى في وجهي . انطلق
من أمامي فجأة اسرعت خلفه . فجأة اختفى . ابتلعه الزحام الكبير .
مسكين أبى . .

من أسبوع لا أكثر . . ١٢

كنت قد حصلت على عمل متواضع . سددت ديونه . في عصر يوم
جلست في المنزل . . كنت مرهقا . فجأة . . اندفعت امي الى صارخة .
مولولة .

— امي . . ماذا هناك ؟

— أبوك أبوك . .

— ماذا جرى له . .

— ساع من الوزرة التي يعمل بها . . جاء في الخارج . . يرفق

الكلام . . ويطلب رأيته . . حدث شيء . . حدث شيء

— أين هو . . أين . . أين . . ؟ ؟

اسرعت الى الخارج . . سماء معتمة تكسوها السحب الغلظ

النهار يحضر .. السطح الذى نسين فوقه بكر كتيب .. ولولت
امى .. صرخت امى .. قال الساعى الضئيل الجسد :

— انت عماد ابن الحاج حمن .. ٤٩

— نعم .. نعم ..

صراخ لا ينقطع ، تجمع الجيران ، بكاء اخفى ، قال الساعى ..
— قوى من عزك .. ابوك .. ارتفع الصراخ .. الاولاد انفجروا
بالبكاء .. راحت امى تقب جدار الفرفة الخشبي بيدها .. استمر
لساعى ..

— كان ابوك يجلس الى الوزارة يتمنم بشيء غامضة .. لست ارى
يا امى .. فجأة نهض واقفا .. رفع قبضته الى السماء مهددا
وصرخ .. ضاعت .. ضاعت .. اربعة خمس .. تسعة سبعة ..
عبد المنعم البقل .. يريدنى ان ارفع .. ليس معى .. اربعة
اولاد .. مطلقة .. كلن يهذى .. ويصرخ تكلمنا عليه .. ثم ..
صراخ .. صراخ .. جسد امى البدين يهتز .. ولولت اخفى ..
الجيران يتهايمسون .. الخبر ينتشر .. الريح اصبحت جالة ..
الرائحة تملا انفى ..
مسكين .. ابى ..

من بعيد لاح المبنى .. غبار .. ثواب .. امى المريضة الآن
للنزل .. الثراب الجاف ..
مسكين ابى ..

.. من بعيد لاح المبنى الكبير مرة اخرى .. اكثر وضوحا وحوله
الاشجار الجرداء الساكنة .. وازدادت خطوات عماد وهو يقترب من
باب الكبير الذى تزحم امامه الناس والباعة ..
حسنا .. مازال الوقت مبكرا ..

(١٩٦٢)



أحراش المدينة



كيف

جئت ؟ ؟ كم إشارة مرور عبرت إلى هذا
الشارع ؟ ؟ فجأة انتبهت إلى قدمي فوق
رصيف شارع سليمان . آخر طريق أنكره
جيدا . سور الازبكية . وقفت عند باعة
الكتب . لم أجد كتابا جديدة .
وعندما عبرت منتصف السور .

واقتربت من مدخل الحديقة استنشقت بقوة رائحة فول سوداني .
دخلت يتصاعد من مدخنة قصيرة . كتعت أنفاسي . . انحناءة الظهر .
أفهاما . الطرحة السوداء . والجلسة الطبية الهلجنة . وقفت خلف
شعة الفول السوداني . يد خشنة تقبض قلبي . درت حولها . ورفعت
وجهها فول يا بك ؟ ؟ . خيبة الأمل هي هي لا تشيب ولا تصغر .
عبرت إليها بحنين . لا نكفها وشم أخضر مثلث بلغت كاسي تقارب
خمسعين . أمي ليس لها شهادة ميلاد .

سألتها . كم عمرك يا أمي ؟ ؟ لا أعرف . قلت كيف ؟ ؟ قلت عندما في
بلدة لا تبلغ العائلة عن وليدها فنبقى بلاشهادات ميلاد .

أى حنين ملا نفسى لهذه المرأة بلشعة الفول ؟ ؟ لو سألتها من
بلدة أنت ؟ ؟ كتبت الفعل . كم عمرك ؟ ؟ اتعرفين أنك تشبهين أمى
انظرا نور إعلان لحر فوق واجهة متجر ثم اضاء . وحولت عيني
جيت الفول . تحمست جيبي . اه لو معى قرش زيادة عن حاجتي
لا شترت منها .

ارتفعت ضحكة بنت تسير خلفى . وتوقف شاب يتأبط ذراع فتاة
امام قترينة . عبرت إشارة مرور . وزمجر محرك عربة وصاح جنود
المرور . اسرع . . اسرع . . ظلت خطواتى بطيئة . وصلت
الرصيف . ولم اعتقد انها تبيع الفول ؟ ؟ لو يوجد سجل يحوى
اسماء البائعات كلهن . لو يوجد واحد كهذا . لذهبت إليه وبحثت
عن اسمها وإذا كانت تبيع . فأى شيء تبيعه ؟ ؟ التين الشوكى ؟
وتحتفل اصابعها شوك التين وانتزاعه آخر الليل بملقاط ؟ ؟ لا اظن
ربما البليلة ؟ ؟ لقمة القاضى ؟ ؟ ياه . هذه اشياء كانت تعدها لى انا
طبق لى التين . ولم لا تعدها للناس . بدلا من واحد عشرة ربما .
الحلوى املم مدارس الاطفال .

من ايام قمت مبكرا . وصباح شتاء غامق . انبعث فى الصمت صراخ
راديو حاد . ثم دقت ساعة ست مرات زينة بلردة عميقة كالشتاء .
هذه الدقائق استرد حريتى . ففرت من سربرى ولم أحدث ضجة لئلا
لا لوقف صاحبي الراقم بجوارى . خرجت . الجو بارد . برودة تلج
تلسع اطراف انفى وجبهتى وانفى . . وقميصى خفيف زمان . عند
كنت اقصر من طولى الآن . خمسة عشر سنتيمترا واصفر من عمر
سبع سنين . . تلقى بجسمها البدين القصير .

لا تخلع ملابسك الثقيلة . . الدنيا برد . .
فى السماء غمام رمادى متلاصق معتم . وقمم البيوت الصفراء
الهامة غارقة فى ضباب . . لم ار ضبابا اكنث ولا اشد من هذا الضباب
المخيم فوق القاهرة فى الصباح . ثقيل لزج كاللبن . . من بعيد اصوات

مخوفة مرتجفة . فكوت . باى مدرسة ابدا ؟ ؟ وبالليل قبل ان يتام قال زميلي . .

ابحث عنها لعلك اى مدرسة ؟ ؟ ربما تتبع الحلوى للصغار . .
لو البسكويت . يوجد عدد كبير من المدارس في الحي . . ٢٢

اقلن سبعا . . تسعا . . معظمها مدارس ابتدائية . . وعلى العموم اسأل . المدارس هنا حوالى ولزقة . الشارع خلل الصباح إلا من بعض العمال يسيرون بسرعة . عندما كنت اعمل في ذلك المصنع . تبدأ النوبة . في السابعة صباحا . بالنسبة للسيدات والانسات . ها . وهل اسمهن سيدات ؟ ؟ سيدات ؟ ؟ اما الرجال فالساسة والربيع اقصى حد بعدها الدقيقة بربع يوم . لم يخصم منى مليم واحد . امى توقفتنى في الصباح . على الرغم من البرد . برد الشتاء . عربات الفول تفرقع عجالاتها الخشبية فوق بلاط الشارع المضلع . وبعض الفوانيس مضاءة . نورها يسيل . شريط رفيع مختنق من الزيت في يوم الجمعة بالذات . زمان . انام حتى التاسعة . يوم الراحة لا توقفتنى . عندما اصحو . اقل في الفراش . مغمض العينين . افكر في الاشياء والاشياء . لشعر بها تقرب منى . . تمد يدها لتلمس جبهتي . وتراجع تهمس لنفسها : ليتم ويشبع نوما . وتعود الى جلستها . اه يا امى . اه لو رايتهم في السجن كيف تنهال عصيهم علينا لنقوم من نصف ليل الثلج . اى شيء كنت تفعلينه وقتئذ ؟ توقفت فجأة . مرقت سيارات عديدة ضخمة وجلس شبان على سور حديدى امام متجر . يعلقون حول اكتافهم بلوفرات صوف ثقيلة . شعرت بوخز البرد في جسمى . اهذى طريقكم لارتداء الملابس ؟ ؟ مد شاب يده وغمز فتاة . نظرت إليه بغضب متهتك . كم الساعة الآن . . اه لو معى ساعة . لن اسأل بنتا . . فنظري لن ياتى لي بالرد . رجل انيق .

— كم الساعة من فضلك ؟ ؟

— اه ؟ ؟ اه . . الساعة . . سيكس اشد هاف . .

مصرى ؟ ؟ كأنه يقول في يابن الكلب . . اشد هاف ؟ ؟ لو عندي القشرة على الضحك لاستقيت على قفاى . والله حول رقبته سلسلة . لم

يتبقى الكثير على القهوة . لن نفكر فيه . . كيف تعثر على امك والاف منه
موجودون هاهنا ؟ القهوة . لم يبق عليها الكثير . نالت الساعة يومها
سبع دقائق ، نرت على مدارس الحى واحدة بعد الاخرى . بدأ الطريق
يمتلئ بالصغار . وجاء بائع كشرى وبيئع حمص شامى . التفت حولهما
الصغار . رحت لراقب وابحث . اقتربت من تلميذ صغير امام مدرسة
اخرى فى حارة بعيدة . . يتشاطر . . الا تاتى الى هنا بائعات ؟ ؟
اي بائعات ؟

.. نساء عجائز يبعن اى شيء . . لمن عجائز تملأ . . حلوى . .
يوم . . اقم تر واحدة قصيرة فى وجهها وشم اخضر .
رفع راسه . وخفق للبنى كما لم يخفق ابدا . ملامحه بها شيء
افنك واحدة ضلعة منك كالتي تصفها ؟ ؟
نعم . . ابحت عن واحدة مثلها . .
قل الصغير :

.. فى هذا المكان . . بجوار سور الجامع . . هذا السور الحديدى . .
كانت تجلس امرأة . . اتقول إنها قصيرة ؟ ؟ كانت طيبة ولا تضحك
على احدنا وتوصى بى عندما اشتري منها الحلوى و
— اين راحت . . اين . . اين ؟

اين راحت ؟ ؟ طردها شيخ الجامع مرة . رجعت ثلثى يوم . .
جلست هنا مكان واتولى نعم هنا . . مرة واحدة . . اه . .
وعندما رجعنا من الاجازة لم نجدها . . لكن والله سالنا بعضنا
عنها . . اه والله العظيم . .

— اقم ترها فى شارع . . ميدان . . حارة ؟

حارة ؟

قال عم اسماعيل بائع الفول . حارة الوطويط . . اتعرفها ؟
طبعاً . . مررت بها كثيرا . . رايت هناك امرأة . . ترتدى ثوبا اسود
تجلس باستمرار . .

حارة الوطواط ؟؟ ضيقة . مبلطة .

قال صاحب دكان الورق الواقع بالقرب منها . . في هذه الزاوية .
رايتها كثيرا . صامتة مخمضة العينين . ترتدى دائما ثوبا واحدا
لا تكلم احدا ولا يكلمها احد . ويقول محمد فراش هذه المدرسة انه
سمعها تيكى في ليلة سوداء هطلت فيها الامطار واظن اننى لم ارها بعد
ذلك . سألت باسى بعد هذه الليلة ؟؟ قال نعم . الا تعرف اين راح ؟؟
قال لا لدرى ربما تجلس حول سيدنا الحسين . فالتجنوبات ينمن هناك
بستمرار .

قلت وهل بدت عليها علامات المجانين .
اجاب : بصراحة والله ابدا لم تذكر شيئا ابدا . . ولم تسال هل انت
صحفى .

قلت ابدا . لست صحفيا . .
دبرت حول الحسين اين انت يامى ؟؟ نساء يلبسن ثيابا بيضاء
وخضراء ومن كل لون . سألت عامل مقهى . قال لا اعرف . سألت خادم
الجامع . قال لم ارها . سألت . ودبرت . الصمت .
اهكذا ؟؟ اهكذا يامى ؟؟ تذهبن ولا لدرى اين انت ؟؟ خطباتك
وصلتنى بالعقد هناك . ثلاثة . احفظهم !! جيبى . اه لو اعرف من
كتبهم لك . خمس سنوات ظلت لرى المغرب فيها اصفر كلون الرمل .
السجن بسطة رجل مسلول في صحراء واسعة مخيفة . في وقت الراحة .
اجلس ورأسى بين يدى . اخاف عليها . اى شيء تفعله الآن ؟؟ كيف
تعيش . وتفكر ؟؟ وهى التى لو وضعتها على راس الحلة لاتعرف
طريقة العودة الى البيت ؟؟

ويقول زملائى لا تشغل بك ألم تقل إنها تعرف حياكة
الثياب . . ؟؟ وربما ذهبت الى اقربها . وتتزلق الشمس مخفية وراء
الافق . ويسودنا سكون كثيب . ويجلس فوقنا الصمت . والورقة
ما زالت مدلاة !! يدى . ويرتفع صوت زميل مؤثما خلفا . اتعرف ؟؟

اشعر بها . إنها امي . لم يكن لي ام طوال حياتي . لم لهما . . ان قلبي
 على امك لا يقل عنك . . اسمع لي . ويقول لآخر : اننا نحبها . . بعد ان
 نخرج لا بد ان نراها . . ولم اجدها . ام لو تعرفون اين هي
 الآن ؟ في اى عمارة . شقة . حجرة . في هذه المدينة الهائلة المتوحشة
 الضيقة ؟ فوق اى رصيف ؟ جدار ؟ بلاطة ؟ تاكل ؟
 تشرب ؟ تشعري ؟ تعرف اننى خرجت ؟ لكن لا بد ان اعثر
 عليك . لا بد . لا بد . ساصل اليك مهما كان الزمان . . وفي اى مكان .
 ساسند راسي على قدميك . وتعبلين باصابعك في شعري . الشمس فوق
 السطح . وحولنا الدجاج . اى ايلم بعيدة هذه ؟ داخلة مضيضة
 حزينة . لا تخلو ساعة من صوتها . . اه . . هل اصدق نفسي . .
 اصدق انى تشاجرت معها في يوم . بل في يومين . الا اكثر من مرة
 ومرتين وبكيت . وضربتني . وبكت هي عندما خرجت ملثما على وجهي
 الى باب النصر متصورا اننى ساصل عند شواهد قبوره الى نهاية
 العالم . خرجت ورانى . علمت بي الى البيت . انا لا اعرف الآن كيف
 اجدك وارجع بك . ام لو رايتك فجأة تبين وسط الناس حتى لو
 شحاذة . لو اى شيء . فقط اعثر عليك . اى فرحة ستغمر وجهك
 الطيب . ربما . . ربما لحظها العمى في هذه السنين . استشعري ؟
 ستشعر بوجودي . .

عندما عبرت ميدان الحسين . لم اصدق اننى اعيش . لم ار شيئاً .
 اصوات الجارات وهن يتحدثن معي . واقف امام الحجرة الضيقة التي
 ضيقنا . شعرت بما حدث عندما فتحت باب غرفتنا شابة صغيرة . اى
 شعور مزلفي ؟ فانقطاع الخطبات سنين نذير النذير .
 امي . . اين امي . . كنا نسكن هنا . . اننى هنا من سنين . .
 ثلاث حولي ربما نسيت البيت . لكنه هو . هربت الى اسفل . خرجت
 جارتنا القبيحة روحية . البيت إذن هو البيت . والمسكن . والحجرة .
 والركن . . لكن امي ليست فيه . . لآخر مرة رايتها عندما جاء بعض
 الجنود من القسم وفتشوا البيت بعد ذهابك بشهور وسمعناها تبكي . .

ولم يخرج احد منا . فكلنا نخاف منهم كما تعرف ولم نسمع صوتها بعد ان ذهبوا . .

.. الم تريهم عندما نزلوا . . ربما اخنوها معهم . .
.. لا . . نظرت من وراء النافذة بعيني . . كان معهم صاحب البيت
وكتب اظنها لك . وفي الصباح طلعت الى السطح وناديتها فلم اجدها . .
كان الباب مفتوحا . .
.. والاثاث ؟ ؟

.. يا عيني عليها . . وهل بقي لاثاث ؟ ؟ كسروا السرير وطردوها
اكثر من مرة . . بعيتي رايتها تنام على بلاط السطح . واخذتها عندي
اكثر من ليلة . . الاثاث ؟ ؟ باعت منه جزءا وكسر منه جزء . .
الاثاث ؟ ؟ ضربتموها ضربتموها ؟ ؟ ياكلاب . . الرقيقة . .
البسيطة . . الطيبة القلب . ثم طرقتوها ونالت على بلاط السطح . .
وصاحب البيت الجبان . اتعرفون ما الذي جرى لها ؟ ؟ اتعرفون ؟ ؟
اهذه تحتمل ضربا ؟ ؟ جسمها خلق للضرب ؟ ؟ فتفخر طوال عمرها ان
ابى حتى موته لم يرفع لى وجهها كفا . لم يضربها بعصا . وتجيئون
انتم لتضربوها . وانا اعرف ضربكم . . ياه . . كيف احتملت ؟ ؟ كيف
بكت ؟ ؟ كلكم السبب . اه لو اعثر عليك لاعوض لك ما فلت . . طيعا
ازدادت كبرا على كبر . في يوم تمددت على السرير بعد عودتي من
المصنع . اعدت لى الطعام . اى طعام اعدته لى يا امي ؟ ؟ وضعته
فوق السرير . جلست صامته بجوار الجدار . اشعر بنظراتها . تطول
مدة . . وتتندد ثم تطرق براسها . ويصرخ طفل فى الحارة . وتصيح
امراة تقادى ابنها وترفع امي عينها الى السقف . وينبعث صوت راديو
من بعيد . فى ايام الفصيل تغنى :

« انور على راح منى . . يوم واحد سمعتها تغنى . على بلد
المحبوب وينى . . لم تفصل ابدا فى ايام اجازتى . . عبت مبكرا
يوم ولم تكن انتهت من تنظيف البيت . رايت وجهها اصفر شاحبا . .
وعظمتا وجنتيها برزقا ياه . . لم لا تريحين نفسك ؟ ؟ »

ضحكت وكلما انظر اليها لا لشعر انهما غاضبة او حزينة . كانها
تفكر في اشياء حلوة بسيطة صغيرة . مصباح بضء وجهها . يومها
ادركت ان امي كبرت لم اشعر بذلك مطلقا من قبل . احسست انى وقعت
على اكتشاف هلال مريع امي كبرت ؟ ؟ اعوام واعوام . . خلال السنين
الخمس . كم زادت ؟ ؟ كيف اصبحت ؟ ؟ وجهها ؟ ؟ كل شىء يتغير .
وجهى به اثار الجروح . هل ساعرفها ام هى ؟ ؟ قلب الام دليلها .
دليلها . .

... انتبهت الى اننى لم اخذ نفسى عن لحظات طويلة . دفعت
الهواء الى صدرى . عضضت شفتى بقوة . وهؤلاء الناس . ايعرفون
اننى ابحث عن امي ؟ ؟ يضحكون اضحكوا يا ناس . سليمان السيب .
اكره كل ما فى هذا الشارع وما يحيط به من شوارع . حتى العطر الذى
يملا هواءه . انوار ميدان التحرير تبدو من هنا . اين هذه القهوة التى
يجلس عليها الموظف ؟ ؟ صاح بائع الجرائد سألته عنها . .
— امالك على الرصيف المقابل . .

لم اعبر الى الرصيف . . المقابل ما زالت اقف على الرصيف المقابل . .
للا . . ماذا ؟ ؟ ارجع بالفتدى خطوة . صاح عسكري المرور ومن ايام
وقع ضابط تحت ضربات زميل لك فى شارع قريب . وصفق الناس .
واندفعوا . واندفعت معهم . تغيرت ؟ ؟ واذا زادت السنين كثيرا
فكيف اصبحت ؟ ؟ ستزداد طيبة . وتعنى بى اكثر . تغسل قمصانى
احسن . تقتل البق وتطرده حتى لا يقاتلنى ■ نومي تبحث لى عن
زوجة . هذا ما سيصيبها من تغير . اه يامى . اه . لو حلقت فوق
البلدة كلها . اصرخ واسال ليعرف الناس ان اعز شىء عندي ضاح .
ايبحثوا معى عنها ويسالوا بعضهم . فى الغيطان . والقرى . والبلاد .
والمصانع . ويجدوها ابك ها هى . اصحيح لا يعرفون اين هى ؟ ؟ الا
تقول وجوههم انهم يعلمون ؟ ؟ ألم يقل الصبى ان بانعة طيبة لم
تضحك عليه ابدا كانت امام المدرسة ؟ ؟ وحرارة الطلويط ايعرفون .
ايعلمون . انن فلم لا يتكلمون ؟ ؟

... رائحة الصباح تحمل الى صبرى اللى . العشرة وما قبلها .
 ادور فى شوارع المدينة . الشمس لها طعم . وخطوات الناس .
 ومشيهم . والعربات . طعم مر عندى لم ؟؟ لا لى . ركبت
 السيارة . . المحصل يصيح بلا انقطاع . نزلت فى مصر القديمة . .
 ذهبت الى شونة الغلال . الفول والسمسم والذرة والقمح . هنا تجار من
 بلدتنا كانت امي تذكرنى دائما . ربما التقوا بها ربما عرفوها بعد ان
 اختلطت من حياتها فنظروا الى . شعرت لنى مخيف وتالمت . وتارجحت
 المراكب على النهر . وتناثر رذاذ خفيف وبدا الماء اسود داكنا . وصرخ
 عامل صعيدى من فوق صبرى . قل التجار .
 ... يسألتر . . ولم تجدها الى الآن ؟؟ جئت اليكم ابحت
 عنها . .

لم نرها . . لم نرها . .
 . . . مرت امرأة عجوز تحمل كيسا . . لوحوا بايديهم : ابتعدى الله
 يسهل لك . .
 ونظرت اليهم . صامتون . شعرت انهم يكتبون . راوها مرة مصادفة على
 الاقل . احسوا بها . ولو واحد منهم . واحد . هزوا رؤوسهم المعمة
 وقالوا . . ياخسارة . . بنت نفس . .
 عندما قمت ■ اكبرهم الشيخ فرج . .
 بحثت عنها ■ المستشفيات . .

... مضيت . اصوات العمل الصاعدة تتصاعد . . يحملون
 المراكب باجولة القمح والذرة . مضيت حتى بقايا بوابات المسطاط . ثم
 قم الخليج . ركبت الاتوبيس وسار بمحاذاة النيل . تذكرت موظفا
 يسكن بالقرب من باب اللوق من بلدتنا وتكرت اسمه كثيرا امامى .
 صنعت الى مسكنه . فتحت الباب فتاة بنظرة طيبة . قالت بابا غير
 موجود . قلت اين استطيع العثور عليه ؟؟
 بلليل فى هذا المقهى . .

مقهى مزدحم . تنعقد سحابات الدخان . لايد لن اجد . لست لى
 يعرفنى ام لا ؟؟

اسمه يوسف وموظف .

الشيخ فرج تلجر الغلال الكبير قال ابحتت عنها في اقسام البوليس ،
جارتنا روحية تلفت حولها ومصصت شفيتها . جاء جنود وفتشوا
البيت . سمعناها تبكى وفي الصباح طلعت ولم اجدها .

لم تجب روحية . واسال عنها انا في قسم البوليس ؟ لو شخص
اخر . يجوز اما انا ؟ ؟ يساعدونى انا ؟ ؟ يجدون لي امي انا ؟ ؟ ضابط
يبحث معي . انا كيف . من من ابعدني عنها وابعدا عني . من سنين
ومن سبها ؟ ؟ ابدا . ابدا . ابدا . اخر الدنيا . ولا البوليس . اول
الدنيا ولا البوليس . ملا نفسي انقباض مفلجى . ارتعش جسدى .
الشتاء البارد يثبت وجوده . امس سقط المطر في الصباح عبرت كوبرى
لصر النيل . ونظرت نلحية مبنى التليفزيون فوقه سحابة هائلة معتمة
وضخمة لها طبقات فوق بعضها . رحت اتاملها . لم نظرها كالكرنب .
مشيت . فتحركت . ولفت . عادت الى الثبات . ومن خمس سنين لم
اسمع صوت قطرات المطر على البلاط . تركت حارة النطاويط . الى
اين ؟ ؟ جبل يعصمنى من الماء . اى ماء ؟ ؟ اى جبل يعصمها في هذا
المدينة . نسيج المنكبوت . زمان سقط المطر مرات ومرات . تنبعث
رائحة طلاء الجدران . وتهمس امي . اخاف لن يتسرب الماء من
السقف . السلف القديم وعروقه خشبية . . اصطدمت كتفى بشباب .
نقلت الكتاب من يد الى يد اخرى . لم اعثر على كتاب واحد من كتبي بعد
خروجي . نرت في المقهى . اكره رائحة الدخان وتظرت الى كل الجالسين
حول المناضد . اين يوسف ؟ ؟ اين يوسف ؟ ؟ اقتربت من عامل
المقهى . .

— يوسف محمود الموظف ؟ ؟

— لم يجيء الليلة . .

خرجت متهللا . ضحك رجل بدين له كرش . لماذا لم يحضر ؟ ؟ ابنته
قالت له ؟ ؟ ربما كان موجودا في بيته ساعة سؤالي عنه . ولم يهرب
منى ؟ ؟ لم ؟ ؟ توقفت . يهبط النيل سريعا ثقيلًا . عندما يجيء الليل

اشعر بروحي تنسلخ مني . من التسعة الى السادسة . لا استطيع ان
اجدها حتى لو دارت تبحث عني . ساقبى وحيدا في السرير حتى يرجع
صاحبى من نوبة عمله بالمصنع . وينام . وقد لا انام . وفي الفجر يجيء
الجندي . يطرق الباب . يوقع في بطلقتي وينصرف . حارس الليل
والقمقم . ولا اعرف من يحرسها واين هي ؟ ويروح النفس ويجيئون
ويضحكون . وتحبك الايدي بالارءاف . مخلوقات شارع سليمان باشا .
كلنوا بشرا . لا يهمهم ان يعرفوا . عبرت اشارة مرور . انركت ان
الضوء ما زال احمر . لم اتوقف . في الصباح . قال صاحبى :

— اخاف اصارحك يا فكر تدور ■ متى . .

— قلها . . ما الداعي للخوف ؟؟

— لم تتوقع انها . . بمعنى الصد . . لمزالت تعيش . . ربما . .

— ها . . ملئت ؟؟

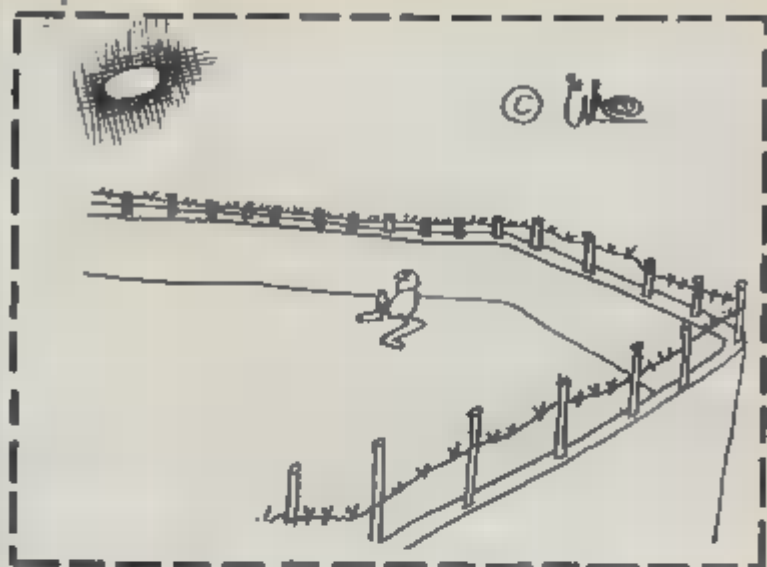
— ارجو ان لا تفضب مني ؟؟ اننى لرى إصرارنا معك ولكنى
أخشى ان يضيع مجهودنا . .

اطرقت . عندما توقظنى في الصباح تلج على في النهوض . الافطار
المعد . مع السلامة . القسيل والغذاء . والجرجير . رفعت راسى . نزل
الموقد تزداد اشتعالا . ■ الدور العلوى صاحبت أم تنادى طفلتها .
المصروف نسيتيه . نهض صاحبى وقل :

— هل ستخرج الآن ؟؟ ابقى قليلا اما انا لمساخرج . يلق ثلاث
ساعات على ميعاد عمل . . ساسال قبل دخولى المصنع ■ شبرا الخيمة
توجد عجائز . . ما اكثرهن !!

(١٩٦٤)





رسالة فتاة من الشمال

.. عبرت الأرض الساخنة

الصفراء . حرارة تخترق نعل الحذاء

الخفيف وتؤلم باطن قدمي . لم يقترب

موعد الغداء . عندما تتجاوز الشمس

منتصف السماء وتميل عنه . عندما

يزحف الظل الرمادي من أول عنبر للنوم

متسلقا جدران العنبر الثاني فثالث حتى الرابع . ينطلق

نغير الغداء . بجوار جدار حجري قصير لبناء فكروا يوما

إقامته ثم عدلوا . جلس أربعة زملاء .

قلت : هل انتهت مواعيد العمل ؟

قالوا : بطلقة قصيرة .

شعرت بمذاق شلحلب لابتسامة نامت فوق شفتي . .

قالوا : اخبرنا عن اصناف الاكل عنك . .

قلت : لا داعي . بالتأكيد عرفتوها وانتم تشمون الرائحة . .

احسست بالشمس فوقى وفوقهم وفوق الدنيا . . تجلف طعم الهواء

في انفي . سالوني عما اذا كنت ذهبت الى مكتب الضابط ؟ قالوا لك

خطاب . . ارتخت الشعيرات القصيرة لاهاب عيني وازدادت الظلال

قلامة والاسوار ارتفاعا . ولحظت صدى حزن رملي رقيق . . هل

تمزحون ؟

قالوا : وهل هذه امور نمزح فيها ؟

قال الضابط :

امتدت يدي واخذت الخطاب . خفيف . ورق شفاف . وضعته في

جيبى حتى بعد خروجي من عند الضابط . فلتقل هذه الحيرة . لحظة

غريبة . . لم اقراء بعد فوان من وضعه في جيبى . لم اتكلم على فتحه .

قبل قراءته لربت اجتيال فترة من التفكير فيه . في من سيكتب لي

بالانجليزية ؟ في اى شخص اعرفه يعيش في مدينة اختام بريدها غريبة

عنى مجهولة في . . من . . من . . منذ اول لحظة دست فيها بقلمي

الارض الصفراء . تنفست هواء الليل المسجون . من هذه اللحظة التي

مرت في يوم من ايام ستة انقضت وجرت وراعاها اربع سنوات لم تصلني

ورقة من قريب او بعيد . من عدو او صديق . ابني لا يعرفني . هكذا

قال . . انا برىء منك دنيا واخرة . برىء منك الى يوم الدين . . لا انت

ابني ولا اعرفك . . ولينفك الطريق الذي تمشي فيه . امي لا تستطيع

ارسال خطابات لي . لا تكتب ولا تقرا . لا تقرأ . لا تسمع . لا تتكلم .

لا تتنفس . . لا تعيش . لو كانت تعيش امي لارغمت ابني على ورقة

ولو صغيرة حتى كل شهر .

قالت امي مرة لا تضربه . هذا لا تعرف قيمته بالنسبة لي إنه

ابن عمرى لنا التى خرجت به من الدنيا . . ابن عمرى . . ابن عمرى .
جلست فوق حجر يشبه مقعدا تحتته الطبيعة . . على بعد بالقرب من
العنابر جنود يحومون كالحدادة . تصلبوا عندما عبر امامهم ضابط
يتجه الى مبنى الادارة الاتيق حيث الصناليق المعدنية تطل من الجدران
فتقر طعم الهواء بداخله . نفضت يدى . واخرجت الحروف الدقيقة
الرفيعة المثلثة . .

زميل في المطبخ . بحث عنى ولم يجدنى ثم رانى جالسا فوق
الحجر . . اسرعت اجرى واناديك . . ولم تلفت لى . . انت المسئول
عن المطبخ . المفروض ان تكون اول الحاضرين . . عندما ظلت صامتا
قال فجأة :

— بالخطاب شيء هام ؟

إهتز راسى ولم انتكم ولم يتكلم . وازدادت صفرة السماء عندما
دخلت الشمس الجزء الأخيرة من رحلتها . شعورى بالفراغ في اللحظات
السابقة للمغيب يشتد ويقوى مهددا الطريق لشعور بالضيق . يقوم
شيئا فشيئا كلما اسودت السماء . كل شيء حزين مثير للأسى . زملاء
يجلسون بالقرب من اسوار عالية تعلوها كتل من سلك لا ينفذ منه فار .
واكتباك خشبية مرتفعة على ابعاد متساوية يتحرك جنود بداخلها
يلوحون بيناتهم وكشافات . . ولا شيء إلا الصحراء .

اخرجت الخطاب وعدت اقراء . من بلاد بعيدة لا تعرف انت كم من
المسافات تفصل بينك وبينها اكتب لك . من بلاد سحيقة البعد في شمال
الدنيا ومن قرية صغيرة كل ما فيها يكتسى الآن بالبياض . لأن الشتاء
عندنا قد بدا منذ شهر ولن تقوب الثلوج قبل شهر . والحقيقة اننى
تعودت على رؤية الثلج . ولهذا انتلبتنى رغبة في الا يذوب . ولست
أدرى إن كنت قد رايت الثلوج من قبل ام لا . وعلى قدر معلوماتى
فبلادك دافئة . واى جمال في بلاد لا تختفى الشمس عنها يوما
واحدا . . الست معى ؟ — لماذا لا ترد عندما اناديك ؟

— ايذا . . اقرا هذا الخطاب . .

— بمجرد إنتهالك منه تغل بعد العشاء . سنغنى ونقول شعرا .

— طبعا ساجيء . .

— لا تنس نفسك . .

— استدار مبتعدا . وهب هواء بارد له ملمس على الوجه كالكتف .

بارد يلمس له البدن . فرقع كرباج من بعيد . . جندى يلهو . وارتفعت

مسحكات خالقة طواها الهواء وعبر بها الاسوار لتتوب في الرمال . .

وكم اود ان ترى تكسر الثلوج وذوبانها . وكم ارجب لو تسع فرقة

الجليد عندما يتحطم مع ثباتير الربيع . .

عدت انظر الى الاسوار .

ولمحت رائحة ارض يحرق وقالت امي :

« الجيران مساكين مثلنا يطبخون الارز بالزيت .

قلت هل تطبخه نحن بالزيت يا امي ؟ »

قالت : طبعا ومن هم الجيران ؟ الا تسكن في بيت واحد ؟ »

« اننى اسفة قد اكون المتك بهذا الوصف لذوبان الجليد . لاننى

مررت اناك مقيد . لكننى احترمك جدا . . ولا اعرف هذه المبادئ التى

يدوك من اجلها . وربما لا اميل اليها لكننى احبك . واحن اليك والى من

حك . فاهى شيء اعظم من ان يسجن الانسان لاجل مبادئ يؤمن بها .

فى فتاة من الاف بعش في بلاد الثلوج البعيدة عنك . ولن ترائى ولن

اصالح بالايدي . ولو لم اقرا اسمك في نشرة الجمعية التى انتمى

بها لما سمعت عنى ابدا ابدا . . كذلك لنا لا اعرف عمرك ولا سنك

لا اوصالك . لكننى اعرف انك لا تمشى في الشارع كما نشاء . ولا تاكل

ما يجب . ولا تنام كما ينبغي لانسان ان ينام . واعرف انك اذا رغبت

رؤية اهلك لن تراه . . كذلك صديقك لو زوجك .

نظرت ناحية عنابر النوم . نهضت ومشيت الى زملائي المتجمعين في

بنقة دائرية كبيرة . . نظرت الى الشمس التى ترحل كيوم انقضى . .

لها احمر غريب . كانى لم ارها الا اليوم فقط ولقد اتاملها . من زمان

في كتاب معلم القراءة كانت الشمس لها عينان ولف وفم . . كلامها
لكنها انثى . عندما مضى عشرون سنة لم امسك فيها ورقة . اقترب من
الضابط متمهلا فتقدمه نظراته الزجة الزيتية تلوث ألوهواء بالكتاب
— العسكرى ركة . . فما الداعي ؟

— لم تكن معي ورقة واحدة بها ما تخشونه . .

— نحن لا نخشى شيئا . . إذا ظننت أنك ستستمر على كذبك سناس

جلك ولرميك من فوق الصور الى الضباع . . وكتب وراح . .

لمعت العلامات الحمراء على يالتي قلند السجن . . شعرت بألم

والم في ظهري . كنت صلبة براقه كحذاء نكف بعناية والمتنى أصلا

قديمي . .

— طيب أنا معك انه لم تكن معك أوراق ، في أي شيء كان كل واحد

يقرا ؟

— في خطاب . .

— أقول في أي شيء كان كل واحد منكم يقرأ ؟ ؟

— في الرسالة . .

— كلكم . .

— كلنا . .

قال كلاما كثيرا . . قال كلاما أكثر . . أدار غطاء رأسه بين يديه

كلاما آخر أكثر من الكلام الكثير الذي قلته . والكلام الأكثر الذي قال

وقال في النهاية : زملاؤك اعترفوا بنوع الورق الذي كنت توزعه على

لو كنت تقرأ معهم . .

— أنت تكتب . .

أنا اعرف لسانيهم . . اعرف انهم لا يصدقون . . اعرف

ينبحون الفريسة ببطء . . أنا لترك انهم يريدون سحقى . لا

أوراق اسأل عنها ، صحت :

— كذاب . .

نظر حوله ثم الى الضابط الأقل رتبة . قذفني بالمحيرة . لم أعد

كف ثقيلة على عنقي واختلطت بشكل براق وصور لامعة امام
بني . قالت امي يا بني تعال اكتب لك حججا لانني اعرف الام
صداع . ومرت بيدها على جبينى . قلت لكنه يؤذى تسبب في بقم
ضياء امام عيني . ثم الم شديد في ناحية واحدة من راسي يا امي . .
سأضيق ثلاث مرات وصرخ في وجهي :

سأحرقك على نار عيدان الكبريت القوي منها . .

ويخرج صاحب السجن . . تلمع فوق كتفيه علامات حمراء وزخرفة
منه السنايل على غطاء راسه . البرد في سجن السجن . الحشرات
طبية الطرية ملمسها مقرز تحبو فوق سالي ولا اقرر على طردها .
والاعى ثقيلة متلفحة كقربة . اصوات احذية تروح وتجيء والليل
ينتهي ابدا . هنا لا توجد طاعة يدخل منها خيط من ضوء الشمس .
ت انسى الاحساس بطعم اشعتها . . في فناء المدرسة كانت سيقاننا
بعدة كعيدان الخيزران . وملابسنا ممزقة وقامتنا قصيرة ولا ناكل
الآخرين وتسقط فوق الفناء وتحاصر الظلال الرمادية اشعتها في
ع ضيقة نكتم فيها كلنا ويخرج الناظر . يبق الجرس . نعدو الى
بولنا . لا بد ان هذه البلاد البعيدة بها مدارس للصغار . للبنات . .
ولاد . . ومعلمة القرية ومعلمها . . بالتأكيد تلت تعليمنا جيدا
قارات وإلا لما استطاعت التعبير بمثل هذه البساطة . لا اعلم اين
خطاب الآن . . لا استطيع ان ارى واحدا من زملائي لاسائه . . ربما
هل خطاب اخر منها . . من استلمه ؟ ربما فحصوه بالاشعة وعرضوه
الحايل . هل تعرف هي ان كلماتها التي كتبتها في ليلة شتاء . . في ليلة
فيها العمال بعد يوم طويل من إزالة الثلوج خارج القرية . .
ناتها هذه تفعل ما فعلته ؟ ؟ ربما تجلس في هذه اللحظة الآن تكتب في
ة الثانية . . ولم لا تكون الثالثة . . ؟ . برغم ما يحيطني من ظلمة
مر كأنها تكتب لي وتكلمني . ربما خلفي . ربما امامي . ربما خارج
الدار . هل تعرف ساعي البريد في قريتها ؟ في بلدتها . . بلدي لمن
هل الخطاب الأزرق ؟ هل يعرف الناس الذين التقت نظراتهم بمنظراتي

عند توقف القطار بالمحطات الصغيرة والمحطات الكبيرة أين أنا الآن
كانهم في الخرج يملأون هذه الميادين الواقعة أمام محطات السكك
الحديدية ۞ المدن البعيدة والتي تزدهم بالحركة كلما جاء قطار ، وتظل
فجأة بعد رحيله يروحون ويجيئون يسألون عنى . . ربما يتقلب أبى
غراشه الآن إذا كان الوقت ليلا وربما يجلس خلف مكتبه أو يمشى
الشارع عائدا الى منزله لو كان الوقت نهلا . هل يذكرنى ؟ واصدقنا
والبعد الرهيب والثلوج البيضاء والسواد الذى يعقبه ضوء قلوب
مليون مليون شمعة ويحيل لحم الجفنين الى حمرة دامية مؤلمة
مزعجة . .

— سنقول كل شيء

— اليد تطلع ثم تنزل . .

— لا اعرف . . لا اعرف . .

اصواتهم كانتا ليست من هذا العالم . .

— سنقطع جسمك قطعا كبيرا في حجم حبة الفاصوليا . .

واليد تعلق ثم تهوى . .

الشوارع . . المطر . . المدارس . . الصحف . . المجارى . . البعد

يمشى والبعض يركب . . الدببة في ثلوج الشمال . . القرية في

الاستواء . . العبيد والعبيد . . يهمنى لن . . العبيد والعبيد

تصعد وتصعد . . الاف الاشياء تمر كشريط سينمائي اخقل عرضه

صاحوا وهروا الى الاحذية . . انفصلت كتلة عن السواد . . حامت

بيضاء ۞ راسى كالجليد كالبرد كالصقيع . . واليد تطلع . . تنزل

تعلق . . تهبط . . تلوح . . تصفع . . تهدد . . تلطم . . تطلع

تنزل . .

— سنقول كل شيء . . كل شيء . .

— لا اعرف . . لا . . وإن كنت اعرف فلن اقول . . لن اقول

{ ١٩٦٣ }

أيام الرعب

مفهوم بالكامل : محروس فياض سلامة .

تاريخ الميلاد : ١٩٤٥/٥/٩ .

ديانة : مسلم .

موظيفة : رسام بالمؤسسة العامة .

بجمل الإقامة : الجمالية ، نظر الطماعين .

رقم البطاقة : ٨١٦٦

نبيلة الدم :

بذبت هذه البطاقة ■ يوم ١٨/١١/١٩٦٨ .

... حارة الوطويط . البلاط المضلع . الجدران الرمادية المنتفخة
 بالطوبية . امرأة عجوز ترمش بعينيها . . بنت تمشي منمهلة تحت
 حايبتها الممتلئة بالكتب المدرسية . . اتحناءة خفيفة . عين
 جميلتان . . قشر قصب ملقى عند زاوية الحارة .
 التفت وراءه بسرعة . . .
 المنحنى الضيق خال . . لا احد . .
 صوت تلاميذ صغار من داخل المدرسة . يقرؤون في صوت واحد
 رجل . .
 صوت رابع لطالب صغير .
 امرأة . .
 مصلحة الدمغة والموازين .

بائعة الفجل أمام دكان عم محمود السمك . عند باب الحارة أيقظ
 خطواته . جامع سيدي مرزوق مفلق . لن ينظر وراءه . قضبان نا
 الضرب حديدية سمراء باردة كالهواء المحيط به . . انغمض عين
 بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . مالك يوم الدين .
 صبي صغير يخرج طوقا حديدا . بائع كرنب . رجل يرتدى ج
 صوفيا قديما . فتاة سمراء تعبر الطريق على مهل . لم تتوقف عيناها
 رديها . عض شفتيه .

منزل رقم . . . انتخبوا . . فريق النسر الذهبي يتحد
 الشواكيش . سينما الكواكب . هذا المساء . . إعلان قديم تاكل ورقا
 مربع رقم ٢٦ . قرن الحاج نصيف . .
 قبل ان يدخل المنفرة في الدور الأول . قبل ان يفتح الباب . قبل
 يخرج المفتاح . اطل من باب البيت القديم . رائحة غسيل يا
 يا حلو قوي . هل رأى بائع الخس من قبل ؟ هل صلبه في الح
 نعم . . نعم . . بالتأكيد . رائحة بصل يقلى في زيت . أم سيد ال
 تنشر غسيلها . قوميء براسها لمست عطيات . . الشرفات متا

تعبه . . وحدة العصر الشتوية وجو رمضان النهاري يغلف
بحارة . . صاحت لم يوسف . . يلبت . .
لا احد . .

تعمد بثيابه كاملة فوق السرير . كان الباب له راس وذراعان وعينان
قبيانه . قلم واقفا ليؤكد من إغلاقه مرة أخرى . . رائحة الرطوبة في
اله . . النافذة الوحيدة مغلقة . . لن يقف وراءها احد سبقت انتظار
فانس . لكن ا عندما يجيء الليل . . عض شفتيه . عد يده داخل
جacketه . . لكم يبدو مقزوف الخطاب الذي لم يصله إلا الامس



ولدنا الغالي محروس فياض . .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . بعد السؤال عن صحتكم
رفكم باننا طيبون لا ينقصنا سوى رؤيتكم . .
اما بعد . .

فما كنا تحب إزعاجكم . لكنك ولدنا ونخاف عليك كما نخاف على
واحدنا بالتمام . فنعرفك يا محروس لن عويضة طلع من السجن .
جمع عليه مهران ولد مخلوف وبالمثل الدال ولد الحويج . وعلمنا انهم
هروا مع بعض كلم مرة . وقال عويضة انه مدام ابوك مات ميتة ربنا
حمد الله ويرحمنا اجمعين . يبقى لازم ياخذ تاره منك انت . ابوه منك
ت يا محروس . . وحلف على مصحف انه لا يد يدور عليك ولو كنت
في الدنيا . وقام طلق دافنه . وقلب شال عماتته وحلف ما يحلق
يعمل الشال الا بعد ما يشرب من دمك . واتفق معه مهران والدال
مافروا من اسبوع قاصدين مصر . ولم يقرر راجل في البلدة ان يمنعهم
ت تعرف عويضة وهو على حق . نظر مشايخ البلد واكبرها . ونحب
منناك فنقول انهم لا يعرفوا عنوانك . فنحن لم نعط عنوانك لاحد
اهل البلدة لانهم ناس المستقيم طويلة كما تعرف ويخافوا من

عويضة اشد الخوف . فحين لم تعط العنوان لاحد البتة . فخذ بالك
نفسك . حماك ربنا . ومن عندنا يهدوك السلام اتجائنا فردا فردا ويم
سلام خصوصا قريينا ابراهيم خليفة واخوه فضل الله . كما
صاحبك السيد المهدي يفكرك على الدوام . ودائما في سيرتك
وكل من بطرفنا يهديك السلام . والسلام ختم .

● جديك

سيد ابو ال



دائما وجه ابيه مهموم . كان رجلا نحيلاً رفيعاً كعود البوص
جدا . عيناه ضيقتان . اذا يرجعان من السوق لآخر النهار لا يجلس
رجال القرية سواء من عائلة السماعنة . او عائلة الضبيع . يلقي الي
ويمد خطاه . عندئذ يضطر محروس الى الجري ممسكا طرف جا
حتى يلحق خطولته . ينتظر وراءه . تغلرات الرجال معلقة بهما . في
سمع احدهم يقول . مسكين مدام عويضة خرج من السجن يبكي
قرب . رد شيخ كبير يومها . بالخرابة والواحد ما قلبر يعمل ع
حلجة واصل . . يتضاعف الهم فوق الوجه النحيل . يلتفت
محروس . . يمد يده . تلفف اصابعه الكبيرة حول اليد الصغ
يسرعان . الوقت عصر . والطريق من المدرسة الى بيتهم قصير
تراب . فوقه غبار ويرد وسكون . . بوك . . بوك . . بوك . . و
الطحين ينثأ آخر ما في جوفه . يسرع رجل يركب حماره . . تنفث
الجو رائحة التوت . عند باب المدرسة يقف ينتظر اياه . قال
ما تمشييش لوحديك . تنفثل رائحة التوت الى دمه . حوم في ال
طير . صوته كالضحك . كالبكاء . . لم يعرف بالضبط . نهجت
عالية عند اول الطريق المؤدى الى البيوت . رؤوسها عالية كالغبار
يجيء ابو . . يسرع والكتب تنقل عنقه . تتدلى فوق صدره .
معلقان بالشمس النازلة . تروح الشمس . .

جمع . . . لكن تعود . . . صحيح ! من يضمن رجوعها مرة ثانية . تذهب
 نجى . . . عندئذ لن يضىء القرية بصيص ولو من ثبة صروخ .
 يحبس أبوه نفسه في صومعة الغلال المنقوبة الخاوية ويضعه الى
 دره ويطخهما عويضة وتختلط الألوان . . . الأزرق فوق الأحمر فوق
 حمرة شديدة السخاء من آخر الطريق ترتفع الأرض قلعة كوبرى
 قبي صغير يعلو مجرى الماء . فجأة ظهر ! ! تصلبت قبضة أبيه .
 تحف قلبه كحمامة صغيرة صغيرة جدا ابتل ريشها بماء تلجى نفلت
 حبة التوت المغموس في اللبن الرائب الى صدره . توقف الأب . القرب
 هما طويلا . عريض المنكبين . . كبير الرأس . على كتفيه عباءة
 دماء . تحتها قطن حريرى . ربما لونه أحمر . أزرق . أبيض .
 انتفاخ العبادة فلم يستطع ان يخفى استطلاة البندابية . رائحة
 بر تقوح منه . همس الأب . أشهد ان لا اله إلا الله وان محمدا رسول
 انفرجت شفتا عويضة الغليظتين . ظلما هكذا لحظات ثم تشككت
 لهما ابتسامة لها لون كيزان النرة الجافة المهروسة . لسه . .
 . لسه . . . يابن سلامة وقتك ما قريش . لم ينطق أبوه . لم يرد .
 الشمس فنزلت صامدة بعد ان فارقتهما بلا سند .
 ها . . . وده ولدك محروس ! بتوبيه المدرسة كمان . . . والله عال
 عال !

عويضة ينقض في عين النهار . . . يختطف الطفل وفي قلب غيظان
 يخبئه . يرسل الى اهله طالبا الغيبة والمهلة يومان في الثانية الاولى
 دقيقة اليوم الثالث يصل الرأس الصغير مقطوعا الى الاهل . .
 صراخ الام

عويضة يختطف اولاد البلدة . لا احد يساله . . حتى الام الكل
 جرو ان ترفع عينها في وجهه . . لا احد .

لم ينطق الأب . ضم . محروس اليه . في الليل فبحت كلاب فوق
 المجاور . حامت رائحة خبيز . الليل فوق البيوت كالمصيبة

كالجبل ، كالجبلانة . اما وجه الاب فصامت لا ينطق ، صفحة كراه
بيضاء ، قال محروس واللبل يغزو قلبه الصغير :
وساكت ليه يابوى ؟

عض شفته ، ضرب جدار الصومعة الفارغة بيده ، اهتز جسمه ورر
الصغير اباه جدارا يعيل . غيط قصب يتكسر تحت زوبعة ، مرر
يفرق . جمل برك تحت حمل ثايل . سكت ، سكت ، قال :
ما فيش حد في البلد يحميني منه وانا عمرى ما قتلت حد . . عمر
ما رفعت دبوس ابيرة في وش واحد .

السواد حلق اليه . يد خشة قبضت قلبه ، خمشته . . ا
طالبك ليه يابوى ؟ . . طالبك ليه ؟ !

في الصباح كانت الشمس عالية خارج البيوت ، الاب تقدم في الد
سنين ، عند الجسر قابلهما الشيخ محمود ناظر المدرسة .
ما تنسايش في البندر يلاود يامحروس .

من نافذة الحازونة الخلفية المتسخة رأى اباه يقف فوق الج
وحيدا . . ثار الغبر . . اختفى . ثم ظهر . القوى الطريق ، دم
عيناه وكن الرجال من حوله يفرثرون .

• • •

— طالبك ليه يابوى ؟

— انا طلعت من صغرى ياسحروس يولدى ولقيت الناس بئش
على وتقول اني مطلوب لعيلة عويضة ، ابوى قتل خاله من اربع
سنة . قبل ما تولد وقبل ما هو يبجي على وش الدنيا . حتى لما كنا
صغيرين كان دايمما يقول في انا اللي حطع جتعارك يولد سلامة او
قتل خالي . وانا اللي حلخذ ثلره . امه بخيتة دايمما وراه من صغره
دايمما تقول له راجعتنا في الطين وسط البلد . خالك ما تعملوش ميتم
دلوحتى . خالك دمه راج هنر . المهم يابني انه كبير . . سرق جامو
وانحبس . . خرج . برضه وراه امه بخيتة . كان يقول لصاحبه

يوتنى بطريقة ما حصلتش . حيموتنى وانا عند الجسر . باصص لى
 هو سلك . ميجي يخطط على فى الليل . اصله مفترى ما بيرعاش حرمة
 فى البلد . كل ما الجبله الاقيه يقول لى لسه . . لسه يولد سلامة .
 حقيقة يا محروس انا عدت اخاف عليك منه . . دا وحش ما بيعرف
 ولا اخوه . انت شليف حد فى البلد قاهر يرفع عينه فيه . حتى
 شيخ صالح لما رحل له قال لى وانا جعل لك ايه بيه شريعة البلد
 فياض . وبعدين هو عمك ايه . . عويضة لغاية دلوقتى ما هوبش
 حيتك . انا قلت عظمى يا بعتك سوهاج تتعلم هناك وبعدين
 وح مصر . انا هنا عارف بيتها لكن نذيك انت ايه ؟
 قال والليل يثقل ويبال لعابه بطعم السواد . . وليه انا اللى حموت
 عويضة ! هو راعيتى انا بس ما هو مواقف البلد كلها على رجل . .
 سيلها جالوس طين حد قاهر يقول له كفاية . . حد قاهر يقول له انت
 مملر كده ليه ؟



ربعا يجلسون الآن فى مقهى ويمشون فى شارع من الشوارع . اسبوع
 ل تجوب نظراتهم الطرافات وتتفحص الوجوه . والملاح بحثا عن
 محروس . محروس فياض سلامة . اسبوع ولا يحس . ربعا مر بالقرب
 هم . مشى بجوار فتى يناسون به . فى اى مكان هم ياترى ؟ فى اى
 ت فى اى حجرة ؟ فوق اى سرير تخفق قلوبهم لليوم الذى تنعكس
 بورتة فى اعينهم ثم ينقضون عليه ! عندئذ يطلق عويضة لحيته .
 دل شل عملته . يذهب الى امه فى البلدة . تقيم ماتم الخل الذى لم
 قطع صوت نائحة عليه من اربعين عاما .

دار فى الحجرة . نفضت الرطوبة الى عظامه . هرقة يومية فى الخارج
 ساح اطفال صغار . وحوى بلوحوى . الجميع يخرجون الى الطريق
 السكن الجامد الذى نزل فوق البيوت . اثناء الاظطر تقول
 تبقى من الرغيف وقطع البطاطس الصفراء الصغيرة التى تقطر

زيقا ، استند ذراعه الى عمود السرير الحديدى ، هذه اللحظات الاولى
 الليل ، بداية السواد ، البرد ، لا يطيق البقاء فى هذه المنذرة الى
 الصدااء الجدران ، الحبل برطوبة نقوس العظم ، تأمل
 جذائه . . بلاط الحجرة المريح الاصفر القديم الذى تكسر وقت
 وفصلته عن بعض مجارى رفيحة سوداء . . السقف العالى والار
 الخشبية التى تحمله . لم يعدها من قبل . كأنه يدرك لأول مرة ان
 الحجرة محمل على تلك الاعمة الخشبية ، ليس السقف فقط
 ادوار كبيرة . فى كل طبق اسرتن ربما . ربما احد سكن البيت قرب
 قريب لو معرفة لعويضة وجماعته . ربما يؤويهم عنده . لكن
 ليس معقولا ، بالتأكيد كان التلى بهم صدقة . انه يجتاز
 الخارجى فى اليوم الواحد اربع مرات ، يخرج الى دورة المياه بال
 ست او سبع مرات . صحيح لا يفتح باب المنذرة حتى فى الصيف
 يعرف تماما ما سيفعله رجال البيت عندئذ . الأعزب الوحيد فى
 كله محروس . لا . بل فى الحارة كلها . صحيح . من يسكن بمفر
 الحارة كلها . عطلة كثر الطماعين ، عندما زاره ابراهيم الفدى
 يسأل المكوجى سال الاولاد . . قالوا له :

ليوه . . ليوه . . محروس الفدى ابو نظيرة . . نمرة حداش
 نمرة حداش . . وقاله من يده ولد صغير . جاء الى المنذرة . ان
 هذا مامورية عويضة . لو انه دار على حارات الجمالية كلها . سا
 طفل صغير . . محروس للصعيدى فين ؟ ليوه ياعم . . جوه ياء
 خرجت انفاسه سلخته . ضرب راحة يده اليمنى بقبضته الى
 الباب صاحت بصغى الى زفاته المكتومة . . لم يدرك مرة راح وم
 المنذرة . لم يدرك الف متر قطمها ۞ هذه العلبة ۞ قلبها بخطوات
 ست ان السح الخطى . . سبع اذا مشى على مهل ، قل ركن الى
 جريدة قراها منذ ان ربه للبيت التى لا تغادر دارها تقطع فى
 الواحد سبعة اميال . شرع فى ابتسامه ما لبثت ان تلاشت .

الخشب خرسانة . . القفل وحيد وليس متيناً . . لا بد ان يشتري واحدا
 اضافيا . . اما النافذة المطلة على الحارة فلا قضبان الحديدية لا تدع
 مسافة كافية للمرور من خلالها . . لكن ! لكن . لا يمكن فتح الضلعة
 الخارجية . . عويضة دائما يحمل مستمسا . عويضة تلجر مخدرات . .
 عويضة لا يتحرك في البلدة الا وتحت عياعته كلل جوستاف . اما في
 المدينة فلن يخلو من فوهة سمعتها في مللي ايدا . ايدا . ربما تسطلت
 الفوهة بين القضبان . . السرير في مواجهة النافذة راسا . . ترى في اى
 مكان يبعده عنها ؟ المساحة ضيقة وشنطة الهدوم الكبيرة الى جانبه
 تكمل الفراغ . . لو وضعه بالمعرض لواجه النافذة اكثر . لو تمدد
 بالطول فهذا العن . فليتركه كما هو ولينقل المرتبة من فوقه الى تحته .
 مكان ضيق محكوم تحت مستوى النافذة بكثير . فلتقل الفوهة السوداء
 سعة ٩ مللي . ليطيل الميز . . لن يتركه . . اما الباب فلا بد من قفل
 اضافي جديد . . لو يسكن جار امامه . لكن الفناء لعين . مخيف . .
 مظلم . . رطب . . خال حتى من ثبة صاروخ . المصيبة ان الدورة في
 الطرف الآخر منه . حتى قبل ان يجيء عويضة كلل الفناء يبدو موحشا
 كالجبانة . . كالخرابة . . عدا هذه اللحظات الضئيلة التي تبدأ عندما
 تخطو سلوى عتبة الباب بقدمها وتقف امام باب المنشرة وتصبح بصوت
 لين كأنه مضغ التفاح لو مذاق البيتى فور لو الايس كريم في يوم
 حار . . يأسعد . . تنادى صليحتها . عندما خرج وراها اول مرة لم
 ينس طوال يومه وقفتها . بداها تحملان حقيبة متفخة بالكتب . على
 ظهرها تهنر صغيرة نحاسية اللون غليظة . اما عيناتها فهما السماء ■
 يوم صيفى حار . . في كل صباح ينفذ الصوت الى اذنيه يخرج . ويطيل
 وقوفه امام الباب وظهره لها بينما يدير المفتاح في الثقب الضيق . وفي
 يوم من ايام هذا العام دار الى المنشرة . وتصيب عرقه وتوالت دقات قلبه
 كقرع الطبل . بلسان مثقل همس . صباح الخير . طول انتهار احس انه
 حاملة خفيفة . . شرع قلب صغير . ليضارب وردى حول راس جسناه

يتطأير مرجا ۞ هواء ربيعي . . صباح الخير . . وللمرة الثالثة ربت . .
 لكن ماذا بعد . قال له حسن صاحبه . كلمها ما تبقيش لخرة . لكن
 البيت والجيران . ماذا يفعل ؟ الآن لا يعرف ما تفعله سلوى ؟ في هذه
 اللحظة بالذات . قلم والفا . لا بد ان يخرج . . الى اى مكان ! ميدان
 الحسين يزدهم بالعربات . . طوفان ضوء يفرق الشوارع المحيطة به .
 في الزحام يستطيع المشى متخفيا لكن لو التقى به فجأة ! الثلاثة . .
 جدار اصم يطفح غيظا وغلا . طعنة بسيطة ۞ الجزء الامامى من
 الجسم ولن ينتبه احد . . لكن حتى لو رأى عويضة . هل يعرفه ؟ من
 سنين . من الصغير . لم يره . . لم يخلق اليه . كل صبي في البلدة
 يعرفه . اما هو نفسه . لا يذكر غير عينيه الحادثتين والرقبة
 الخليقة . . والعبادة السوداء .



الجنة بهانة . .

الله يقطع طالع لايوه . . جسمه طويل رى الجمل . كتافه عريضة
 ورقبته فيها ذراع . طول النهار مشى رايح جاي في البلد ما حد قلار
 يلمه . . ما خلى مرة من نسوان البلد الا ومردغ سمعتها في التطين .
 مكسور الرقبة قعد ورا البت صلبة لخاية ما رجعت في يوم من الخلاء
 وحرلت روحها . . داهية تخفص بيه الأرض . .
 الود السيد . .

استكتى يادادة احسن حد يسمعك يروح يدله (يقول له) . . .



ابن زبدي . زينهم بائع اللبن . ليس بالفاكيد بالعا آخر . الحلة
 الهواء البارود . الليل المظلم . هؤلاء الصبية الملعين . . لو انهم لم
 يكسروا المصباح . بخان خفيف . القرن القريب يستعد لعمل كحك
 العيد . الخطوات تقرب . فجأة في هذه اللحظة . تلك الثانية . كان
 انفجار سوى امامه . ابرة ثقبت راسه حتى اليافوخ . ضبع نهش بطنه

وراح يلحس افعاله على مهل وما زال حيا . فجأة ! انرك ان حيايته في خطر . كانه لم يعرف هذا من قبل . ربما مات الان . . بعد ساعة . بعد يومين . . حتما سيحدث هذا . بل ان اى شيء يمكن ان يقع الان تستحيل البيوت الى ضباب ازرق فلقع . يطل لسان احمر مبلل باللعب من شق . يفتح فجأة في السماء . . يتحول الناس الى ثرات صغيرة . . ينفث تحت قدميه لقب يفوح فيه حتى يصل الى البلدة المقلبة على الطرف الاخر للمكرة الأرضية . اى شيء يمكن ان يقع . . انفراس الجسم المعدنى في لحمه هو . . عظامه هو . . لكن متى ! ! كيف . . اين ! ! لا يدري . عندئذ يغمض عينيه . . ولا يطل على شيء في الدنيا . . ابدا . . ابدا . .



بعد التحية . .

تلفت نظركم الى انكم تغيبتم عن العمل خمسة ايام بدون تقديم عذر رسمى . ولما كانت اللوائح ■ تسمح بالاجازة العارضة او التغيب المفاجيء . . لهذا نذكركم بضرورة . . مدير شؤون العاملين



بائع بانصيب يطوف باللهى والقش يملا الطريق في الخارج يخفى قمة السور الكبير امام بوابة الفتوح . . يتتأهب الرجال فوق عربات الكارو الصغيرة . . شرب ما تبقى في كوب الحلبة المطحونة . صاح رجل . . بصرة ! ! ضحك شاب . من الجرسون . يرتدى جاكته حكومية صفراء قديمة حاملا صينية كبيرة مقلقة بكواب الشاي . تلت سحابة دخان . للمرة الثالثة ينظر الجرسون اليه . الصق جبهته بالزجاج . . لا احد بالخارج . حتى لو دخل هنا فننفذ رصاصته بسهولة . هؤلاء العجائز والشبلان لا يعرف واحد منهم لكنهم ان يتركوه يذبحه . . وعويضة مجرم لكنه جبان . . لم يقتل واحد من ضحاياه العديدين

وجهها لوجه أبدا . دائما تتسلل قوهته من بين اعواد الثرة . من نافذة
 بيت . لهذا قتل الكثيرين ولم تثبت عليه جريمة واحدة حتى اليوم . .
 في مواجهة الباب صورة قديمة باهتة الالوان مبهمة بهباب الفحم
 الدفين . رجل يركب حصانا باهت الملامح مضيق الوجه . ألف ألف ليل
 ونهار خطا فوقها . في نفس المكان . الجدار . املم المنخل . لو ان الايام
 تمشى الى الوراء - ١٩٦٧ - ١٩٦٦ . العام القادم بعد عشر سنوات
 نصبح في عام ١٩٥٥ ويكون البرج لم يقيد بعد . وسلوى الحلوة
 الرقيقة لم تدخل الابتدائي . . ام سيد الشهية فصبية ناضجة
 يتخرج نهذاها اذا ما نفضت عن شبك بيتها غبارها . وتعضى اربعون
 عاما ويحيى ١٩١٥ . ترى من سيؤكد قلبه ويراه . أى جنين ياكظه الى
 هذه الايام ؟ الشوارع الضيقة . الرجال يمشون تحت البواقي . .
 الفونوغراف فوق منضدة عائلية . . زبائن المقهى يتبادلون
 الضحكات . المعلم في الصدارة ضخم غليظ الشارب . يغنى شاعر
 الربابة . يتوقف . يتراهن الجميع . من سيفلب ؟ ابو زيد ولا دياب ؟
 يصيح فريق ابو زيد . ويصيح الفريق الثاني . لا دياب . في شارع
 رئيسي ينطلق رصاص محموم يستقر في لحم طرى وجنلجر يرتدى
 اصحابها الطرابيش . الموت القام لو . . بائع صحف اللطائف . .
 المقطم . البصير ياجدع . .

. . لو يرحل موغلا في البعد اربعين سنة . لو انه يملك اسطوانات
 قديمة تنور على مهل . تتعطر الابرة . تنوء في ملفاتها العديدة .
 الاصوات صفراء رفيعة . . هيه يلرائحة الزمن الذي لا يعرف في أى
 ارض من اراضى الله اوغل وبعد . . اه لو يرحل . . هناك لمن يرى
 عويضة . لن يلحمه . . الامان . . الامن للمتعيب المحكوم عليه بالموت
 حتما راحة القلب المتهاك المخلوق المروعش ابدا اللوحة صلمتها كانتها
 تقول : سابهت ابدا . . لن ترجع الوائى الى زهاتها . صاح رجل معمم .
 تكاثف الدخان . فجأة . ! القرب الجرسون منه

— الاستاذ . . . يعنى لو سمحت . حضرتك . جارتنا ولا . . .
بلع ريقه . . . اى علقوب تنسل لتشهر نيبانها فجأة . . . ماذا تقصد
يا ابن الافاعي . . . لم السؤال ؟ تكلف حوله . انحنى . كاد رأسه يلامس
جبهته . . .

— بصراحة يعنى . . . كده جدعته . يعنى فيه كلم زبون هنا
متعودين آخر الليل يلقوا كلم سيجارة . حلجة بسيطة كده . خايفين
لتكون من رجال الشعبة . . . وانت عارف الزبائن . . . وعلى العموم
المعلوم .

— لا . . . لا . . . انا جاركم هنا . . . انا مش من الشعبة .
اى حفرة وقع فيها ؟ جال لهم ؟ كيف يقول ذلك ببساطة ؟ صحيح
البيت بعيد لكنها نفس المنطقة . ما الذى لا يدريه ان سؤاله لا يخطئ
غرضاً اشد فتكا . فليقم فوراً . ثلاث ليال يجيء الى المقهى . لن يطيل
الظهور في مكان واحد أكثر من ليلة . . . العيون تعرفه وتعرف عويضة .
كنت الأيدي عن القاء الزهر . . . خرست طريقة الطلولة . مجنوب في
الركن يحملق اليه . . . زحف النمل تحت جلده . نرات الزمل السلخنة ■
عروقه يدلا من الدماء . حساك ! يرقبون ما تخرجه يده . سقط فرش .
لم ينحن . . . الهواء بارد . بواية الفتوح . سوق الليمون . رائحة
الحنين الغامض المعذب . المنقذة سوداء غريبة فوق السور في الجدران
حفر ضباط فرنسيون اسماءهم منذ مائة وسبعين عاماً كأنهم يطلون
عليه . يخرقون ظهره بنظراتهم . . . حساك ! وكان الجميع . كل من في
المقهى . . . في الشارع ينتظر اليه . اما الهواء البارد فتلجى موحش .



وارسل . عويضة . مكتوباً الى أمه بخيتة قال فيه انه قرب خالص
منك . . . وكما أخبرها بأن تستعد لتلقيه ماتم على أخيها فهو كما تعلمون
لم . ناحت . عليه ندابة من أربعين سنة . . . فرجاء تطمئنونا بكلمة لأن
عويضة . جعل الشيطان يركبنا . ومن عنينا الجميع . . .



لو اصحابه عرفوا ما يهدده . .

ها . . اصحابه . .

اي اصحاب . حسن . لم يفترقا ابدا . السهر حتى منتصف الليل .
العودة إلى بيتهما . الطريق البارد . المصليح . نهاية الأعمدة الطويلة
ترقبهما ناعسة . . العصر قبل انتهاء النهار . ما لحل شارع الموسيقى
ما ان يتجاوزوا شارع الخليج وتمرق عربات القرام الخضراء حتى
يحوطهما الزحام . صياح الباعة . فلنات . شربات . التاجر بيفلس
يا جدد البلوفر بثلاثين قرش . من الملقاة يشترين الفول السوداني .
يهمس حسن بكلمات خافتة في اذان الفتيات . عند العتبة ينتهي
الزحام . يجره محروس إلى سور الازبكية . كل كتاب بقرشين . ادب . .
علم . . فلسفة . . كله بقرشين المكتاب يتقل يا جدد . رائحة العصر
في الطريق . . عربات المدينة تمضي بسرعة . . اصوات موسيقى من داف
الاوربا . . وسط الميدان يقف التمثال الرمادي . . من الرصاص
جلمدة وإشارة من فارس النحاس بلا معنى . إلى أين يا حسن . .
تنطلق المياه من نافورة الصغيرة . الهواء . الأمان . يكلمه عن
سلوى . بعد طول تردد قرر ان يكلمها . خرج من الباب . كانت ترفع
راسها على وشك نداء صاحببتها . او ما براسه . احسن بها تنتظر شيئا .
فسألتها عن مدرستها واين هي فقالت الحليمية الثانوية . لم يدرك ما يقول
بعد ذلك . كيف يدفع الحديث من جانبه . سألها عما إذا كانت تذهب كل
يوم . او مات براسها مخفية ضحكة . حقا لكم هو سخيف وهل هذا
سؤال ؟ عندئذ يصيح حسن غاضبا . غبي . . كان السؤال الطبيعي
متى تخرجين ثم تنطلقان على ميعاد . حسن هو القلب الوحيد الذي
يقتسم معه ما ينوء به . . أين هو الآن في أي بلدة أي شارع ؟ عندما
وقف يتأمل الطائرة عن قرب بكى . . عض شفثيه . . لمح الطيار يقف
مرتديا حلته الأنيقة . . سعيد هذا الإنسان الذي ينطلق بسرعة ألف
كيلو متر في قضاء نهائي صحيح . . أين أمانى الطفولة ؟ فوق البلدة . .



لسبب ما تمر بين حين وحين طائفة ، يرفع رأسه ، يجرى يتابعها ، لكم
ود ان يصبح طيلوا ، دائما يرسم صور الطائفات في لوضاح مختلفة ،
فوق منضدة قهوة ، في مكتبه . بل انه يحتفظ بكتيب يحوى كل انواع

الطائرات ، جاء حسن مسرعا ، عيناه تضحكن . . الليل حولهما غميق
 أسود ، غريب ، امتلا الهواء المتسرب إلى مخبئه الأمين عندما تابع
 الجسم الصغير يبتعد في الهواء لم يصنق أن هذه المسلحة الضئيلة
 تضم (حسن) . . وسنوات عديدة من عمره ، وقتها رأى بلاط الشرفة
 العريضة سلاسل رليعة مزقت جسمه ، أثقلت قلبه اطنان الحديد ،
 قضى الليل كله ، زمانه فوق الجرس . الآن نزل بمطار أثينا ، بعد
 أسبوعين وصله جواب . أن انسك يا محروس . . بعد شهرين . . ■
 سعيد يا محروس . أرى كل يوم ناسا غير الناس . احن إليك ولكنى هنا
 حراسة لا قيد لها . ومن شهر لم يصله المظروف ذو الطوايع الأجنبية .
 أن انسك . أبدا نعيمه . ذاب حسن في بلاد الثلج والضباب ، نكم
 اشترى مجلات اجنبية . ربما رأى حسن في صورة شارع مزجم . أبدا
 لن يراه ، لا يعرف حسن أى يفتق ثمر عليه فتصرع روحه في كل ثانية
 من ثوانيتها الستين . لو معه الآن لاقام عنده . لو سافر معه لن يهتدى
 عويضة إليه أبدا . زملاء مدرسة الصنيع تفوقوا في البلاد وابتعدوا .
 قاتل إبراهيم ، شربه كثيف ، انت فتن . لازم نشوكت . اتلفا على
 ميعك . لم يذهب بالتاكيد . هو لم يذهب أيضا ، لو قابله الآن ، وقال
 له أن عويضة بطله . قطع ستمائة كيلو متر من أقصى الصعيد ليجث
 عنه . سيبدو الخوف في عينيه . يتطلع إلى المبانيات المحيطة . .
 النوازل . ربما يطال عليهما عويضة من مكان ما . يستمعهما بأذنيه
 العذقتين . في حقول الفرة وسط وشجش الريح يسمع بهما خطوات
 الاقدام على بعد أربعين ذراعا . سيجرى إبراهيم . . هكذا كلهم عدا
 حسن ، حسن الذى راح . نسى حتى الخطبات ، لو أنه سافر معه .
 ركب البحر . يبتعد عن الأرض التى يحبو بها عويضة . ينزل ■
 الموانئ . البعيدة . يرى وجوها غريبة . نسعات هواء على شاطئه
 بحر أزرق عميق ينبض كالرنتين . الأطفال كالارغفة الساخنة الطرية .
 اصليحهم في اقواهم . الطائرة تنتقل من مدينة إلى مدينة . . سيداتى

سالتني وصلنا . بعد قليل ستهبط في . لكن لا أمل في رؤية هذا . سينزل
 يرى نفس البيوت ، الشوارع ، الناس يجول بينهم عويضة . لن يلحق
 حسن أبدا . ربما انقض عويضة الآن . انه لا يصدق وجود هذه البلاد
 الغريبة . . صور الجبال المكسوة بالثلوج البيضاء كاللبن زائفة .
 لابحار واسعة تعجز العين عن رؤية آخرها . لوهم بحارة عجائز
 سافروا ورجعوا بلهاء مجانين . . اما حسن فاختطفه الطائر الحديدي
 ليغوص به في فراغ عقيم . ليس من المعقول انه في مدينة يطلع النهار
 عليها الآن وهو هنا تحت السرير وعويضة يجلس المدينة بست عيون
 وست اذان لا وجود لمن يمرح الربيع فيها . لا رجال اصر يرتنون
 الفراء يعيشون في الثلج . الصور وهم . الخيالات المتحركة بهجة مزيفة
 امثل مسلول . الحقيقي . الصلب كالجبل . كفيضان القصب . الموجود
 عويضة ينهي كل شيء في لحظة . يمحو الضحكات والدموع وقلق الليالي
 وفرحة القلب عند رؤية سلوى . كل ما راه . قبل انطلاق المدفع يدخل
 الحارة ربط الحذاء والتفت إلى الوراء . لا احد عند المنحنى قبل القرن .
 يلف رجل عجوز طاقيته تغطي رأسه تنزل حتى عينيه . جاكته بنية
 اللون ناككت عند الكوعين . بشرته ملساء كانها ستتفجر بالدم . يسند
 يديه إلى صندوق صغير مصمت الجوانب سطحه زجاجي . قوائمه اربع
 رفيعة عالية . صاح طفل . آلت امرأة بعباء من طابق علوى . هذا
 العجوز لم يره من قبل . حلق فيه . عيناه لا تتحركان .
 مفتوحتان واسعتان لكنهما لا تتحركان كأنه لا يشعر به . ربما يتصنع .
 نزل العرق من جسمه . بدا الصيام له قاسيا قلحلا . امتلا حلقة يقشر
 سمك . كاد يصيح فيه من أي لرض هو . هل هذا وقت يبيع فيه للناس .
 اندفع فجأة صبي عرفه . يوسف ابن زينب التي لا تشبع عينها أبدا .
 بتعريفة حمصية يا عم حسين . اهترأس عم حسين . كاد مجروس أن
 يصرخ خوفا عندما سمع صوته . صوت رفيع رفيع جدا كخيوط نحيل
 ومتسلخ . حمصية ولا سمسية . جالت يده داخل الصندوق . أخرج

قطعة الحلوى المرصعة بالحبات الصغيرة الصفراء عاد يحلق في
 الهواء ، على وجهه ابتسامة سخرية ، استهزاء ، ولحجة رفع يده . قبل
 باطن يده وظهرها عدة مرات . اهتزت سماغه . اندفعت الدماء إلى قلب
 محروس . هذه الحركة ملأته بقشعريرة كالصداع . يوسف الصغير
 ينتظر إليه . . انتبه إليه . امسك يده . مين ده يا يوسف . عم حسين .
 دى اول مرة يقف هنا . ابدا طول عمره سلكن هنا . بس ما كنش بيطلع
 من لوضته تحت السلم ابدا . مرة لخرى . عم حسين يقبل يده . ضرب
 الأرض بحذائه . الخلق باب المنفرة جيدا . . عاد يتأكد من إغلاقه . .
 زعق راسبو . . موسيقى كئيبة حزينة . في البندر كفن يقف على سلم
 المحطة . السلام عريضة والرجال يجلسون القرفصاء . امامهم مقاطع
 وصفائح وصناديق منبججة ولعل فخر . عابروا الميدان قلائل . المقهى
 الكبير في مواجهة المحطة باهت الملاء يتصدره إعلان قديم . . سجاثر
 سمسون . . معدن كونتريلل . . وضعت بقرة بنية اللون . سمينة شعر
 الميدان متمهلة . صفرت قاطرة . نزل هدوء غريب كأنه الصقيع فوق
 الشيطان آخر الليل . من احشاء الحواري . موسيقى لونها نحاس .
 طويلة كأنها آخر زهرة لطفل يرحل عن البيوت والخضرة . تخفت .
 تهلو كالنحيب . انقبض قلبه . مصصت النساء شفاههن . بدا رجال
 قصار يلبسون لردية صفراء ويحملون لبواقا نحاسية كبيرة . يضعونها
 على افواههم لحظات فيحوم النحيب وينبض صداع القلوب .
 يخفضونها فيسمع نواح النساء الماشيات وراء الرجال . اغمض عينيه
 عندما رأى الميدان خاليا . فوقه صفرة غريبة . اما الهواء فدمم كماء
 سلكن . في هذه اللحظة دخل القطار المحطة . لا يدري إلى أى البلاد
 سافر يومها . ولا أى شخص يجلس الآن فوق المقعد الذى استند ظهره
 إليه يومئذ . أين راح اليوم نفسه . النهار الزجاجى . الآن يقول انه
 ربما لم يمر يوم كهذا ولم يمض احد . أى شيء يعلمه عن حال الجثمان
 المدفون من سبع سنوات . اليوم الاول كما هو . الثاني تجحظ العينان

وتتفتح العروق ، ينزل حارس القبر ليسرق الكفن . في الثالث يعلو
البطن وتنمو الاف المخلوقات الصغيرة لتأخذ نصيبها من الحياة ، شد
الغطاء حتى عنقه . كامل خشب السرير والمرتبة ، امن المعقول هذا ؟ في
يوم معين ، لحظة بعينها يغمض عينيه ولا يفتحهما ابدا . ابدا . لن
يسمع ولن يرى . . اما هو فما لقرب اللحظات . لن يكف الوريد عن
ضخ السائل الاحمر فجأة . لن تخرج الذبذبة الزرقاء ، تعرف بجناحيها
ليتناقها ملائكة اليمين والשמى فيسألونها الحسب . عويضة هو الذي
حدد ميعادا لكل هذا . ترى هل عرف البيت لم لا ؟ اما هذه الليلة فلم
يمر ابرد منها طوال الشتاء . ينتهي رمضان ، لساعته مذاق غير
المذاق . كم مضى من الليل ولم يتبق عنده اكل للسحور . يجيء زينهم
بعد قليل ويشترى منه سلطانية اللبن . صوت خطوات ثقيلة ، رفع
رقيبته . . اصفى . الواقع ثقيل . لم يتعود سماعه في مثل هذا الوقت . .
كل ليلة . هل هو الحذاء الاسود والرقبة المحلاة بقلعة اسك صغيرة
تبيع للقلم الخليطة ان تنزلق داخله . . ازدادت الخطوات وضوحا .
اين المخرج ؟ المائدة . القضبان الحديدية . . دخل الحذاء . باب
البيت . . في الغناء تريد امام الباب . . صمت ؟ بلع ريقه . ارفع لثنيته
محلولا النقاط سرير البلاط تحت الذال المخيف نزل سكوت قاس . . حد
سكين . . ماسورة ميزر . . اين راح ؟ ربما ينتظر حتى حين تحين
الفرصة . المته رقيبته المتصلية . السرير يخنقه . . خرج من تحته على
مهل محاذرا لن يحدث صوتا ولو ضئيلا فجأة توالى صوت عصا
تصطدم بجدران البيوت . فوق النوافذ صوت عجوز كالماء البارد في يوم
حار تسرب اليه :

— وحد الله يا عم سيد . يا عم صلاح وجب الله . ياسي سعودي يا عم
نادر وحد الله . . يا محروس افندي . .

لا . . لا داعي . قلز ناحية المائدة . صلاح من وراثتها :

— عم عبده . . عم عبده .

نزل صعت لحظة . جاء صوت الرجل من الخارج متسائلا . اجابه بصوت خال مرتجف :

— ما فيش داعى تنده اسمي . . . انفا دايمنا صلحي . . . عبيدتك محفوظة .

بدا العجب في صوت الرجل عندما اجابه موافقا . لكن من يعلم ؟ ربما لم يكن هو صاحب الخطوات . ربما لم يهتد الى البيت . ربما تصادف مروره . يسمع الغداء . . . عندئذ يكون سلم نفسه اليه . . . امض . . . امض باعم عبده .
— وحد الله . . . وحد الله يا نائم .
* * *

توافق حسين الكوجي عن العمل . . . سال صبيه :

— مش محروس افندي اللي دخل ده من شوية .

— اه . . . افكرت هو .

لوح الاسطى حسين بيده :

— نصيت القول له ان واحد سال عنه . ابقي فكرنى القول له ؟
* * *

— فيه سبانخ وكوسة وبسلة . . . وفيه مكرونة بالفرن وكباب وكفته . . .

الدخان يحمل رائحة اللحم المشوى . . . المريكة البيضاء الكتلة فوقها بحروف حمراء متسخة . مطاعم الحسين . الجالسون في المطعم قلة . هذا العجوز بجوار الجدار . . . امرأة بيضاء فستانها اخضر . . . ورجل اقصر منها يجلس امامها في الطريق الخارجى . شيان يلوحون بايديهم يفتنون . عويضة لا ياكل الآن في المطعم . . . ليس بين الموجودين . . . ربما يلف على ناصية الطريق يرقب الشارع . لكنه ليس بالداخل :
— ايوه يا استاذ . . .

ما زال ينتظر . اى شيء ياكله ! من ايام لا يعرف غير الجبنة

والحلاوة الطحنية . .

— سبانخ . . لوز .

الوجوه تتلعب . الأضواء في الخارج . حمراء وزرقاء وخضراء .
خادم القهوة المقابلة يروح ويجيء بسرعة . الزبائن يتكاثرون .
سحابات البخور والضباب تتصاعد لتملأ الفراغ .
عربات الباعة الصغيرة تصطف على جانبي الميدان . . المئذنة
الرشيقة تطعن الفضاء . لو وقف فوقها لاستطاع رؤية كل دمي في
المدينة . . ■ البلدة يصعد الرجل ليجنى البلح من النخيل . يطلق
صوتاً ليحذر الحريم في البيوت المحيطة المنخفضة . . اما عويضة فلو
انسرب الى المئذنة واستند الى الحاجز الحديدي ! سيعرف أين يخطو .
كم مرة تنفث في الثانية ! كيف ينبض قلبه ! الأمنية التي تجول بعقله .
نوعية الذكرى . اهل البلدة يعرفون ان عويضة يلم بكل شيء عن
ضحيته قبل انقضائه . عندما قتل الأعور جاك الله كان قد اختار
التوقيت الذي يتعدد فيه بين تراعى امراته سعدة التي يشتهيها
ويشتهى مصاغها . لن يغيب أى شيء عنه . هكذا يعلم الجميع .
تلقت حوله . . الطلبة والمزمار من الطرف المقابل للميدان . طلبة
يزعقون . يضحك شبلي حوله . شنيو يا شنيو . . يهزون خصورهم .
نظر اليهم وقرض شفته . كانه يقف على قنطرة صغيرة والماء يتدفق
هائرا من تحتها . اضحكوا هزوا اردافكم يامن يعاقل تاريخ ميلادكم
ميلاده . . التصقوا بالبنات . احقيقى انكم يعيدون عن عويضة ؟ لو
اعجبته ساعة ■ معصم احدكم لتعاقبه وقطع يده . . لو اشتهى صلحبة
واحد منكم لآخذاها في وضوح النهار والشمس تغل في السماء ولن يجرؤ
احد على هز اصبع في وجهه . صاح منادى العربات . . نزل رجل حول
رقبته كوفية حمراء منقطة بنواثر بيضاء . دار براسه . رفع المنادى يده
بالتحية . أشطر الرجل الى البيوت القديمة القائمة عند ضلع الميدان
الشمالي :

— ايه ده ياريس !

— دى بيوت ياسعدة البيك .

هز راسه . . ابتسامة تودد على وجه المنادى . اشار الى المجذور
حامل وعاء البخور .

— ايه ده ياريس !

— دا بنى لدم ولا مؤاخذه مجنوب يابك .

هيه ، الى الحسين ، اين غاب عنه . من سنين لم يعرف الطريق الى
هذه الهداة السكونية التى تلفه منذ مئات السنين . على بعد خطوات
منه ولم يدخله . لم يقبل ماوى الراس المفصول عن الجسد الذى ظهر
من كربلاء الى مصر مدة اربعين يوما لتخفيه ام الغلام المسكين الفقيرة
وتفقيه براس ابنتها . عويضة لن يقبل الغدية ولو كانت خزان قارون
وكنوز سليمان الحكيم . كيف يرفع راسه وسط الناس . لابد ان يجز
عنق محروس . المقصورة مغلقة . فوق الباب الحديدى المزخرف وروود
حمراء كبيرة . بلمدخل هدوء غريب نفذ حتى نخاعه . فى حائط الباب
الاخضر خارج المسجد شق لا يروح العطر منه . قال الشيخ العجوز ان
الراس حط هنا بعد رحلته الشاقة . ومن يومها والعطر الحزين لا يفارق
المكان . قال الشيخ الحزين ايضا لو كشفوا عن الحسين الآن لوجدوه
على حاله . ملائكة دهشة . أكد الشيخ ما قاله . ها هو يرى سيد
الشهداء . راسه الحبيب الطاهر الذى لم يكف عن ذكر اسم الله طوال
حياته . يدخل المقصورة يسيل الضوء ناعما وقورا . انه يرى سيد
شباب اهل الجنة . هذه الخضرة بجوار الحبيب . تحت السقف العالى
المرتفع . هنا وليس فى اى مكان اخر لن يستطيع عويضة اللحاق به .
فليدخل . الحبيب سيصفح عنه . يغفر له . انه ظل سنوات يمر كل يوم
اربع مرات او ستة ولم يدخله بل لم يفكر فيه . الآن لن يغادر المكان
بالداخل امان لن يعرفه الا هنا . بجوار الجسد الذى لم تجف دماؤه .
ولن تجف حتى ينفخ النفخة الثالثة فى الصور . نفخة طولها اربعون

الف سنة . يعقبها صمت اربعين الف سنة . وينفخ نفخته الثانية . ثم
يجيء نفس الصمت حتى ينفخ النفخة الثالثة . لكن الباب موصد
ياسيد الشهداء . المقصورة ■■■ يا عصب العين . يا صاحب الدماء
الذكية . يا بلبل السفينة . عويضة يسعى وراءه . يقتفى رائحته .
يتسع صوته . همسه . حركاته وسكناته . عويضة يقتله في هدوء . قم
يازينة شبيب الجنة . يا ملجأ الشاة المذعورة من الذئب يا نور الأرض .
محروس يناديك أنت . أبوه . قتلوا ابنك في حجرك بعد ان منعوا الماء
عنك . جرحوك مائة وسبعين جرحا . نبحوك واحترقوا راسك وداسوك .
اه لو يدخل لمن يفارئك ابدا . وان يقوم من جانبك وفي كل علم . في نفس
ميعادك . يقيم الذئب عليك سنة ياكملها حتى تبعث حيا .
لو يدخل . . لو يستكين . . الباب موصد .

المبنى الخشبي زخارفه صماء . . يكي . . يد تقبض قلبه كأنه صبي
صغير تركه أهله ونزل عليه الليل ■ الخلاء بعد ان دخلوا الملجأ
الأمين . قعد بين الرجال . الجميع يحملون الى شرفة خشبية عالية . لم
ير شيئا . الجميع صامت خاشع . مال الى الجالس بجانبه يستأسره .
قال الرجل وكان عجوزا جدا . . جنبه قديمة . قفاه نحيل . يصلبه
عرفان غليظان جالان .

— لارء جديد صوته احل من صوت عبد الباسط .

ياه . . منذ متى لم يكلم احدا . . كأنه يحرك لسانه بيده . .

— يلتري حيقرا سورة ايه ؟

لم يرد الرجل . . النجف الثقيل ينوء به السلف الملون . . رجل
يحمل قربة ماء ويمسك اكوابا نحاسية . تناول منه كوبا تسربت برودته
الى لحمه . ما اذ الماء في هذا الوقت من الشتاء . نهاية العلم . واما
الرجل شاكرا . عاك يتتبع زخارف المجدادة المعقدة المتشابكة . رفع
رأسه . الرجل يحمل قربته . ينظر اليه غاضبا .

— تعريفة يا استلا .

كالمسحوق انتفض ، بحث ■ جيبه عن القطعة المعدنية الصغيرة
 انصرف الرجل مبتعدا . . يكره . . الكل يحلق ناحية الشرفة
 الخشبية العريضة . . لا صوت ، ولا . . أى ضجة ثقيلة فوق ارض
 الشارع ، الطريق مغطى بالرؤوس ، نزل تحت الرصيف الى أين ؟
 البيت ! المخبا ! تحت السرير ! ربما ينتظره بجوار دورة المياه خارج
 المندرة ، ربما عند الناصية . لا يعرف الى أى الناس تنتمي هذه الملامح
 التي وصفها له حسين المكوجي ، لكن هذا الغريب رفض ان يقول
 اسمه ، بل وساله عن ميعاد دخوله وخروجه . . لا بد ان ينتظر والزحام
 سيتلاشى بمجرد عبوره حارة الوطواط . تصبح الشوارع وحيدة
 قاسية شرهة الى الدماء تماما كما سيجد ميدان الحسين ثلثي أيام
 العيد . . تنوب كل هذه الضجة ، كثيرا ما عبره في الليل ، يبدو متسعا
 خاليا تماما ، الا من شحاذ يفترض رصيف الجامع ، يلحق ابن يفلق
 ابوابه لكم يبدو الحسين وقتها وحيدا عجوزا تنقله الام سنين طويلة
 من القرية ، لا لو ان المقصورة مفتوحة . . الف الف سنة والراس لم
 يلتق به ابدا . . ابدا . . اما عويضة ، فما اقرب ، لن يرجع الى المندرة
 سيمضي بين هؤلاء حتى يبدو النهار الأزرق ، مضى حول الميدان ، لو
 سلوى معه ، أى املن يحوطه ، أى مشاعر تريحه ، منذ شهر وكانت
 انفاس الخريف تحتضر امام زحف الشتاء القلبي . . راها تعبر الميدان
 بمفردها متجهة الى محطة الاوتوبيس ، صمم ان يكلمها ، تردد امامها
 كثيرا . اندفع وتدفقت الدماء من قلبه الى أقصى اطراف جسمه ، ركبت ،
 ركب ، نزلت . . كاد ان يحاذيها بقرب هذه الحديقة الصغيرة . عندها
 تراجع فجأة ، كان بدا لطمته ، تهوى على المقعد الرخامي وراح يراقبها
 تبتعد . نراها في نراع شاب ، ربما يشبهه ، ربما لا يقل عنه . . أى
 عجز ثقب قلبه . الوقت عصر والشمس فوق النيل لا تبين . عبر
 الكوبري . أى وحدة مرهقة كسن موسى مصقول ألمته « حتى حسن
 راح ، لو معه لحكى له ما في قلبه . . لكنه بعيد . وسلوى نائمة مثل

كهوف الجليد ولا اصدقاء . . لا شيء غير وجوه غريبة تمر حوله
 ضاحكة زاعقة . . هامة . . حتى المفردة بعيدة . . لا يجزئ على
 الرجوع . . لكن الى اين ؟ هل صدمه احد ؟ . . رجل عريض طويل . .
 جلباب بلدى . . معطف وبر الجمل . . ابتسامة خفيفة على وجهه ينظر
 اليه . . لا يذكر ملامح عويضة . . لكنها اوصاف المكوجى . . الثفت
 وراعه . . غاص قلبه . . اين الرجل ؟ لا يعرف عويضة . لكنه سيشم
 رائحته . . عويضة قريب من هنا . . ربما دخل واحد من هؤلاء . .
 الخطاب في جيبه من البلدة يقول ان اللعين ارسل لأمه يامرها بتجهيز
 مناحة على الخال المقتول من زمن لم تعرفها كطور ولا نجوع البلدة منذ
 الف عام . . اين هو . . ؟ اين ؟ تزايد اندفاع النفس حوله ، دار حول
 الضلع الشرقى للجامع ، الموازى لحارة أم الغلام ، ابتسم معلم شلبيه
 ضخم كبير طرفاه مرفوعان الى اعلى . . داخل فيه اسنان ذهبية ولسان
 احمر يهتز اهتزازات صغيرة سريعة . . صاحبت امرأة على رأسها صف
 من ريش ، اشترى منى بخور . صاح مجنوب يرتدى جاكته عسكرية
 قديمة مليئة بالانواط والشارات وقطع قمائن صغيرة . رفع سيفه
 الخشبي الأخضر والمكتوب فوقه . . لا اله الا الله . . زعق الى
 الناس . . اين عين الخلد ؟ مد شاب ذراعه . احتضن صديقه . . تراجع
 الى الخلف ليتأمله . . يراجل من امضى ما شفتكش . . خبط البائع على
 طيلة بنية اللون مزخرفة الحواف . قال للشباب الذى يرتدى قناعا ورقيا
 يمثل قرصانا . دى نغمتها ترقص اجدع ست الى البلد . مد الشحاذ يدا
 واحدة سليمة . . سبع عيال وامهم يابك . طوح شاب يده احتكت بردى
 بنت قصيرة ممثلة . . تنهد بقوة . شاب اسمر طويل يهز وسطه
 ويلعب حاجبيه . . قال بائع الكتب . يجنيه وعشرين الى اليه تخفيض
 يبقى ثمانين . . اللافتة على السرايق الكبير . دخول عمومي بثلاثة
 قروش . . ضغط الضوء حول المكتبة صرخ رجل مقلدا صوت امرأة .
 تطايرت رائحة الكباب من مدخل خان الخليلي . والنافورة الرخامية

خرساء جف مأوها . الرجل قريب منه . لكنه لا يراه . . أين ، صوت
المطربة سيدة أم السعد صاحبة السرايق المائل على حارة الوطواط ،
تؤلف غناؤها . . تتابع الأصوات . . والمعلم . . والاستاذ وأنا
وانت سلام كبير قوى . . هل يسمع اسم عويضة ابدا ؟ لكنه يعذبه .
يعرف اهل البلدة المساكين عذته . لا يقتل ضحيته مرة واحدة ، يتركه
في متناوله حتى اللحظة التي يحددها هو . وهكذا يعيش كل مزارع
صغير او صاحب بقالة او صاحب جمل في البلدة . وهو يظن ان
عويضة يطلبه هو وعينه على ماله . لهذا لا يجرو واحد على الوقوف
امامه او ذكر اسمه بصوت مرتفع . . بالتاكيد عويضة قريب جدا . لكن
اين ؟ لا يعرف . ربما العينان الضالحتان الناعستان ، الصوت
الناعم . . الاذان المرهقة . . ابتسامة البائع الزائفة . غضب جندي
المروءة مسالمة البائع . . شهوة المراهق الى لحم امرأة ، حتما هنا . .
الميدان كله يعرف ولا يعرف ومع هذا يضحكون ويتمايلون ويشترون
الطبل ويرتدون القنعة الرمان بلود . . عويضة هنا . . اقولوا احقا
انكم لا تعلمون ؟ . . ابدا . . ابدا . . حتى ساعى البريد الذي حمل
رسالات الجد ابو الغيط كلن لا يبدو عليه انه يعلم ما تحويه
الخطابات . فوقه السماء لا تبسو من الاضواء . . اه لو انه في مكان
ناء . لو هناك حياة غير الحياة . لو عاش انسانا آخر في عالم ثان .
لن تمضي غير دقائق وتوان يشق الزحام . تخدم كل هذه الضجة .
يسكت الشباب الذين يرقصون التويست . تظل سيقان النساء مكشوفة
بلا حلقاب تغطيها . عندما يقترب منه سيشيرون كلهم . لكن لن يرفع
واحد منهم صوته بلحتجاج . لكن لا بد ان ينبههم . قبل اقترابه . لا بد
ان يوجد شخص ما في هذا الزحام يحميه . لم يخلق الله عويضة
بمفرده . لا بد . . لا بد . . دار راسه . تصيب عرقه غزيرا يائسا . من
يوقفه في الزحام . الكل لاه . . يضحك . . يغنى . . اقتصر جسمه . زحف
تحت جلده نمل شائك يخز عروقه . تلكت وراءه وامامه . الى اليمين والى

لشمال . . ثمة ذبابة تطن بجوار اذنه ، اى حشرة يسمع لزيزها في
الطوفان ، هى روح امه ام ابيه ؟ يقولون في البلدة ان روح الميت ، اذا
ما حنت الى شخص حى ، يبت فى هيئة ذبابة زرقاء شطافة الجناحين
لا يراها . لكنه يسمع الآن . . ابتلت ثيابه من العرق الغزير ، اعتلى
ناعدة الخافورة ، عبر المسافة الضيقة التى تفصله عن الزهرة الرخامية
لتى تتوسطها . . انتبهى يا غابة من رؤوس سوداء . لابد ان يعرفوا اى
خطر يكمن بينهم ، يتهدده ، اى سكين تكاد ان تلامس رقبته ؟ ! لابد
يا غابة الرؤوس السوداء والعيون والانوف والضوء الأزرق والاسنان
للذهبية ، ووقع الخطى فى جوف الليل ؟ لابد ان يشعروا به ، ينتبهوا
اليه . . رمى جاكته فوق الرصيف ، لوح ببطاقته الشخصية ، زعق
باعلى ما يمكن لاوتار حنجرته ان تخرجه . .

— انا واحد وثمانين ستة وستين . . جمالية . .
طوح بالبطاقة ، فلينقلها عويضة ، فليعرفه ، فليرحمه ، فليقبل ان
لم يجدوا واحدا من الزحام يمنعه فلا ما نفع بعد اليوم ، ولا عاصم ،
انتبهى يا غابة الرؤوس السوداء ، يامعرض العيون المترججة
الزجاجية .

اشارت سيدة انيقة جدا ترتدى فستانا اخضر قصيرا جدا . .
— لوك يا حليم . . الراجل بلين عليه حيلعب لعبة .
ثم مضت ، رمى آخر قطعة من ثيابه الداخلية الى اتجاه المسجد ،
تكاثف الزحام ، اشار اليه شبان ضاحكون . الذبابة تطن من جديد اى
صوت آخر سمعه . لم يدرك تماما . بكل ما تبقى فى خلاياه من قوة صاح
للمرة الاخيرة . .

انا واحد وثمانين ستة وستين . ■ واحد وثمانين ستة وستين
جمالية ! !

الجميع يمضون ومجموعة شبان يرفعون عابرتهم بالغفاء . شنبو
لشنبو . . لم يشعر بوخزات البرد التى تلمس لحمه العارى ، لم يدفع

عنه احد ما يهدده . توالى وقع طبل سريع متوتر محموم يوشى بجسم
 راقصة يتثنى . كأنه سمع ضحكة هائلة تخرج من فم سمع لوصافه من
 حسين المكوجى . عاد طنين الذبابة . دفن راسه فى صدره . وانحنى
 حتى كاد جسمه ان يتقوس . وسمع عويضة يشق الزحام وانقا . ثقل
 الخطى لا يوقفه احد .

• • •



أرض .. أرض ..

© 1988



فعلًا .

التاسعة والنصف .
 كما قالوا . اكلوا . إنها التاسعة والنصف .
 في النصف بعد التاسعة . هل ضحكت إنا ؟
 هل اجتزّت باب المنطلة التعليمية ؟
 وقلت أمام حمدي الحدي اصرف المرتب .
 اقول لأبراهيم الحدي شكرا بعد احتسابي

فنجان القهوة ؟ ؟ استنشيق الشهيق ، اطرد الزفير ، لا ادري بالضبط .
 ما اعرفه ، اثق منه ، انتي لم اوجد معهم . لم اقعده حول الطبلية اكل
 الجبن والفول ، اشرب الحليب من يد امي ، في التاسعة والنصف اول
 النهار ، يصل قطار الركاب الى ضواحي المدينة الصغيرة ، احتجزوه
 قليلا عند المزلقان يعبره رجال ونساء واطفال ، التاسعة والنصف لم
 تنوقف حركة العمل ، باخرة تقترب من ميناء ، تزعم صفارات ، تصر
 عجلات ترام عند منحني . ويقفز طفل يبيع الكبريت فوق السلم ،
 يتنابح المسافرون في القطارات ، شاب يغازل وامراة تتمتع ، تاجر
 يساوم ومدير يتامر يختلس وعطور تسكب من اناء الى اناء ، انفاس
 دخان تتبدد ، آلات كاتبة ، قهوة تلون مذاق الافواه وموظفات
 ينسجن التريكو في التاسعة والنصف يبدأ العمل في بلاد بعيدة جدا عنا
 في نصف العالم الثاني ، وتشتعل النار في الاعشاب على جانبي قضبان
 القطارات .

.. في التاسعة والنصف مشروط طبيب يشق بطن الانسان ، ويظفو
 كلب ميت فوق مياه القرعة القريبة من القناة ، فيقول جندي لا يد من
 ازالته لاننا نشرب من هنا ، بالضبط في تمام التاسعة يرعى الفراغ جبلا
 من المتفجرات وزنه الف الف الف رطل ، يخمن الرجال في الحفرة في الدشم
 في خنادق المواصلات ، الرمي فوق بورتوفيق ، يؤكد اخر انه فوق مدينة
 السويس نفسها ، يضربون البيوت في تمام التاسعة والنصف ، قلب ام
 يرقب لحظات الافطار ، امي انا تعبر فناء البيت تحمل الماء من الزير الى
 اخوتي انا سعيد ، اخوتي انا فتحي وابراهيم ، اخوتي على وعادل
 وحسنى ، اختي فتحية ، اختي انا ، مصطفى ابو القاسم كلما سألني
 شخص وانا ادور معسكا بيد عبد المنعم ابو العطا ، اقول انا مصطفى
 ابو القاسم من كفر عامر محافظة السويس وعبد المنعم هذا فلاح
 لا يسمع ولا يرى منذ التاسعة والنصف عندما ذهبت الى الزقازيق ذات
 المسافة بيني وبين اخوتي وامى الى الابد ، ابد التاسعة والنصف

المخلق في سماء عمرى عندما طلع من هناك . تدرك الآلة السماء وتروسه وقلووظه واسلاكه ويطاريلته اسماء أمى وأخوتى وأوصافهم واحدا واحدا وبمقدمته الصلبة القاسية غاص في السقف وعيدان الحطب والفراغ ما بين السقف والارض . الارض .

.. أنا مصطفى أبو القسم لم اسمع النوى لم أر الشظايا والذهب ، رايت عمودا طويلا ابيض مصنوعا بعناية ودقة من انقى انواع الالومنيوم ، ولم أر الأرواح لحظة طلوعها . اهل القرية ايضا لم يروها وسكان الزقازيق والقاهرة وطنطا وشطا وبلييس ومنسفيس وزوار الحسين وسيدى احمد البدوى واهل البر ومخلوقات البحر والغداهات والعجائز وكتبة المحاكم والطواحين . انما هبط ثقل مر مدبب ينقب الامعاء والحشاء والعمر المقبل والمنقضى والامل . ويحرق نسمة تبشر بذهاب القيظ . ومجيء البرد . وامنية لم تتم عندما لمحت الخبر فوق الجسر في عيونهم وفي البيوت . والطريق وفضاء ابدى . تمهل الدم في عروقى . ورايت اهل البلدة افواها وعيونا وحزنا صامتا ■ يعرف كيف ينقل الخبر . وانا قضيت عمرى اروح واجيء فوق الجسر فكاننى لا اراه لأول مرة يارضيته الرمادية . وسوره الخشبي . والحفر الصغيرة امامه من الناحية الشرقية . ولاحظت بعناية كثافة النبات على جانبي التربة .

والغريب ايضا اننى رايت سرجا من لوز ابيض يتفص جناحيه بعد طلوعه من الماء . امرأة تمشى متمهلة تجر وراءها ماعزا سوداء . طفلا يعض عمودا من قصب وكلبا يتبع ويخانا يطلع من احد البيوت . ورايت اللحظة التي امر بها خارج الزمن . . متجمعة متصلبة قوامها التوتياء وعروق سوداء رفيعة وابر وشوك . لحظة هي زمن قائم بذاته . لا اول له ولا آخر بلا بداية او نهاية . قلت كيف اذكرها لو عشت مائة عام . غير اننى رايتها بعيني العمر نفسه تماما كما اعيشها الان . برودة الجو وقشعريرة عتقى وطعم الفلفل المجفف واتجاه الريح للخيفة الباردة

التي جاءت لحفظها تماما ، فعرفت اننى تقدمت في العمر قدرا لا يحسب بالسنين . وان كل ما عشته قبل الان ينتمى إلى اجيال شديدة البعد لا صلة لا علاقة لا رابطة بينى وبينها . اتركفتى بدايات الشتاء ونحن اول اغسطس ثامن شهور العام . اقول جاعفتى بدايات الشتاء لان سبتمبر يلى اغسطس ولا احسبه من شهور الصيف ابدا ، ابدا . ولماذا احسب سبتمبر من شهور الصيف وهو ارق ، اشرب ماءه فانكر ايلما حلوة راحت منى . صبلحها فرح . سملؤها بلا غيوم . نلستها يضحكون . راحوا من راحوا . قال رجل عجوز هو الحاج حامد صاحب التخيل وشجر البرقوق والتفاح قال اننى رجل ويمكننى الصبر . بدا لى القول سخيفا وفرض مجلس . لم انظر اليه . لم انطق حرفا ورايت الورق وعيدان القش فوق الارض وتسعلت ■ لا انرف دمعة ببلى ملحها طرف لسانى ، لكننى لم ابك . كاننى ودعت امى واخوتى وانا اعرف اننى سارجع صباح اليوم التالى واسمع الخبر من الحاج حامد والحاج حامد بالذات وعندما نزلت السويس من شهر وجاء عم خليل الجرسون ورايت وجهه مهموما ، فعلا عمره سبعون بل اعطينه من عندى اكثر . وسالته عن الحال فقال ان حادثا جرى اليوم وكان فظيحا فقلت ان كل ما يجرى اليوم فظيع باعم خليل ، هز راسه واسند صينية النحاس المثقلة باكواب الشاى الفارغة وهاجين القهوة وزجاجات الكوكاكولا .

قال لا يستاذ . قال إن نجلوا فى حى المثلث عاد إلى السويس بعد ان ضاق به الرزق ولم يطق التهجير لو قل انه لم يعرف كيف يعيش هناك . رجع إلى هنا يصلح نافذة او مقعدا . اى عمل يحتاجه فيه احد . يحمل شيئا لو ينظف مكانا . يعنى يلقط رزقه من هنا وهنا . جاعنى مرة هنا وقال امسح لك القهوة وتعطينى . ما فيه النصيب . والله يا استاذ اعطينته من جيبى ما قسم به الله ولم امسح له فهو يقلبى سنا . المهم ان امراته ولولده الثلاثة . بنت عروسة واخرى فى العاشرة وطفل ابن

سنة على باط امه . جاءوا لزيارته وبقوا ليلتين ، وفي صباح الثالث جاء عندي هنا . توقف امام هذا المطعم واشترى فولا وطعمية محشية وخبزا ، واثناء وقوفه جاء الطيران ، وكما تعرف ياسى مصطفى يجيء الطيران عادة في التاسعة والنصف او العشرة صباحا ، الظاهر انهم يعملون بمواعيد كالموظفين . جاءوا وضربوا المنطقة ، وفوق البيت بالضبط ياسى مصطفى . كان القنبلة نزلت بخيط من الطائرة إلى الأرض . ألف رطل قلبت البيت ، وسكت عم خليل ، قال ان الرجل رأى اولاده يخرجون بعد اربع ساعات من الغرفة فوق طاولة عيش . نصف الأم الاعلى . يداها ياسى مصطفى كان الحياة باتت فيهما تضم ابناهما الثلاثة . حتى ابنتها الكبيرة . السليم الوحيد فيهم الطفل . اه يا استاذ لو رايت عينيها ، مفتوحتين على اخرهما . انا في حياتي لم ار عينين مفتوحتين كما رايت عيني هذا الولد . كالبرقوق . تراهما وانت واقف بين الرجال فتخاف . ياسلام . الولد يسأل بعينه ياسى مصطفى عن سبب موته ؟ اول العمر . ولماذا جاء إلى الدنيا اذا كان موته سريعا بهذا الشكل . انا في حياتي لم ار طفلا يموت فريدا لم يعطني ولم ياخذ مني . لكنني رايت موتى انا . لحظتي في عينيه . ظننت ان دموعي خلصت من زمان ، لكنني نحت عليهم كالمرأة اما ابوهم فلم يرد على احد . نزل عليه سهم اسكته . إذا أمسكت يده يطلوئك . تآمره بالمشي يمشى . القعود يقعد . لكنه لم يبك ابدا . وعندما سمعت عم خليل قلت اتصور ان يحدث هذا لاي انسان في العالم . اما امي واخوتي فلا يمكن . وكما مرت ثلاثة اعوام راينا فيها القنابل والطائرات وعلزلنا احياء نستنفض ثلاثة وثلاثون عاما اخرى والاعمال باقية . حتى في ايام الدراسة . وانا اقيم بعيدا عنهم اصحو كل صباح في الرقازيق واعرف انهم بخير ؟ اسأل القاصمين من كفر عامر لو الجنائين . واخطف رجلى آخر الاسبوع لأشرب حليب القرع الطازج . وعندما سمعت الخبر . وتغير لون الهواء والفراغ ازداد اتساعا وخواء . رايت الاب النجار لا يبكي

دمعة ، ورايت شفتيه متلاصقتين شلحبتين من جلد جف وطبق الفول
بين يديه لا يجد اقواما تضغفه .

في تمام التاسعة والنصف ، تندفق العربات في الميادين ، لا يوقفها
موت ولا رحيل انسان . ولا الف روح ادمية عن العالم . يضحك
الناس ، يدمعون ، تتساقط نقاط المياه من الزير إلى الصفيحة الموضوعه
تحتة . ويد مجهولة في مكان قصي تضغط زرا اسود اللون احمر
او اصفر لو ربما تشد مقبضا فيطرد من الثبات صلوحا طوله كرجلين
متعدتين فوق الأرض . يطلع بطيئا وكأنه لا ينوى الاذى . يعبر
الاعمار والذكريات وصور الطفولة المنسية وعبر الاغاني القديمة
القديمة ونذات الليل ولهفة المسافرين . جوفه ملء بتروس واسلاك
متداخلة في انابيب مبطنة بمادة بيضاء طرية . وعندما امسك الضابط
بالعمود المعدني الابيض ■ إنه من انقى انواع الالومنيوم ودرجات
القلووظ دقيقة جدا تدور حولها صامولة مسدسة رمادية والعمود
يحفظ اتران الموت المحلق .

في تمام التاسعة والنصف . طال نظر الرجال إلى يرقبون ما افعله .
ما ا قوله . سالت بحس خفيض ومالوا برؤوسهم ليقتربوا مني
ويسمعوا ولا يتبعوني كما يتصورون . ثم يطلبون ان اكرر بصوت عال
ما قلت ، فاكدوا انها التاسعة والنصف ، وقلت كيف حالهم عندما . .
عندما . . ولم انطق بل رفعت اصبعي بيضاء كالجليد . نظروا إلى
بعضهم وحلروا . . وسمعت نهضة امرأة لم ار وجهها ولم اعرف من
هى . وسمعتها تقول اه يلحبييتى يا الطاف فعرفت ان امي الطاف
ذهبت . وحكى الشيخ خالد فاكد انه جرى عندما سمع الانفجارا الى
البيت . وقال زيدان انه كان يحرق الغيط . لكنه اسرع الى البيت .
وجاء جنود الموقع القريب . ورفعوا معهم الاخشاب والحجارة ولم يفكر
احد الى القنابل الزمنية . . ورايت عم خليل في المقهى . يسكت . تفلحة
انم في حنجرته تتحرك من اعل الى اسفل ويبلغ ريقه . . ثم يصف كيف

تعددت امرأة النجار فوق طاوله العيش بلا نصف اسفل . كان جسعها شطر نصفين بسكين جزار ماهر . ولا بد ان صرخة امي إن وجدت الزمن لتصرخ في تمام التاسعة والنصف اصدق الاصوات في وجه الزمن واكثرها رعبا وجنانا وخوفا ورجاء مكتوما ووداعا ورغبة في بقاء الآخرين . صرخة ، صيحة . الام امي اصدق ما تريد منذ ان دب آدم هنا واستمع إلى الرياح والضياح وسقوط الصخر من فوق الجبل . ومجيء الليل ثم النهار .

قال عمران انه رأى عبد المنعم يدفق دما من وجهه كما ينساب الماء مجرى صغير وعبد المنعم يلف قرب البيت عندما نزل صلوخ أرض - أرض ، وانهى الحنان والرفقة والعمر الطويل وتعريشة العنب وحنافات الأخوة وبهجة العيد وايام رمضان والاستيقاظ آخر الليل لتناول السحور واكله البوري كل ثلاثة وصوت يطعن على الإبقاء قبل النوم وشائ المساء ترشقه امي على مهل . تسرح في السواد العقيم الرائد فوق البيوت والترعة والمواقع والطرق التي لا يمكن التحرك عليها بعد آخر ضوء والانفجارات البعيدة والظيران المحوم كالفريان في السماء ، تسمع الصدى ولا ترى اجسام الالمنيوم المحلقة ونداءات العسكر وهدير عربة قريب ثم وقفة فجأة .

امي تذكر ايامها الاولى قبل ان تأتي اليها ، دخول ابني قبل مجيء الليل ومنديل به لحم وخبز يأتي به في تمام التاسعة والنصف . وتمنيت لو ان ما اسمعه وجه الى شخص محيري ، او تريد صدها في مكان بعيد عنا . بعيد جدا . وسالت روجي بدهشة . بحيرة ، بخوف . اهذا هو موت الاحباب ؟ وعندما مرت بعلمي الثامن او التاسع عشر هل كنت اعلم ان ما جرى سيجري ؟ ؟ وقلت اه لو يعرف الواحد ما سيأتي في العام الثلاثين . ليس كل ما سوف يقع . انما الكبير من الأمور ، لو اعرف لاخذتهم معي إلى الزلزليق ولعدنا معا . نقف امام حطام البيت ونقول امي ، امي ، كتب لنا عمر جديد وننثر القول الثابت لاولياء الله

ونقضى ليلة لا ننام فيها . غير انهم ذهبوا وتركوني فرعا ناحلا جافا
ضعيفا يتيمنا انقص في كل لحظة مرتين ولا تهتز شعرة في جفن الدنيا .
ولم يقطع انسان انفاس سيجلرته .

بالضبط ٥ تعلم التاسعة والنصف لم اقل حرفا ولم يومىء راسى .
وقال الشيخ حامد مرة اخرى ان الاعمار بيد الله وقال زيدان والله
لا نتركه وحيدا ربما عمل في نفسه حاجة وقال آخر لم اعرف وجهه مع
اننى في القرية اعرف الانسان من بعد كبير ٥ الظلام ومن طريقة ترد
انفاسه حتى وشكل خطواته . لكننى لم اميز من قال ان مصطفى سينام
عندى فجاءه آخر . البيت اوسع عندى وحفرة المخبا اكبر فلو حدث
شئ في الليل نزلنا كئنا وقالت جدى نجمة وليست امى لو ام ابى انما
كل عجوز هنا اقول لها بلجدة . قلت كنت اقعد مع المرحومة كل ليلة .
زغر اليها الرجال في العتمة . لم ارهم انما احسست حدة نظراتهم .
نظنت ابرة محماة طويلة تفجر مرارتى ونامت عظامى بحمل الهم .
امى الان . الان . تعلم التاسعة والنصف . مر . . مرحومة . .

قلت فجاء . خذونى الى عبد المنعم ابو العطا . فاخذونى . قبلنا
جندى . قال إنه من الخطر مشينا جماعة في الظلام . ربما نزلت دابة
ولا يمكننا التفرق . وقالت ماذا يحدث اكثر مما حدث . والقى احدهم
السلام ورد اخر لم اره ولم اعرفه ولم تتعمل . وانما اسرعنا . واصفيت
الى الصراخير المدسوسة في الهيش على ضفتى التربة . ورايت
عبد المنعم ابو العطا وجهها من شاش وقطن وقماش ابيض . وقالت لو .
لو . لو ان امى اصيبت لو احد من اخوتى اصيب . لرايته الان كما
اراه . قال طبيب الجيش الشاب إنها جراحة لولية ولم يمكن نقله ظهر
اليوم لان الطيران قطع الطريق عدة مرات . قلت ساذهب به الى
الرفايق . المستشفى الاميرى . وقال طبيب الجيش . المستشفى هناك
اكبر هل تعرف لحدا ٥ قلت ابدا . قال إن العملية هنا تكفى الان لكن
حتى يرجع سمعه وبصره فلا بد من امكانيات اكبر لا تتوافر عندى .

قلت هل يعود سمعه وبصره ياكثور فنظر اليه وقال محتمل والامل كبير
جدا في رأيي ، قلت ساذهب به انا ، قال سارسل معك عربية الكتيبة
الجيب ، فقلت له ان المرحومة لو عاشت وجرححت لارسلت معي العربية
طبعاً ، رايت عينيه يوضح للحظات ، ثبتت حديثهما وهزة سريعة
من راسه ، رعشة صوته ، البقية في حياتك ، حياتي انا ، وفي الليل
اصغيت الى بقبقة مياه مفاجئة ، انقطاعها ، رجل نائم يتاوه في مكان
قريب يتاوه متألماً من شيء اجهله ، ورمى الهاتف ، ربما يموت نفس في
هذه اللحظة تعلم ، يطارقون الدنيا ، غير اني لم لروحا عند الافق
المظلم تطلع الى السماء المعتلة بنجوم كثيرة ورايت نجما كبيرا يلعب
بوضوح ، ولو نظرت اليه الليلة التالية من نفس المكان ربما اجدّه اولا
ربما اجدّه اولا ، وانظرت نجم من ثقب ما في السماء مخلخا ذبلا من
لهب ، ذكرت اسم الله فهذه روح شريرة مطرودة وقلت من يدري ، ربما
هذه النجوم ارواح احباب يراقبون احوالنا غير اني لم لراقب امي
ولا اخوتي ، واثق انهم يرونني ، وبحلت بلا فائدة عن لعب امضغ به
طعاما احضروه الى لم اتحرك ، وسمعت انفجارات قريبة ورايت وهجا
وخطوطا حمراء متشابكة كان الدنيا تعجل بانتهاء كل ما تحويه وفي ندى
الفجر قالوا دع واحدا منا يذهب معك قلت ابدا ولا بد ان يعود اليه
السمع والبصر ليصف ما جرى ولرى تمام التاسعة والنصف ، وفي
العربية رايت قديمي عبد المنعم المتشققين وهو لا يملك ارضا في البلد
ولا جذع نخلة حتى ، انما يعمل في اراضي الآخرين ، ولا ابناء له
ولا اب يعرف . . وكنت اسأله من ابوك ؟ لكنني رايت صمعه فاحطته
بنزاعي . . واستقر العرق تحت إبطيه مالحا ، ربما احتفظ برائحة من
وقف بقربهم قبل مجيء الكائن الحديدي الطائر من الأرض وإلى
الأرض . .

وفي الزلزليق دخلت من باب المستشفى العمومي وطلعنا إلى صبيب
ضباب لا بد انه حصل على الشهادة الاعدادية نظام ثلاث سنوات ودخل

الثانوى وحصل على التوجيهية بمجموع كبير قسم علمى ، ودخل الطب
 وقضى به سبع سنوات ، قلت فلأسأله عما فكر فيه ورأه يوم الأربعاء ١١
 تمام التاسعة والنصف ، وبالتأكيد سينظر إلى بدهشة . . فالحق قائلاً
 أن أمى وأخوتى السبعة . . وبدأ غير راعب في الحديث ، شرحت كيف
 أصيب عبد المنعم فدار حوله وهو لا يعرف أى شيء عنى أو عن
 عبد المنعم وأسند سماعته إلى ظهر عبد المنعم وإلى صدره . . وأصغى
 قليلاً ولم أر داعياً لوضع السماعة فما الذى يشكوه في بطنه
 أو ظهره ؟ : الامه واضحة لا تخفى . وتأكدت أن ثمة طريقة أخرى
 يمكن الكشف بها على عبد المنعم أبو العطار لكن الطبيب الشاب لم يقم
 بها . . إنما أمره أن ينزل جلبابه . . وبقي عبد المنعم لا يتحرك ، كرر
 أمره ثانية . وبقي عبد المنعم واقفاً ، أنسلن اسم اعنى ، لا يسمع .
 لا يدرى ما يفعل به ولا معه أو أمامه أو وراءه . عندما أمره مرة ثالثة
 بضيق ، بصوت عالٍ ، قلت أنه لا يسمع يادكتور . . وكأنه تذكر ما قلت
 عندما دخلنا الحجرة . . فجاءت كلماته سريعة عذبة وثو جاءه فكر
 يشكو صداعاً أو اسهالاً أو ألماً في طرف الأصبع لكشف عليه بنفس
 الطريقة . وضع السماعة على الظهر والبطن في التاسعة والنصف .
 ولا بد أنه يحب الممرضة التى دخلت البنا ونظرت البنا ثم خرجت .
 كنت أقول لا تنظري البنا بضيق ، عبد المنعم لا يسمع ولا يرى ، قال
 الطبيب لابد أن تذهب به إلى مصر . رأيت وجهه وعينيه ويديه كل
 ما فيه ينطق بالعجلة . . ويقول أخرجنا . ولابد أنه لا يسكن في الزقازيق
 إنما أهله في مصر ويجيء إلى الزقازيق في قطار التاسعة صباحاً ، ويقطع
 المسافة في ساعة وربع ساعة ، ربما يتعجل انتهاء الكشف على المرضى
 ربما استطاع اللحاق بقطار الثانية إلا الثلث ليلحق في مصر بالبنات التى
 يحبها فعلاً لأنه يتظاهر بحب الممرضة الشابة . ودخلت علينا ثلاث
 مرات وكل مرة تلقى نظراتهما . وتنفست رائحة البنج والإدوية
 وبخار الغلايات الصغيرة . والقطن المنزوع عن الجروح ، ورأيت

الوجه المخلف بالقطن والشلل يدور حوله لا يدري صاحبه أين هو
 ولماذا تنتقل قدماء من هنا إلى هنا ومن صاحب اليد التي تشده أو توقفه
 نقلت يعني إلا يمكنك ورد بجفاء أنه لا يمكنه وامسكت بذراع
 عبد المنعم أبو العطا . ومشيت به إلى الممر الطويل . على جانبه تجلس
 بجائز يحملن في الهواء . بحثت عن لافتة تحمل « مدير المستشفى » .
 ولقيت بجوارها ممرضا ضخما قال أنه ليس سهلا مقابلة سيادته وهل
 اختل نظام الدنيا حتى يجيء رجل يسحب مريضا ليقابل البك المدير .
 أن كبير الأطباء من الصعب مقابله فما بالك بالمدير نفسه ؟
 قلت إن عبد المنعم حالته خطيرة . وأن اليهود افقدوه السمع
 والبصر . ولا يد من مقابلة مدير المستشفى . قل اسمع بلجده انت .
 رايت الاهانة . وفي اللحظة نفسها داس بلاط الممر رجل ابيض يرتدى
 عطفًا ابيض ونظارات طبية إطاراتها مذهب . اقتربت منه . في ملامحه
 طبية . اقتربت وافرغت في صوتي كل ما يمكن من رجاء وتودد ومذلة .
 ونظر إلى عبد المنعم وقال اعتقد ان الدكتور ممنوح على حق عندما رأى
 ضرورة ذهابه إلى مصر . قلت لكنه لم يمس رأسه . لم يكشف عليه
 نهلا . ابتسم ابتسامة مهذبة كالقطن الطبي . اسف يا اخي لهذا من
 اختصاصه . إنه مسئول الجراحة . وخجلت من إطالة حديثي معه .
 بينما وقف عبد المنعم أبو العطا يدوس الأرض بقدمين لا حذاء لهما .
 وجهه المكفن لا يدري أين يتجه . ودخلت الحجرة ولمست كتف الطبيب
 الشلب ونظرت الممرضة إلى يثبثت . قلت أن اليهود افقدوا عبد المنعم
 سمعه ونظره .

قصاح غاضبا . وهل هو أول الجرحى لو اخرهم . وقلت بهدوء :
 ما الذي فعلته في التاسعة والنصف يوم الاربعاء الماضي . . ولم
 يدعنى اكمل إنما زعق . امش يلوكد . نحن في مستشفى اميرى وليس
 مستشفى للأمراض العقلية .

وأنا مصطفى أبو القاسم لست ولدا . أنا مدرس من كفر عامر ومعنى

دبلوم معهد المعلمين وأنا الذى ازعق فى وجوه التلاميذ يولد وليس
 الطبيب . غير انى خفت فعيد المنعم وأنا بلا سند ، بلا غطاء ولو أن
 الطبيب كشف على عبد المنعم أبو العطا بعناية وقال اذهب إلى مصر إلى
 السند إلى الهند إلى آخر بلاد الدنيا لمضيت . لكنه وضع السماعة على
 الظهر والبطن . . وما هذا بالكشف الصحيح فلا بد أن الأمر لم ينته
 هنا ، عدت إلى المرض الضخم . . فزعق وأعلن أن اليوم شؤم وبراء
 اسود اللون . فاحطت عبد المنعم بفراعى ومشيتا مسرعين . . وربما
 تسببت فى إيلاعه حتى أنا لا ادرى كيف اشعر بأنه نال فى هذه اللحظة
 أو توجع . أو جاع . أو يرغب فى جرعة ماء . هو لحظة الاحتضار
 نفسها مجسدة . بينى وبينه سد لا لراه . ابطات خطواتى . ولم اذهب
 إلى مدير XXXXXXXXXX التعليمية وعمل يتصل به ويعرفنى وله نفوذ وربما
 يتوسط لنا أو يعرف مدير المستشفى الاميرى . ولكننى مشيت ولم أر
 احدا حتى وقفت امام المركز . وقلت اليك المأمور موجود ؟ فقال الجندى
 انه بالداخل . ولم يكن اليك المأمور موجودا إنما المأمور الذى يقصده
 الجندى ضابط يجلس إلى مكتب بنى اللون قديم الطلاء تفرشه قطعة من
 قماش الجوخ الأخضر وفوق سماعة خشبية علق عليها غطاء رأسه
 وسنرته الخارجية ولعلت نجوم ثلاث ذهبية على كتف السترة الايمن
 المواجه لنا . قرا ورقة . ثم ورقة اخرى . بجانبى عبد المنعم لا يرى
 ولا يسمع ولا يقدر على الكلام . ولو انه تزوج وانجب اطفالا لصار فى
 بيته مناحة الآن . لكنه لم يتزوج ولم يفجب وأنا لم اتزوج ولم انجب .
 ومن الثالثة دخلت اصوات الطريق . نداء باعة . خفاقة اطفال صغار
 عربية مسرعة . اصوات النهار عندما يعجل بالرحيل . نهاية النهار
 تلخيص ابدى للبعد وفراق الاحبة ونهاية الاعمال فجأة قبل الاوان .
 امام الطوب المحروق والخشب المتفحم وجروح الأرض ثم اصدق ان
 ما لراه بقليا بيتنا . حزمة ثوب سليمة تماما حملتها اثرا غاليا . بقليا
 ملابس ضام زهاء الوانها . لم اعرف أى اخوتى ارتداها . شد اطرافها

واختل بها ، حلة نحاس منبعجة ، يد ضخمة مجهولة لونها وملاتها
حقرا صغيرة ، علية لحم محفوظة ملقاة فارغة ، ارى نفس عندما
اشتريتها وجلست في الفناء لدير مفتاحها الصغير واخوتي يرقبوننى ،
امى تصيح من الخارج ، هل انتهت من فتحها ؟ ؟ وجاعنى الحزن عفا
قويا قاسيا في موجات متتالية كهجوم انتحارى ، حزن يجلف اللبن من
صدور الامهات ويعيده إلى نهود العجائز ، أم من لون النهار الراحل
اليتعد .

التاسعة والنصف ، خرسات اصوات الدنيا ، قل الضابط لفتلا
واحدا كمجىء الطيران فجاة على ارتفاع منخفض ، بوغت ، قلت أنا
مصطفى ابو القاسم ، مدرس ابتدائى بقرية كفر علمر
السويس ، وحتى يتأكد ويصدقنى ويثق اننى لا اكتب عليه ولا الفكر
حتى في الكتب عليه ، اخرجت بطاقتى الشخصية ، وبطاقة عضويتي في
الغابة المهن التعليمية ، وبطاقة اشتراكى في القطار ، لم ينظروهم إنما
نعم ، ورايت انه يطلب منى ان احكى له كل شيء . . .

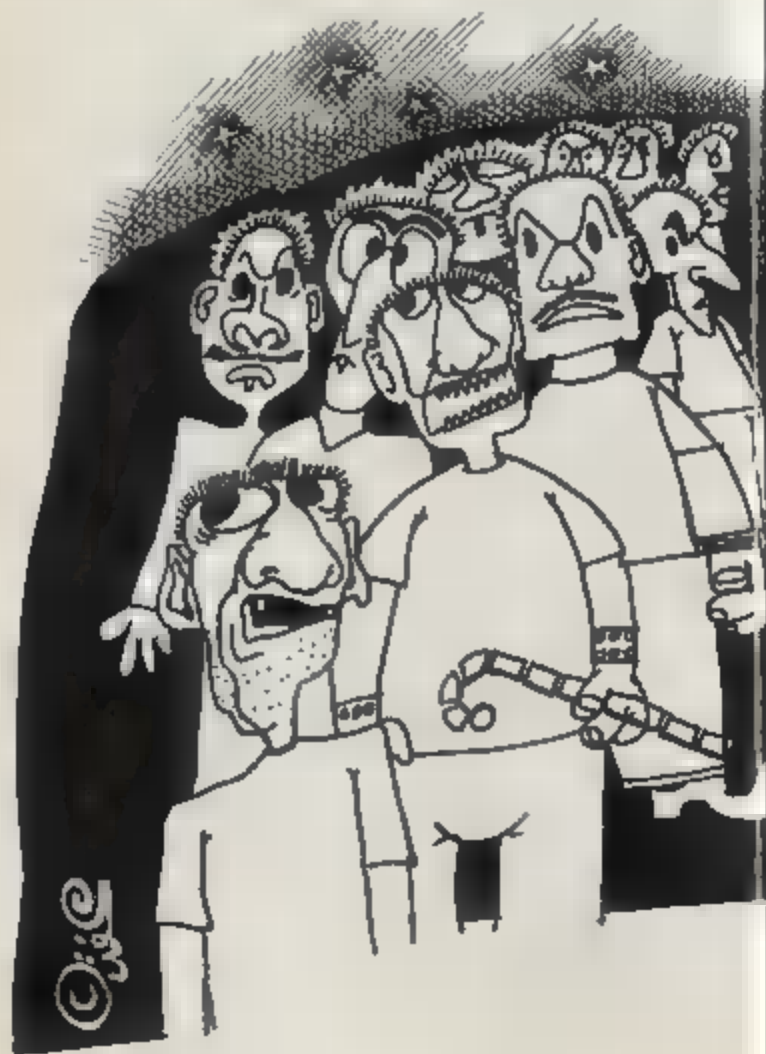
التاسعة والنصف ماتت امى واخوتى السبعة . .

دارت اصابعه حول بعضها ، وبعد صمت قصير لم يرفع عينيه عنى
كانه لا يلحظ عبد المنعم ابو العطا . سال ، اين ومتى ؟ ؟ قلت
سريهم اليهود بصلروخ ارض - ارض وهم يفترون صباح الارباء
/ ٨ / ١٩٧٠ ، امسك بطاقتى الشخصية ، تمعن فيها ، ورايت النهار
اجها حزينا شاحبا يتسحب بسرعة من وراء النافذة ، يهجر الدنيا ،
ارلت متمهلا ، لم احضر اليه من اجل هذا ، انما جئت اشكو طبيب
ستشفى الاميرى ، ومال وجهه قليلا . سالتى امزال هناك فلاحون ؟ ؟
ارت الجنائين والقطاع الريفى بالاسماعيلية والسويس عندما . سال
ليذا لم تهجروا ؟ . . . قلت ان الارض تحتاج الرجال وكل واحد رزقه
هناك وان الارض في السويس مالحة ولو تركت شهرا واحدا لطلع فيها

الحلقة والهيئتين واحتاج إصلاحها زمنا طويلا ، قال انه من قلة العقل ان يبقى الانسان في مرمى الهلاك وهل هذا اسمه كلام ؟ ! ولم اقل نعم ، لا اقل لا ، ورايت اخوتي يسرعون من البيت الى الغيط ، وشوكة صغير تنفس في قدم امي تجلس على جانب الطريق ، تحاول اخراجها ، اعوز اليهم في الاجازات مع اخوتي طلبة المدارس ، تراقبنا امي ، يتوسط ذقن وشحم اخضر باهت كالعمر المنقضى .

سال الضابط ، لماذا تشكو طبيب المستشفى ، قلت باختصار ايضا ان عبد المنعم ابو العطاء هذا اصيب وجئت اعالجه لكنه كشف ع الظهر والبطن ولم يلمس عينيه لو اذنيه المصابتين فعلا ، وصرفنا ولا بد ان يرجع اليه سمعه وبصره لاعرف ما جرى في التاسع والنصف ، هز رأسه ، رنت ساعة كبيرة سبع دقائق وفور كالنهي ، نذا الليل المسود الثقيل ، قال ارجعا في الصباح ، ودارت الأرض بي نصفا دورة ، ثم نصف دورة اخرى وتقدمت خطوتين ، قلت ارجوك ان تنفذ اللازم لاننا دربنا كثيرا ولا اعرف ما جرى له .

قال ارجعا ■ الصباح ، ورايت النهار مذبوحا تماما بالظلم والمناجل والرصاص والمشارط والليل يسد الفراغ كله ، وبصر الابدية ، قلت ياسيدي هل يرضيك هل يهون عليك ان يفقد الانسان سمعه وبصره فلا يسمع ولا يرى تخيل انك . . لكنني اسف جدا تخد انتي انا لا اسمع ولا ارى ، وعلى وجهه بدا شبح ابتسامة خفيفة ، قال ارجعا في الصباح ، ورايت كلماته ابدى تشدني ، اوامر تمنعني التقدم . كلمات بيتج تخرس البوح في صدري ، قطارات تدور عبد المنعم وتدهسني ، ولا بد انه لا يريد ازعاج نفسه وربما ضل احد قبلنا فانثر صرفنا . وعند الباب سمعته يقول ، كلما عشنا شفتنا الطريق بدا الليل صلاما قاسيا ينوى الشر ، نجومه غامضة ، باهتة غير واضحة ، ليست كما نراها في كفر عامر ، واليشر حولنا يعضو رؤوسهم الى الامام ، يتسمعون الهمس ، وحوش يعضون الاتي .



ياعمون ترائي ولا تدري من انا ولا مصعب عبد المنعم او بلواه عبد
 المنعم غارق في ليل ابدى . وفي صبرى بقى قلبى يؤلم ضلوعى كشظايا
 من حديد سلخن ، عبد المنعم سيرجع الى الجنائين ، لن يعمل لن يتسلق
 النخيل ، لن يجنى البرقوق ولا التفاح كما انى لن اسمع صوت امى
 ولن اشرب الشاي كل مساء من يدها وكانى لم اسمعها ولم ارها ولن
 تنجبني ولم تات الى الدنيا قط والا . فلين هى وكيف ذهبت مع اخوتي
 مرة واحدة ؟ . وبعد سنوات لا اذكر ملامحها ، وشمها الأخضر ، طو
 قلمتها ، ويضيق الناس بعبد المنعم ابو العطا ويطربونه من طريقهم
 وربما عطف عليه بعض الاسياد فالحقوه رغيفا وقطعة لحم في الاعيا
 او المواسم ، ومن يدري ربما رحمه اطفال صغار يولدون الان وصلحهم
 خلفه محدثين ضجة لا يسمعها ابدا . ولا اسمع منه ما جرى
 ما حدث . في تمام التاسعة والنصف ، ولو قلت لشخص ما بعد عم
 سنوات او خمس او ستة واحدة حتى ان امى ملقت واخوتى السبعة
 الطلاب منهم والمزارع واختى الوحيدة ، كلهم ذهبوا ، لنظروا الى بشا
 وقالوا مجنون لو يحاول استئجار عطفنا . بل انى لو مضيت الان
 المدن الكبيرة وركبت العربات واوقفت المارة ■ الطرقات وزعت
 يصدقونى وان يعالجوا عبد المنعم ابو العطا ، فسيضحك الشبان
 وتعالى الفتيات بنظراتهن . . ويقول القوم . . حيل جديدة للتسول
 فهل يعقل ان يفقد انسان اى انسان امه واخوته السبعة في وقت واحد
 ولماذا بقى هو ، واذا حكيت لهم ما قاله عم خليل عن النجار وامر
 وعيله الثلاثة لقالوا تخاريف مجنون او عجوز عبر السبعين بسبع
 ولو قالوا اين نجاك العجوز ؟ . احكى ما قاله عم خليل في العا
 اصفر اللون الكتيب الذى تقرئ فيه طلقات الهلوزر . . لا نرى القذا
 انما نسمع صوت خروجها ثم انفجارها بعد ثوان .

قال عم خليل ان الاب كلن ياتى عندى هنا ويجلس صامتا يشا
 المنسل وسمعته ينطق لأول مرة منذ يومين عندما تلفت حوله و

بصوت عال ، السلام عليكم . وقال لنا سائرون الاولاد . وذهب الى
ابنتائه . وبعد ان قرا الفتحة حط رأسه واغشى بجلنهم ولم يبق .
قلت بصوت عال : مات ياعم خليل ؟

قال ولم يحط منطلق : يرحمنا الله اجمعين . . ولا بد ان الطبيب في
الوقت ذاته . التاسعة والنصف الآن . يمشي في شوارع القاهرة . لو
يتمدد امام التليفزيون . يسمع نشرة الثامنة والنصف . لو يلف متانقا
امام دار سينما . ربما ترقه نراعه في نراع حسناء بيضاء . بينما يقرأ
الضابط اوراقا او يشرب شاي . اخرون في المقاهي يتحدثون عن نجوم
السينما . العضلات التي تقابلهم في حل الكلمات المتقاطعة . القوى
الليل سيخا يحمي في روحى . الضابط لم يعطنى بطاقتي وانا الآن
ضائع مجهول الشخصية . بلا ام بلا اخوة . ولا احد يسأل عني اذ
تأخرت او تأومت في نومى . لو فلجاني كلبوس ثقيل . من يوظفنى .
لا احد . لا احد . الويل لي لن يوظفنى احد واموت مكتوم الانفس . اما
عبد المنعم فلن يسمعنى . هو بلا بطاقة شخصية طوال عمره . وتمنيت
لو اشرح حالى لهذا الطويل الاصلع . والجالسون بالمقهى الغريب
الواقفون في شرفات الفندق . للمدينة المزحمة . لا عرض لها ولا طول
في اعيننا انا وعبد المنعم ابو العطا . اشكو لقاطع التذاكر في الاتوبيس
والوجوه داخل اطارات الصور والركاب والمقاعد والفلل الرملية
واسفلت العودة . واه لو يظنق عبد المنعم فيصف كيف طارت الشظايا
بزواوية قدرها خمس واربعون درجة في التاسعة والنصف لتضع حدا
لأفلات من عمرى وما هو لت .

ولم أريد سؤال من قبلونى عند الجسر لو الكويرى . وكلما عنت من
اجازة اتفحص الوجوه واسأل عن الناس . ولا بد ان اسمع خبرا واحدا
او اثنين . وعندما التقى برجل لو امرأة اقول في عقل . . ما زالوا على
فيد الحياة . لم اتوقف لحظة . وعضيت الى بيت قديم هجره اصحابه
وجلست فيه ومعى عبد المنعم ابو العطا . اصغى الى اصوات الليل

وضجة النهار الريفى . اسمع الاقدام تجرى الى الحفر . عنف
الانفجارات ، الدانات . الهدوء ثم الاصوات البشرية الأولى تنلدى
بعضها . اعرف ان اصحابها اظفوا من هلاك اكيد . وفى البداية كانوا
يصيحون على . مضى الوقت ونسونى ولم اعد ارى الا حليلة صئبة
امى واخت طفولتها وعمرها . تاتى اليها بالطعام نيئا ونسويه . تغسل
ثيابنا . عبد المنعم جالس لا يقول حرفا . هو الصمت نفسه . العالم
بالنسبة اليه منزوع الحنجرة . مبتور اللسان . الدنيا حوله مطموسة
الملامح . تفرق فى سواد لا تبدد انفجارات او ضجيج او اندفاع
عربات . جاعنا الشيخ حامد . اصفيت اليه . اصفيت . انما انتظرت
باصرار ان تظهر امى عند الباب وراءها اخوتى . اه لو جاموا . لن
افرقهم ابدا . احيط بهم ايامى ولحظلتى . معنا عبد المنعم . ومنذ حين
لم اعرف مقداره لم تحدث انفجارات ليلية او نهائية واصفيت إلى
عربات ورجال يزحفون وصبية وآخرين يعودون الى القرية وعرفت من
حليلة ان الضرب توقف لمدة وان القوم ■ يعرفون هل ترجع الحرب ام
لا ؟ ؟ رايت امى تقول يجب ان تتزوج . فقلت زاعقا اه يا امى . اه
يا اخوتى . لو انكم رحلتم فى زمان غير الزمان . وبقيت انا لعرفت كيف
ارثيكم وانشر حزنى فى العالم كله واشرك البشر اجمعين فى البكاء . فى
النواح . نسيت وجه الطبيب الشاب . ملامح الضابط . مدير المنطقة
التعليمية . نسيت شكل الصحف . ولا اعرف العلامة المميزة لجريدة
الاهرام من الاخبار وهل توجد صحف اخرى وهل اصدروا صحفا
جديدة . وكلما سمعت الراديو سمعت الغناء والشيق المنسل بلا
حساب والاحاديث وتكلف المتذيعين . الاصوات تسد اذنى فلا تسمعان .
طوال الوقت حديثى إلى عبد المنعم ابو العطا . انظر إلى عينيه
المغمضتين . هو لا يسمع او يرى . انما اثق انه يرانى ويصفى الى .
وفى صباح ولا بد ان الصباح بالخارج فهذا الزحام لا يحدث ليلا .
سمعت اصواتا . ومكبرات . وبريق اضواء . اهى قافلة سفن ؟ ؟ أين

يوم الجمعة واكتملنا حول الفطير المغموس في اللبن . الصقت عيني بالياب . رايت امامه رجالا كثيرين . خفت . انا بلا بطاقة شخصية وبينهم رجال بوليس . ناداني الشيخ حامد . تواريت اكثر . دخل مسرعا . همس في اذني ان رجلا كبيرا يزور القطاع . اخبره بحالي واعتكافي حزنا على امي واخوتي السبعة فجاء يعزيني . ومن الذوق بل من الواجب السلام عليه وتحيته . قلت انا بلا بطاقة شخصية ياشيخ حامد . قال مغتظا . بلا فضائح تعال معي شدني إلى الفناء الخارجي . رايته معتلنا بكثيرين يرتدون قمصانا وبنتلونات واحذية بنية اللون وسوداء . يلتفون حول سعادته كالجوقة حول المغني . كل منهم يريد ان يبدو اكثر قربا . يظهر بجواره في الصور الملتقطة هنا . لم اعرف وجه سعادته او مناصبه . المصورون يقفزون ويرفعون الاتهم في حركات سريعة عجيبة ويميلون الى الخلف ميلا شديدا . ويركزون إلى الأرض بانزعجتهم . خفت . ربما كسروا شينا في البيت . سعادته غير مهتم بهم او منتهبه اليهم وان بنت كل حركة . كل وضع يقوم به . مخصص لهم حتى يبدو في الصور بانشكل مختلفة معينة ربما يتخيلها الآن . نظر سعادته الى .

هو جامد القوام قصير . صافحتني بنصف ذراع ممدودة قال البقية في حياتك . لحظة خروج الكلمات من شفثيه تذكرت . اسرعت إلى الداخل . جرى ورائي الشيخ حامد . عدت ممسكا بذراع عبد المنعم ابو العطا . قلت لسعادته ان الطبيب كشف على عبد المنعم من ظهره وبطنه . ولم يهتم الضابط عندما شكوت اليه الطبيب . وعندما رجعنا اليه لم نجده ولم يسعنا كبير او صغير . كنت اذكر سحب بطاقتي الشخصية . خفت ولم انطق . وقال واحد من الواقفين حوله يعني ماله يعني ماله ماله ؟؟ لم انظر اليه . وجهت حديثي إلى سعادته مباشرة . شرحت . اين ومتى وكيف اصيب والعلاج اللازم له . التفت سعادته قال يا صبري . واسرع شلج يمسك ورقة وقلم حبر .

جاف ، نعم يا انعم . وقال سعادته اكتب اسمه وليجىء غدا لنحوه
الى المستشفى ، همهم الواقفون مستحسنين قرار سعادته وخطا رجل
غليظ الرقبة لم اراه ابدا من قبل ، اشار الى عبد المنعم ابو العطا
واقفنه اشار ناحيتي . صمت الجميع . وقال الرجل وهو مزال يشير
اليها ، هذا رمز عظيم لصلابة الفلاحين الذين تحملوا الصعاب وعاشوا
هنا في هذه القرية ايلما بلغة العنف والقسوة وبقوا رابضين في الساحة
امام العدو .

وتساعت كيف يربض الانسان ، وخرجت الكلمات من فم الرجل
متتابعة . لم تشرق الاضواء ولم يتحرك المصورون ، وسمعت احد
الواقفين حول سعادته يصمص شففيه ويقول ، إنه سيكتب مسرحية
عن هذا . وقال لخر . يسلام على البطولة . تمنيت لو ارجع بسرعة
اجهز ثيلبي لارحل مع عبد المنعم ربما نطق وسمع فارى واعيش
ما جرى في تمام التاسعة والنصف . سألت روى كيف لم اذرف دما
على امي حتى الان ؟ اهذا وفاء اول الابناء واكبر الاشقاء ؟ كيف ؟
رايت اخوتي . امي . رائحة ثيلبيهم ، حديثهم . اكلهم ، شربهم . كل يوم
يمر تقاي المسافة بيننا . في تمام التاسعة غمست قلبي في الوحل . جرى
الماء ملحا بلا اول ولا اخر ، برقت الاضواء . رايت بريقا وزمانا يولي
ويتلصص . مد سعادته يده . قال للمرة الثانية البقية في حياتك . اقترب
مصور يرتدي جاكته ورباط عنق احمر اللون . غمزني في كتفي . قال
باصرار .

ابتسامة صغيرة . . يمكن ابتسامة صغيرة . .

١٩٧٠





وقائع حارة الطيارين



مذكورة إيضاحية حول واقعة رقم ١٠٦ قسم الجمالية - القاهرة

... انه في يوم الاثنين . وفي التاسعة صباحا ،
حضر إلى قسم الجمالية عدد خمسة أشخاص . من
سكان حارة الطيلاوى . ثلاثة نكور . اثنان اناث
وبيانهم كالآتى :

١ - حسن الهندي مقول . بإدارة مكافحة
الدودة . قسم الفقس ، وزارة الزراعة .

٢ - فاروق سعد (الشهير بابى قورة) .
صاحب مقهى بالحسينية .

٣ - عويس يونس ، قران بفلحية كفر
الزغلاوى .

٤ - شمعة لطفى ، حكيمة بمستشفى الأزهار
التمونجية .

٥ - محاسن حصن مدرسة ابتدائي . تعمل بمدرسة النحاسين الابتدائية .

وتولى حسن الهندى الحديث نيابة عنهم . فادى بالبلاغ التالى : . انه منذ ستة ايام قام بخروج النمرسى . اعتبارا من الساعة الواحدة صباحا وحتى الساعة بدون انقطاع بمخاطبة اهالى الحارة مستخدما بوقا مما يستعمله شرطة المرور فى الميادين والطرقات العامة . وسبب ازعاجا لسكان . علما بأنه يبتدىء كلامه بعبارة بذمة تسب اهالى الحارة عليهم . تصفهم باقبح الالفاظ وانتقها وتمس العرض والشرف . ونتج عن هذا القلاق راحة المرضى . والاضرار بصحة الحاج احمد العتر تاجر الورق الذى يعالج منذ عامين بسبب اعصابه . ولما زاد الحال . توجه اليه عدد من سكان الحارة وجيرانه الدامى . طلبوا منه المكف فردهم بعنف . طالبهم بفعل ما فى وسعهم . وكرر مرات انه حر . ولا يعنيه احد ولا يوجد نص قانونى يعاقبه لان الجهاز الذى يستخدمه لا يخضع للقيد المفروضة على استعمال مكبرات الصوت الكهربائية وذكر ارقام مواد ونصوص قانونية ثم حدثهم عن ماضيه الطويل اذ عمل جنديا الخدمة السرية لقوات الامن العلم واعلن (هناك شهود على ما قاله) . انه خرب بيوتا عامرة خلال خدمته . وان احد اقربيه يعمل الآن بمنصب امام للغة . ويقوم بتمزيق الشكاوى المرسلة ضده بعد اطلاعه عليها واحدة . واحدة . ثم اغلق الباب بعنف . وفى الواحدة صباحا بدأ حديثه اليومى . قذف من جاءوا واحدا واحدا . بالالفاظ بذيئة . وعبارات غريبة . عندئذ اطل بعض المسنين . صلحوا عليه راجين السكوت . واحترام الجوار فالنبي عليه الصلاة والسلام لوصى على سبع جبر . وهنا زاد من بداعته وسبهم بالالفاظ تخدش رجولة كل منهم . واطلت فويشة امراته لأول مرة اعلنت وقوفها بالمرصد لكل من تسول لها نفسها انتهج عليها . او على زوجها وقالت انها صاحبت حريم الحارة والحي اربعين عاما . جمعت لزوجها دخروج . معلومات تكفى لسد كل بيت

بالجيس ، ثم ذكرت امثلة . وسبب وقوع مشاجرات بين افراد عائلات لم
يسمع لهم حس من قبل ، مما اضطر السكان بعد ستة ايام من العذاب
المتصل اللجوء الى الشرطة . وانتهى ضمن ائقواله مطالبا الامن
العام بالتدخل لحماية الاهالى من المذكور وامراته غويشة ، فاليوت
العامة تكاد تخرب . .

ومن ناحية اخرى افاد مسعد الفندى القاطن اسفل المذكور ، انه سمع
مكبر الصوت نول ليلة وقيل فيه ، الو . . الو . . واحد .
اثنان . ثلاثة . الخ ، وتلاوة البسملة عدة مرات ، وبعض آيات
الذكر الحكيم . عندئذ طلع الى دحروج فلما منه ان مصابا وقع ، مما
استدعى تجربة مكبر الصوت في هذه الساعة المتأخرة ثمهدا لتلاوة
القران في اليوم التالي ، عندما طرق الباب فتحت غويشة وقالت بدور
مقدمات : ، اخيرا حلفت الساعة . ولم تدع فرصة لمسعد الفندى كي
يستفسر عن اى ساعة تقصد ، انما اكملت ، دحروج سيحلق
ما انتوى . . لجيرانك . وجيران جيرانك . . اخيرا . . حانت
الساعة ثم الخلفت الباب بعنف ، وانقسم مسعد الفندى على صحابه
ما حدث بفتحه المصحف على سورة ياسين ، ووضع على عينيه واقفا
يعينا . .

كما قدم المدعو فارس الشهير بابي قورة ، شريطا سجل عليه بعض
من اقوال المذكور عن طريق المكبر ، ، تم تفريغ محتويات الشريط
واستعان بجهاز تسجيل ملركة جرونديج خصصه لاداعة اغاني لم تكلوا
على زبائن المقهى ، وافاد الجميع بان الحارة لم تعرف القلاقل عن قبل
وتعد من اهدا الحارات وانظها في عدد المشاغبات والحوادث نادرة بها
وسكنها مسلمون لا يميلون الى لزجاج الغير . ويحترمون القوانين
والجوار . الذى لا يال بالنسبة لاحضهم عن عشرين عاما ، وابتاؤا
التلاميذ متفوقون . ومنذ عشر سنوات جاء قرتيب سيد ابن الحاج
نصيف الثالث في شهادة الاعلانية (وطلبوا بلجراء بحوث وتحريات
تثبت هذا) والآن لا يستطيع الطلبة استذكرا بسبب اعمل المذكور
دحروج وامراته غويشة . . .

ملحق (١)

محتويات شريط مسجل عليه بعض الأقوال المذكور . ولم يتضح في هذه التسجيلات . هل تمت ليلا أو نهارا . ولم يعرف تاريخ كل منها . برجاء وضع ذلك في الاعتبار .

(١) إذا اطلعتم بانفسكم . ورأيتم ما رأيتم . وهذا ستحيل ولم يتوفر لانساق قبل . انكركم هنا بللهن العبيدة التي عملت بها . انقذت كلا منها . قضيت بها زمنا . انكركم باخر اعمال . خدمتي خمس عشرة سنة في صفوف الخدمة السرية بالامن العلم . تنقل بين جميع المديرات والمراكز والقرى سفرى الى بعض بلاد العالم في مهام خفية . لن اتحدث عن تفاصيلها الآن ولكن سيحين الوقت . ستهلون ذهولا عظيما وتقولون . كيف عاش بيننا اكثر من ثلاثين عاما تواجدت بينكم . هل شعروا بى . هل عرفتم اسرا واحدا عني . هل سمعتمونى اتحدث عن احد بما لا يليق . طلق صغتي والان يمكننى قول ما في قلبي . ستهلون كلامى شيئا . البعض سيضيق به مؤقنا . لكنهم في النهاية سيوجهون الى شكرى . لاننى قومت حيلهم وانظرت ما تعرفونه ولكنكم نتجاهلونه . لكن العذر حق لكم يا اهالى الحارة المسكين . من لديه خبرة عمر مثل . من امسك بواطن الامور . من انرك الحقائق الخفية مثل

(٢) يا معلم يونس . والله لارثى لك . سخرت منى وان ارد عليك خذها منى نصيحة . اتا لا احب الشجار . ولا الوقوع في مشكل . يا طول عمرى لم اقع في مشكلة . لم اقم كسهم الى اى مسئول . لاننى من اقدم من طيب . زمن حلو . زمن علق . رائق . غير زملكم الموحل . الاخير . يؤمكننى ساقوم المعوج فيه . فغير امور . فوجهه . يا معلم يونس . اتا حان الفضحك . لكننى انتبهك الى ما غاب عنك . طبعنا تعرف بكان المعلم يا اهل المنجد في بيت القاضى . كلنا . كل اهالى حارة الفقر هذه

تعرف يا معلم . . من يدخل بيتك بقرطاس الفلكية كل أحد وأربعاء .
لنت تخرج حوالى العاشرة ويستلم مكانك فى الثانية عشرة . العيون
تحفظ منظره بالجلباب الأبيض . بخواتم الذهب والمسنن البنى .
الحلوة كلها تعرف ولا أحد يخبرك . لأن . سكنها عندهم ما يكفيهم . .

و . .

(ضجة . تصفيق . أشياء تسقط . اصوات . .)

(٣) . . قبل اى كلام . انفيه يا حسن الفدى . يا راجل
يا دودة . انا لا يفوتنى شىء ابدا . ما من نفس رائد لديكم
الا احصيته . ما من همسة الا وترجف طبله لذنى هنا . الا تعلمون ان
جدى كان عالما كبيرا فى الازهر وانه ترك لى مخطوطا قديما وعلمنى كيف
استخدمه . فاعرف منه المستقبل الآتى ونهاية اعماركم . الا تدركون
اننى تلقيت امرا بالحديث اليم عن طريق هذا المخطوط . يمكننى ان
انبىء كلا منكم بيوم يحين فيه اجله . ومن لديه هذه المقدرة لا يغيب
عنه ذهابك الى قسم الجمالية . فزعك وهذا ضدى . شكوتنى . طلبت
ابقاء اسمك سرا وهذا جبن . العجيب انكم جميعا جبناء . هذه سمة
يتيمة توجد بينكم . إذا خفت منى انا الفقير الضعيف الذى ناهز
السبعين فلماذا لا تخشى الله خالقى وخالقك ؟ بلغنى ما قلته عنى
امام مقهى البنتان ما جرحت به امرأتى غويشة . تهديدك بلغنى باقربك
فى وزارة التموين . ماذا تظنهم فاعلين ؟ . اعلم يا حسن . . يا امالى
حلوة الطبلالوى الكرام . ان ابن خالة امرأتى غويشة كونستابل ممتاز .
ولا ينقطع عن زيارتنا ويرجونى كثيرا ان ارد زيارته لدرجة اننى
خجلت منه واعلموا ان عليه سجانته تحت امرى . اسحب منها وقتما
اشاء . ولكننى لا استعين به قط على اعدائى . لأن احوالى وامورى الضم
لن ابوح بها ■ تحمينى وتجعلنى . .

(٤) . . ما رايك يا غويشة ؟

امانة : الرأى لك يا محروج . .

— لن ارد على ما قلته الحاج سنوصي بفتح العطر . .

امراة : وصلتك اوصافا بذينة يا دحروج . .

— لن اخرب بيته يا غويشة . لن انكر مصنع العطور الصغير داخل شقته . . الحاج يتهرب من الضرائب يا غويشة ومن التامينات الاجتماعية ، ويستخدم اولادا صغرا . .

امراة : يا خبر . . والنبى لا اعرف هذا كله . تصور انه يلف على صفوف المصلين في الحسين . . يمسح ايديهم بالعطر ويبيع زجلجات صغيرة يقول عنها . . بركة من عند النبى . بركة من المدينة المنورة . .

(٥) . . يا اهالى الطبلاوى ، يا مسكين . يا وجوه النحاس ، يا اشقياء عندما اظهر حيالتكم من الكتب ، عندما لزيح عنكم النفاق والاضطراب وانظم اموركم بطريقتى . سائرل اليه . واطلب منكم ان تحكموا عليه . وتلقنوه درسا . .

(٦) . . مثلا امراة عمر بدوى جالس البهائم في الاسواق . نتحدث دائما عن اقاربها في مصلحة السكك الحديدية . . والذى . . والثروات الطائلة . دائما نكلمكم عن اهل زوجها الاشقياء الذين نهبوا نصيبه في الميراث . عم بدوى يرفع عليهم القضية تلو القضية . لهذا ثمة ثروة ستاتيهِ يوما ، عندئذ تشتري الست نعيمة بيتا في مصر الجديدة حوله حديقة ، ونملؤه ■ فلخرا وتنفارق الحارة القذرة ، واهلها الانجاس ، يا اهالى الطبلاوى البلهاء . لاننى اعرف كل كبيرة وصغيرة ولاننى اعلم خباياكم . ما تظهرون وما تبطنون . لهذا ساقول لكم الحقيقة . الست نعيمة التى تتعالى علينا . وتحذثنا من طرف ما انفها . لا اقارب لزوجها كما تقول . لها اخت صغيرة لا تدرون عنها شيئا اسمها راجحة وتسكن بدروما قديما في حارة سيدى معاذ . زوجها بائع هريسة متجول . وحتى التزم الدقة . اقول انه يبيع بطاطا فهو يمتلك فرنا فوق عربة يد . راجحة تساعد ■ كسب العيش . هل تدرون كيف ؟ عندما تتشاجر امراة مع جاريتها تذهب اليها . تعنحها قروشا قليلة . او قطعة لحم في رغيف وتمسعين بها . اخت الست نعيمة لها

محاضر عبيدة في البوليس وعندما نكل المشاجرات تحترف الخشب ولطم
 الخنود وراء الموتى يا أمالي الطيلوى . يا لكذب خلق الله ، في زمانى
 البعيد الطيب ، وابن انتم من زمانى ؟ ! لعلكم لا يسمح لهم بالعيش
 فيه ، اه . . راح زمانى الاخضر ولبسه الهنية . في الليل نسمع الاغنى
 في المقامى الدافئة . ونشرب الجنزبيل والقرقة . نصلى الفجر ، في نفس
 هذه الحرارة ينزل الرجال يصيحون على بعضهم . كل منهم ينبه الآخر .
 وفي الليل الرافق نسمع الضيايق . والماء والوضوء . ثم تخرج جماعة
 الى الحسين . وتقبل النهار بوجوه سمحة ونفوس راضية . في زمانى
 رايت الامن ذاته . لا انسان يخاف على ماله لو لولاه . لو بيته . وكلما
 رايت ما يجرى بينكم يبركنى والله رعب ولكنى ملازمكم حتى اقوم
 المعوج واعيد المسيرة الصافية هنا في حارة الطيلوى وليلحقنا بالى
 الدنيا . لن اسمع بتكرار ما قامت به الست نعيمة عندما زارت جليتها ام
 سهر . وعندما دخلت لتعد شيئا . مدت يدها وبست ورقة نقدية قيمتها
 خمسة وعشرون قرشا في صصرها . انا الآن لافح التهمة عن مجدى الابن
 الوحيد للست ام سهر والمتهم ظلما . المهم . . اننى لن اطيل عليكم . .

(٧) . اصول مرتفعة . يا كلب .

يا

(٨) . . لرجوك يا مسعد القذى الاتساع . ما وصلنى
 وصل وانتهينا . ولنا واثق لك وحك تطعم مقدار النقود التى تخبئها
 الطلوس الفضية القديمة . الفضة الحقيقية . فيه القرشين والخمسة
 قروش . والعشرة . اعرف عبد عاب الصطبع المصروفة في منزلك
 وهوليتك ليلة الجمعة عندما تفرغ العلب من محتوياتها . وتنشئ
 لكولما من النقود . تغير شكلها كما تشاء . ثم تغسل النقود كلها في
 طشت نحاس كبير ثم تنظف هاتنا . بسبب هذه . القطع من العمل
 والنقود الاخرى التى لن لنكر مكانها . لم تتزوج . ذاب عمرك في عمل
 الحفير . كذب بالحكمة الشرعية . لا يهمنى مصادر دخلك من الاموال

لكن اذكرك بما فعلته الست نعيمة عندما سرقت مبلغا خافيا من ام
سهر !! تعال نبحث عن السبب معا . ثم دعني اقول لك كيف نمنع
وقوع هذا . .

(٩) . . يا ولد يا جابر . يا سعيد . زمانكما لجرب . ام تنوفا
طعم النساء . لم تستمتعا باى شيء . لو بيدى لحررت لكما جوازى
سفر تهلجوان بهما الى زمنى الاول . فيه عرفنا الابكار الحقيقية . رايينا
الحياء على حقيقته . نلقا للمتعة . الانونة الريفية . كل ما تنالانه وقلعة
بلا جنوى امام منخل الحارة . اصغيا الى . .

(١٠) ولئنما قيام السيدة لولحظ . .

(١١) . . احمد العطار الشاب العفى . ولذى يوعب الكبير
قبل الصغير الفلاح الرجولة . هيه . . لكنه زمن ملتح . لا يعرف فيه
الرجل من الانثى . فللقلوب معدول . والظواهر يمان . ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى -

(١)

بعض الوقات

. . كل ما قاله بحروج . كتبه عبد المقصود الفدى . لديه خيرة عمر
في كتبه العرائض والشكوى . يعرف الممثل المناسب لكل شخصية
وذى منصب ما يجب قوله . وما يقال . نكر ما قيل في حق اسرته
ومائيسه الى فوقية ابنته التى دخلت من الزواج . ما سيلفت نظر
المسؤولين بوزارة الداخلية بالذات هذا المطلب العجيب الذى وجهه
المدعو بحروج الى الاهالى . ضرورة تعديل اوقات نومهم بحيث ياتى
الجميع الى اسرتهم في تمام الرابعة والنصف بعد ظهر كل يوم . مع
مراعاة ظروف الذين يعملون في نفس الفترة . ثم يوقفهم بحروج عن
طريق مكبر الصوت ليتحدث اليهم . وينظم امورهم . ثم يكتف بهذا بل
منع الاهالى مهلة قدرها ثلاثة ايام يتحولون من نظام الى نظام . يغيرون

عاداتهم ، عبد المقصود الهندى صطر خطا ثقيلا بالمداد الاحمر تحت حديث لدخروج قال فيه . منذ الآن حلة الطبلوى لها ناموس غير النواميس .

.. الآن يضيق عبد المقصود الهندى . اضطر الى ذكر اقوال دخروج حول امراته وجيدة ، سيفضح نفسه ، لكن من الضرورى جدا اثباتها . ان انها التهمة الوحيدة الواضحة التى يمكن ان يعاقب عليها القانون ، يتململ عبد المقصود الهندى إذ يتخيل تهامس النساء فوق السلالم حول زوجته . المرأة جنت على كبر . تؤكد اخرى انها تعرف ما قاله دخروج من قبل وسكنت طويلا حتى لاتنهش عرض جارة قديمة . ما يطمئن قليلا ان دخروج حذر كل انسان . رجلا لو امرأة . من تناول مضمون حديثه بالزيادة او التشويش ، لكن هل يكفى هذا لربط الالسة ؟ قلم . تحسس الارض بحثا عن شيشيه . قضى اليوم كله في البيت ينسخ العريضة ويرقب تصرفات وجيدة .

.. نظراتك غريبة ياسى عبد المقصود . . . استعان بالله ، يحاول الا يعلو صوته ، كل حركاته ونظراته تفسر الآن . كل ما تقوله هى يتحطل في ذهنه الى حيرة . الى استفسارات . استجابتها اسرع مما يجب لطالبه يمنعها من الطلوع الى عشة الفراخ فوق السطح . حجرة الاسطى عبده بمواجهتها . سائق النقل العام بمفرده . ينام اليوم كله . ينزل في المغرب ليتسلم نوبة عمله . ينظر الى امراته . ينهض صدمها . لم تقب ملاحظته عن عين دخروج بل سخر قائلا . هل يوجهه الاسطى عبده كما يمسك ملقود العربية . ما يضايقه اضطرابه الى ذكر هذا كله في العريضة . ربما سخر منه المسئولون . لكنه احكم الصياغة . عذ من الجيران علموا بينته في ارسالها . ابدا بشرا وعلقوا آمالا . يعرفون شهرته بل ان احدهم قال بالنص . هذه العريضة ستبجح دخروج فبحا . . . لكن عبد المقصود الآن يتنفس ببطء لم يتشاجر مع امراته يوما . حتى بعد انقطاعهما عن بعض في

السريير يذكر الآن حديثا لحسن افندي مقول عن شهوة بعض النساء إذ يبلغن الخامسة والأربعين ، يطشن ، الت ساعة الحلاط ثلاث دقائق مختصرة ، بعد غد يحين انتهاء المهلة المحددة لبدء جميع أهالي الحارة نومهم في الرابعة والنصف ، سمع امراته تتعجب ، نظر اليها وحنق في عينيه .

(٢)

● بان مشر مطلق .

في الواحدة يعلو مكبر الصوت ، يزن قليلا ، يلقي بحروج تحية النساء ويلعن الدنيا القاتمة ، ويرثي الزمان القديم ، ويؤكد انه سينتظر كل شيء ، ثم يتلو ما وصل اليه من اخبار ، يرد عليه البعض ، وتلقى الحجارة على نواحه شقته المخلفة ، مهما حدث لن يفتح الحاج حمزة جزءا من نافذته المظلة على الحارة حتى الآن لم يتعرض له بحروج مع مرور الايام وقيام الهياج في الحارة ، ايقن الحاج حمزة ، ان اعتبارات عديدة تتدخل في امتناع بحروج عنه ، اهمها انه قضى اكثر من ثلاثين عاما ناظرا لمدرسة كتخدا الابتدائية ، تلاميذه أصبحوا الآن رجالا ، يقبلونه في الطريق ضباطا ومهندسين وكتبة في المصالح الحكومية ، يصلحونه في المقهى إذ يجلس مرتديا جلبابه الابيض مقاملا لاعبي الطاولة ايضا ربما يعلم عنه بحروج موقفه عندما عرضوا عليه منذ عشر سنوات الانتقال الى مدرسة الروم الابتدائية مع ترفيقه ناظرا ، لكنه رفض اثر البقاء في الحي الذي ارتبط به ، ومرة اربع سنوات كاملة قبل ان يصبح ناظرا لمدرسته ، يعرف ان بحروج لم يتجرب ، يرثي له ، بال تأكيد يعاني ضيقا والاما لو اتجب طفلا والحق بالمدرسة لاولاه عناية خاصة ، الآن لا يضيق بلزعاج بحروج ، ليفعل ما يشاء ، ليسب أهالي الحارة ، ليعيد تنظيم الأمور فيها كيفما يشاء ، فعلا كثير من الأوضاع يجب تقويمها ، ليحدد للسكان نوعيات الطعام التي يجب ان يأكلوها يوميا ، المهم ، . الا يذكر شيئا عن بذاته ، بحروج عظم بكل

شيء . مطلع . فلما سيعرف الفكره الودية . انه لول من يتخذ
 تعليماته . عندما طلب ان ينال الجميع إلى الرابعة والنصف . اسرع
 الحاج حمزة بتطبيق هذا على بيته قبل انتهاء المهلة بيوم . بئانه لينين
 ضيقا وامتعاضا . اجبرهن على طاعته . لابد ان يتأكد لدى دخروج ان
 الحاج رجل طيب . مرب فاضل كما تتحدث عنه كلمات الطلبة في
 المدرسة . كما وصفه المدير في العدد السنوي من مجلة المنطقة
 التعليمية . في كل ليلة يصفي اليه . ان يسكت دخروج لحظات يسكت
 لنفسه خشية ان توجه الفقرة التكلية ضده . تتعاقب عليه الانفعالات .
 ما يربعه ان يتحدث دخروج عن البنات . بالامس لبنت سعد ابنته
 ضيقا . تعودت عمرها كله استذكر بروسها من الخامسة حتى الحادية
 عشرة ثم فنام كيف تغير نظامها وامتحان التوجيهية مقرب . احاطها
 بنزاعيه . دفعها امامه . كد يكسرها . قال . لا تزعلي . عمك
 دخروج لم يتعرض لنا . عمك حر . صباح اليوم جاء بيومي السلق
 بمصلحة السكة الحديدية . قدم اليه عريضة قال ان نصف سكن
 الحارة وقع عليها والباقي سيوقع . سوف تحدث العريضة صدى كبيرا
 لدى المسئولين . خاصة بعد طلبات دخروج القريية من الاهالي
 واصرارهم على نومهم مبكرين وتوحيد طعامهم اليومي . على ان يتولى
 الطهي بيتان او ثلاثة يوميا لكل الامر مقابل مبلغ يتفاوت طبقا لوفرة
 هذا وذلك يدفع لول كل شهر الى حسين الهندى متولى شخصيا . قال
 بيومي ان المسئولين سوف يتدخلون فوراً . لأن العريضة سترسل
 بالتلفراف . والمطلوب فقط قرشان والتوقيع . الحاج حمزة لم يدع
 بيومي يكمل . تلجر هنوء عمره كله . . . اسمع . . .

اسرع يطل من النافذة . زعق مخاطبا اهالي الحارة . بيومي وغيرهم
 مع ان بيومي يلقى الصلاة . انه ان يوقع على اى عريضة ضد جاره
 للقيم دخروج الغرسى . (وهنا علا صوته تماما . وهذا ما لم يعهده
 اهالي الحارة) . انه غير منزعج ابدا . ما يفعله دخروج من حقه تماما .

سكت لحظة ثم رجع انه لا يمت بصلة الى حارة الطبلالوى ولا يعتبر من سكانها لان مدخل بيته وشرافته الرئيسية تطل على شارع قصر الشوق ، اما النافذة التي تصطه بالحارة فسيبمل في طاب نجار ليسدها في الحال . ورغم هذا فسيبصغي الى دحروج وينفذ كل ما يامر به ، خاصة ان صحته وصحة الاولاد تقدمت بعد نومهم مبكرين . انه ينصح جيرانه نصيحة بوجه الله . الحذار . الحذار . من اى عمل خفى ضد دحروج . لان لرجل مكشوف عنه الحجاب . وإلا . فكيف تاتى له معرفة نص بريضة عبد المصود القندى ■ ٩٩ .

٣

● فترة تلى اذان الفجر . يتطل على ميل سواد الليل . تولد ملامح لبيوت وتتخلق الوانها من جديد . من نبع خفى يخال بخار ابيض نظورا علقا بالفراغ . بلاط الحارة يلمع تحت ضوء المنوس الغزرى لوحد الذى يبدو يتما شلحبا في مواجهة ضوء نهارى وليد . من نافذة تسعة في الطابق الاول بلنزل الرابع تطل الست روية مع لولائها سبعة صامتين يصفون الى ما يقوله دحروج . ايضا عائلة ام حسنى تلى الجدة العجوز . منذ فترة وجيزة سكت . بدت نافذة بيته مظلمة . نية اللون . لم يرها احد تفتح ابدا . يعرفون انه لن يكف تماما الا في يوم السابعة لهذا ينتظرون الآن استئناف الحديث في اى لحظة . فجأة يذوق صراخ . رافع حاد مسنون . عويل مستأنف يبثله الجسم المنفس معا . ممدود مقبض . فيه خلاصة العجز الانساني في مواجهة ر قاهر . بدا فرديا ثم اصبغ جماعيا غليظا عبوسا . نظر الساهرون السكان الى منزل صالح القندى . فتحت نوافذه بصعوبة خرجت كلمة بين العويل .

ياخويا .

استعاذ لعمال حارة الطبلالوى بالله . كلهم بدون استثناء . بدا خوف مض على وجوه السيدات . ينكرن الى نافذة دحروج المظلمة وكانها بالفرج لوحد . اول امس صلحت امرأة صالح القندى في تعلم الثانية

صباحا مخاطبة بحروج ، تحدته اذ لحاظ بكل ما يجري بالحارة ، ماذا
قد اوتى معرفة ما سيحدث ، وبعض الاهالي يقولون برفع الحجل
عنه ، فليقل لها انن هل سيشفى ابنها تيسير ؟ وحيدها المريض منذ
علم ، الذى حارت به ولغت على جميع المستشفيات ، يذكر اهالي الحارة
الآن صعت بحروج ، ثم قوله المقتضب ، يا ام تيسير ، لو طلعت شمس
يوم الثلاثاء على ابنك ووجدته حيا سيعش مائة سنة . ثم استأنف
كلامه العادى . الآن ، يبدو الثلاثاء جهنم لا يطاق ، تذوب الاحشاء
العويل القلى ، والشمس على وشك الشروق . .

(٩٩)

حتى مغيب اليوم التالى على ما اذاعه بحروج . لم تدر حسنية ما
تفعل ؟ هل تذهب مع اولادها الاربعة الى ورشة الحاج بندق صا
التمثيل الخشبية ؟ تولول . نجم عليه الخلق ، تحكى كيف تزو
فناة صغيرة ، وبيبالح فى تدليلها ولا يعطى بيته مصروفا ككليا
لم تقصر فى حقه . بداية حياتها هنية طرية ، فى سنين زواجهما الاو
رات امراء شعناء جالطة . تدفع سربا من الاطفال وتحمل رضيعا
تلف امام دكان موبيلياتى تطلبه بالمصروف ، تركها منذ اسابيع . تذ
الدم المتدفق الى وجه المرأة . عروق رقبتهى النافرة الزرقاء ، يومها قال
. بندق لن يفعل هذا بى ابدا . قبل عودته تطمئن الى نظافة البيت
تمشط شعرها . تنهى لاستقباله تروى بدتها بالاطياب حتى تجل
وريانة ، يستريح اليها من عناء يوم طويل ، الآن لا تجرؤ على الذهاب
الى الورشة ، ربما يبهلها . ستجرى فى اوراقه المحكم . تثوه فى طرقات
فى نظرات الكتبة الشبان والعجائز . تبلى فى الانتظار ، لا تقدر
العودة الى البلدة . شقيقها لن يحتملها مع اولادها . لن تطبق نظرك
الحريم يقن فيما بينهن . لم تنفع فى مصر . لا تدرى ما تفعله الآن
هل ترمى نفسها من الطابق الرابع ؟ تتخلص من ضيقها ، تذ
اوجاعها ومصائبها . اذا لم تمت ربما قضت بقية عمرها علم
لا تصلح لعجين او خبز او غسيل . من يدري ربما يرق قلبه اذ ير
مصابة . يحن ويرجع الى اولاده . . جاراتها نصحنها بالضى

دحروج . تلفت تحت نافذته . ترفع صوتها راجية ان يذلها اى السكك

سلك ٢٩

٥

.. امل جامع سيدى مرزوق . يقف حسن الفندى متول . يقرأ
نافذة . فيما بعد لم يدر الحاج بيومى هل تم اللقاء مصادفة ام تعمدا
بيلته . عيناه حمراوان . لم يتم ليل الحارة . لم يعتد النوم فى تمام
رابعة والنصف . لا يمكنه الآن الا الاضطجاع لثناء حديث دحروج .
حسن الفندى انه لا فائدة من اى عمل تم حتى الآن ضد دحروج .
بنى عريضة عبد المقصود الفندى المشهور بصياغة العرائض وحكيها
فات باى نتيجة . بل ان احدى صورها المرسلة الى جهة رسمية
مهدت اليه لان البريد لم يستقل على عنوان احدى الوزارات . ثم ماهى
عبد المقصود الآن ؟ بيته خرب بعد عمل هجرته الست وجيده
ان اغرقها بالمشك . قال حسن الفندى ان ما يقوم به دحروج
يوافق عليه . وهو لم يقصر ان سبيل ايصاله عند حده واهالى
بلاوى يعرفون كلهم . الكبير منهم والصغير انه اول من ذهب الى
اسم على راس وفد من الحارة وقدم بلاغا وقع عليه واملى بصوت عال
بظافته العلنية . وحتى الآن لم يحدث اى استدعاء لدحروج . فلم
. احد يخرج من بيته . لم يظهر ابدا لدرجة ان بعض الشبان
تهورين الذين لا يدرون لخر العواقب . قلقوا فيما بينهم لا وجود
جل اسمه دحروج . والا غاين هو ؟ اما الصوت الذى يخاطب
مالى فربما بعض الاشقياء يريدون فرض امور خطيرة على الحارة .
الصوت الا تسجيل يضعونه بين الحين والحين وربما تتعرض
أهرة خفية . وامور غير مرئية وعندما ذهب لخدمهم الى بيت دحروج .
قش مع مسعد الفندى اكد له وجود دحروج وامراته غويشة وهذا امر
يتكره الا اجنبى عن الحارة او مجنون . لانه يعيش بينهم طوال
ره . صحيح لم يسمع له حص ولكته لم يحتجب الا بعد بدئه
حديث مع الاهالى . وقال مسعد الفندى انه يرى بوجوده لانه يسكن

تحته ويسمع صوت تحركه بلليل وبالنهار ، وهنا ارتفع صوت حسن
 افندى ، هل تعلم ماذا جرى يوم أمس لشكرى أحد الشبان ؟ قال بيومى
 إنه لا يعرف بسبب تقيبه إلى السفر . قال حسن افندى ، في المساء قال
 محروج كل مقلناشوا فيه ، وحضر شكرى مثير الشكوك ، ثم انفره بعدم
 الذهاب إلى امتحان الكلية ، ولو خالف فسينع الالة الدامغة بانتماء
 إلى أحد التنظيمات العنصرية التي تعمل ضد الحكومة قال حسن افندى
 أيضا ، إنه رجل هادئ بطبعه لا يجب الإزعاج ولا بطيفه قال حسن
 افندى إنه يؤمن بعدم فائدة النطج في الحجر ، وإن النقش على الماء
 عبث ، والنقح في قرية مقطوعة مضبغة للوقت ، لهذا كله ، ولا سبيل
 عديدة ، بعضها خفى وبعضها معلن ، يرجو من الحاج بيومى سحرا
 توقيعه من . . . قاطعه الحاج قللا إنه أرسل العريضة فعلا ، صحيح
 إن السكان لم يوقعوا فعلا كلهم لكنه أرسلها حتى يحرك المسئولين
 استفسر حسن افندى عن الجهات التي أرسلت إليها العريضة وكتبها
 ورقة ، أبدى غما ، قال إنه سيرسل إلى كل منها تلغرافا يعلن تراجعه
 سيكلفه هذا كثيرا لكنه سيضحي بماله إثارا للهدوء ، قال إن الناس
 يحبون لبعضهم الأذى ، ولا يصح للحاج ولا لغيره إرسال العريضة
 بدون أخذ آراء من وقعوا عليها ، أحتد الحاج بيومى قللا ، مجازا
 التوقيع يعنى الموافقة على إرسالها ، زعق حسن افندى ، أبدا ، أبدا
 لا يوجد ولن يخلق من يعلمه الأصول ، هو موظف الحكومة ، الذي
 قضى عمره بكافة مكافحة الدولة ، قسم الفس ، علا صوت الحاج
 بيومى موضعا ، إنه هو أيضا موظف حكومة ، البس السائق بالسند
 الحيدبية موظفا رسميا يقبض مرتبا شهريا ويتقاضى علاوات أكثر
 التي يتقاضاها موظف في الدرجة السابعة ، مط حسن افندى شفتا
 احتقارا ، تواف بعض المرة ، تجمعوا حولهما .

مشاهدات لأرقاب صالح عبده ، بالأمن الخاص في حارة الطيلالوى
عندما جاء يستطلع الأحوال .

• يلحاج بيومى . . يلحاج بيومى . .

كأن البعض يجيب بتصفيق مماثل ، الضوء عال ، والنهار شاحب
مرتحل ، هدوء ثقيل مراق بسخاء ، منذ دخوله الحارة لم ير طفلا ،
لو امرأة ، عادة بتصايح الصبية حوله ، يمشون خلفه يتوقعون منه
حركة عنيفة مفاجئة فيحتفظون بمسافة معينة . ربما اتقن الأهالى هنا
تربية فولادهم ، حرموا عليهم اللعب في الحارة ، توقف || للطفيق الاول
أمام باب جهن المنظر ، خبط مرات ، لم يجب احد ، بق الباب بعنف ،
حركة صغيرة متردة : صوت شبشب ، عاد يطرق الباب ، يأتى همس ،
اشقان يتبدلان الحديث ، لم يدر أهما رجلاان لم امرأتان لم رجل
وامرأة ؟ ؟ صفق مرتين ، علا صوت . .

ما هذا الازعاج الا نستطيع النوم || راحة ٢٢

الحاج بيومى موجود ٢٢

فوق . . فوق يا عالم ارحمونا ودعونا ننام . .

سمع الحاج ملثقا في عبادة قيمة من وبر الجمل ورثها عن والده ،
ضحيته ضيقتان ، فيهما لثا نوم ، الشرطى صالح لا ترعجه مثل هذه
جملات . أمثال الحاج يتباهون قائلين . . طول عمرنا لم نعض || قسم
داووليس ، ولم نلف امام نيلبة .

• أنت قدمت ،

• لم يكمل الشرطى صالح حديثه ، قاطعه الحاج ، صوته رابع حاد
ساصفير قاطرة متحشرج . .

• لنا لم قدم ولم اشك . .

• ولكن . .

• تنزلت يا اخى تنزلت عن الشكوى والعريضة ، المصلرين

تصارع في البطن . . مبالك ونحن جيران ٢٢

ينظر الشرطى صالح دهشا ، قل الحاج إنه تنزل عن كل شيء وأنه

على استعداد للذهاب الى السجن بسبب ازعاج السلطات ، لكن ان يسأل
سؤالا واحدا حول جاره العزيز لا . . ثم يجب على الشرطة اختيار
الوقت المناسب للحضور الى التمس ، اما القلائد في أحلى ساعات
النوم . . نزل الشرطي صالح الى الحلة . نوافذ البيوت مغلقة ، تلت
حوله سائرا ، دخل بيت نحروج . في منتصف الليل قبل بدء الحديث
اليومي . قيل إن نحروج خرج وتحديث للشرطي فعلا ، وأن ضحكاته
سمعت واضحة لمن لم يدره النوم في المواعيد المحددة ، أيضا استفسر
نحروج عن بعض الأشياء . أبدى اهتماما تجاه أسماء معينة . أبدى
الشرطي دهشة . قال نحروج أنه يعرف هؤلاء كلهم وكبيرهم رهن
أشركه . ثم أوصاه باتمام إجراءاته على أتم وجه ، في هذه اللحظة دخل
الحلة المعلم يونس الفران . رآه الشرطي صالح يرفع يده بالتحية
اذ يمر تحت بيت نحروج . النوافذ مغلقة لكنهم يثقون أنه يراهم .
يعرف من القى السلام ومن لم يلقه . يعرف من جرؤ على تناول الطعام
خارج الحلة بمفرده لو في بيته . الحاج حمزة يفتح النوافذ يوميا قبل
نومه . وزعق بالسلام حتى بعد تعرض نحروج بالسلام لابنته
الصغرى . وذكر بعض تفاصيل علاقتها بمدرس الكيمياء ، أم تيسع
منذ رحيل ابنها الأبدى . بمجرد أن يبدأ نحروج حديثه تنزل مهرولا
بقميص النوم ترفع ذراعها زاعقة تحت النافذة ، الله أكبر . . الله أكبر
عليه وعلى شيعته . نحروج بركة ، أي مخلوق يجرؤ على شكواه ستفاد
مصائب ومحن . وتفرقه رزايا . حتى الحاج أحمد تاجر الورق ، المريض
بأعصابه . قال لكل من زاره أخيرا أن صوت نحروج الليلي لا يزعج
بل ينبئ بأن شفاه سيتم قريباً وأنه قبل ما كلفه به نحروج ، من قيام
بدور الوسيط بين المتخاصمين في الحلة . بعد فترة يقن رافة نحروج
به ومراعته لظروف مرضه ، لم يعد يخاصم أحدا ، ومن لديه وجيم
ليعض بها طارحا أياما أمام نحروج . اسند اليه أخف المهام و
الواحدة صباحا يقف بالشرقة ويضحك ويهز رأسه موافقا . يصيح
مستحسنا ما يقال ، عند باب الحلة توقف الشرطي صالح عبده لم

احدا . لا ينوى توجيه أى سؤال . رأى مطلقا صغيرا يتجه الى مدخل
الحجارة . ثمت عيناه لحظة واتجه الى الطفل انحنى حتى قارب راسه . .
اسمك يا شاطر ؟ ؟ .

.. سعد ..

.. انت من هنا .. من حارة الطبلوى ..

أوما الطفل ، بدا قلقل ، الاطفال لا يكتبون ، كواجب اخير ، سيحاول
ان يعرف منه ..

يعنى الم تسمع ميكروفونا ايدا بعد ..

هز الطفل راسه ، ابتسامة مرتعشة قلقة ..

خيالات يا شلويش .. ايدا .. ايدا ..

هل تنام يا بنى ..

رفع الصغير عينين شلحبتين ، بدا متعجبا ، أى سؤال هذا ما الذى
يقوله هذا الشلويش ؟ ؟ انفلت يجرى مسرعا ..

تأشيرة على المذكرة الايضاحية رقم ١٠٦ . وعلى تقرير الشرطى
معالج عبده وعلى عرائض مقدمة من بعض اهالى حارة الطبلوى ،
شكوى من مجهولين ، ونصوص مكثلات تليفونية . لمواطني رفضوا
تسليم اسمائهم .

حفظ

١٩٧١

● ● ●

حكايات الفريب

في يوم السبت ٢ فبراير ١٩٧٤ بعد ان فتح الطريق الى السويس للمبنيين قلم رئيس العهدة المخزنية بالمؤسسة العامة المعتمدة للتوزيع والانتشار بكتابة مذكرة يعرض فيها مواقف الاسطى عبد الرحمن محمود . حيث ان المذكور قلم في تمام الساعة السادسة من صباح ٢٣ أكتوبر بقيادة سيارة نقل من طراز فورد موبيل ١٩٥٦ . محملة بصحف وكتب ومجلات لنقلها الى مدينة السويس وتنظيمها الى الحاج حسن السوداني متعهد التوزيع . وخلال السنوات الثلاث الماضية اصر على قيادته بقيادة رحلات المؤسسة الى السويس . واعتبر اكثر سائقي المؤسسة خبرة بهذا الطريق الصحراوي الذي تكثر فيه المفخيات ويزحم بالتركبات العسكرية . غير ان اخباره انقطعت تماما منذ ٢٤ أكتوبر . واصبح مواقف السيارة الفورد والبضاعة غير معروف بما نصيب في وجود فجوة في دفاتر العهدة .

وفي يوم الاحد ٣ فبراير . ابدي مدير المؤسسة حيرة عندما عرضت المذكرة عليه . إذ ان الموضوعات التي يقرها دائما ذات طابع متشابها مهما اختلفت مصارها . لم يسبق وقوفه امام موضوع بهذا الشكل لهذا رفع السماعه وطلب رئيس مجلس الإدارة . وبعد تفكير مشترك صدر قرار بتشكيل لجنة تسافر الى السويس وتستقصى الحقيقة حول مصير العهدة . وفي تمام الساعة الواحدة والرربع بدلت الأنسة سنيح نسخ المذكرة الخاصة بتشكيل اللجنة بعد ان انتهت مكالمة تليفونية طويلة مع إحدى صديقاتها .

وبعد ثلاثة أيام صدر القرار من أصل وخمس صور . يحمل توقيعاً رئيسياً لخير المؤسسة ، وتوقيعاً جانبياً لرئيس القسم الخاص بالعهد وأصل الصفحة باسم « سنية » التي نسخت القرار . وضعت اللجنة الأستاذ الجواهري رئيس العهد وسعيد طليل الموظف بإدارة الأفراد . وشطيق نصرى الموظف بقلم التوزيع . عقد اجتماع عاجل حيث اتفق الأعضاء على صرف مبلغ لكل منهم كبذل سفر لمدة سبعة أيام . وطوال مناقشة هذه النقطة لم يلفظ الأستاذ الجواهري كلمة حتى لا يقال إنه اشترك في مناقشة أمور مالية ستعود عليهم بالخير . إنه موظف أقيم خدم من قبل في ديوان الاطمئنان على صحة المواطنين . علمتهما بالاصول والقواعد . في اليوم التالي عقد إجتماع آخر . في بدايته ضغط الأستاذ الجواهري زراً جاء بعده عامل البوغيه . طلب طليل الهندى شيئاً . اما الأستاذ شطيق فطلب قرفة . اعترض العامل بسبب ارتفاع سعر القرفة ونذرتها . أبدى شطيق الهندى ضيقاً وقال ان البوغيه سييء ولا بد من تغيير المتعهد . اعترض . اشار رئيس اللجنة الى المهمة الصعبة التي تنتظرهم . واستفسر عن تصور كل منهما لخطة العمل الواجب اتباعها . اقترح طليل الهندى البدء من هنا . ضرورة الذهاب الى اسرة المذكور واستجواب امه وزوجته واولاده واستيضاح لضر تاريخ تواجد فيه بينهم . اشار الأستاذ الجواهري الى ملف لزيق . قال ان الخطوة الاولى من هنا . تعجب طليل الهندى . كيف فائقهما الفكرة ؟ ثم استعرض محتويات [] واتضح انه يضم ما يلى :

● شهادة ميلاد باسم : عبد الرحمن محمود علي - من مواليد

عام ١٩٤٤

■ إسم والده : محمود علي احمد - إسم والدته : نجيه . تم تطعيمه

مرتين الاولى ضد الجدري والثانية ضد الدفتريا .

■ شهادة حسن سير وسلوك ، موقعة من موظفين اثنين مؤرخة في

. ١٩٦٧/٨/١

- تصريح بممارسة القيادة على جميع أنواعها .
- شهادة خبرة من المؤسسة المصرية العامة لنقل الأوعية الزجاجية
- الفارغة تبين أن المذكور قضى خمس سنوات في خدمة الشركة .
- شهادة معافاة من الخدمة العسكرية . نظرا لأنه الابن الوحيد وعائل أمه .

ولاحظ الاستاذ الجواهرى خلو الملف من العقوبات أو الجزاءات وطلب تدوين هذه الملاحظة . اقترح طهيل افندى الذهاب الى أسرة المذكور غدا مع احتساب المدة التى سيقضيانها بالعطوف من الفترة المخصصة للمامورية تمهل الاستاذ الجواهرى في الموافقة . خاصة أن الاقتراح يعنى تقاضيهم بدل سفر يوم سيقضونه ■ القاهرة . . العطوف .



بعد بحث استغرق ساعة . تخللها سؤال اصحاب دكاكين . وصبية . وجرسون . وامن شرطة . وامرأة عجوز . وصلت اللجنة الى المنزل رقم ١١ . لثار ظهور الافندية اهتماما في الحى . وسارعت امرأة تبيع المحشى الى الاختفاء ظنا منها بانهم من الصحة . صاحت إحداهن على الست ام عبد الرحمن لتكلم . البهوات . خرجت امرأة حافية . تحيط نصف وجهها بطرحة . لثار خجل انتوى ما زال متبقيا مع العمر المتقدم . تساءلت عن أخبار عبد الرحمن . من هيفتهم عرفت انهم جاؤوا من اجل ابنها . تطلعت الى الاستاذ الجواهرى . ادركت من سنه وحركته البطيئة وإحاطة الشابين به أنه اهم الثلاثة . تقدمتهم عبر فناء به مياه غسل لم تجف ورائحة عطن وزير يستند الى حامل معوج وسلم طويل بدون درابزين يؤدى الى مجموعة من الغرف المفتوحة المتجاورة . اطلت طفلة إختفت عانت ممسكة بطرف رداء امرأة عجوز . وسمع صوت انتوى يطلب من محمد سرعة إرسال لكواب الشئى الى ام عبد الرحمن . عندما سمع الاستاذ الجواهرى صوت كباس موقد

غازى صاح طالبا منها أن تحضر لأن وقتهم ضيق . لاحظ شفيق افندى صورة حجم كارت بوستال معلقة في مواجهة الكنية القديمة ، تشبه الصور الصغيرة الثلاث في الملف . عيناه واسعتان تحمقان الى الامام . على الاطرار الابيض اكلاشييه أزرق « ستوديو الأزهر » قالت ان احدا لم يدلها . فتعنت لو التقت باليك المدير لكنهم لم يسمحوا لها بالصعود الى الباب . قاطعها طليل افندى قائلا إن اليك حضر بنفسه اليها . قالت إن احد زملائه كتب خطبا على لسانها الى مامور القسم . والمحافظ . اخذه منها جدع طيب يرتدى قميصا وينظرون لم ثره أبدا بعد ذلك . قالت إن عبد الرحمن هو ما خرجت به من الدنيا وهو سندها . بدا لفظ سندها لشفيق افندى كأنه عويل . لاحظ وشما اخضر باهتا يتوسط جبهتها . تبدوا في جلستها اكثر ضالة . فكر انها ام . بحث الاستاذ الجواهري عن الفاظ مناسبة يصيغ بها عبارات المرأة المفككة في المذكرة . قالت إن ابنها كالريق الحلو . لم يسمع حسه أبدا . لم يتشاجر مع إنسان أبدا . لم يدخل قسم بوليس . أثناء ذهابها الى المصالح والزيارها الموظفين بحثت عن ملامحه . جلست مرة بجوار شاب يقرأ الجريدة .

هل يوجد ناس في السويس ؟ سالها . هل انت مهاجرة يا أمى ؟ قالت إنها لم تر السويس أبدا . سمعت عنها كميناء يذهب منه الحجاج الى مكة المباركة . وعرفته بان ابنها سافر كثيرا اليها لكنه لم يعد . قال الشاب . طبعاً هناك ناس في السويس يا أمى . هل تصلهم مياه ؟ قال اطمئنى يا أمى الماء عندهم اكثر من هنا . سكت لحظة وقال إن عيونا خلفية تفجرت من قلب الرمال مياهها غنية حلوة تكفى بلدا . اشارت باصابعها الى اعلى . قالت إن جدعان كثيرين ماتوا . ولو تاكدت فلا حول لها ولا قوة .

هنا ضيق الاستاذ الجواهري عينيه . طلب التأكد من اخر مرة حضر فيها عبد الرحمن الى البيت . قالت إنها تذكر خروجه وكان ساعة واحدة انقضت . بعد نزول السلم طلع مرة ثانية . قال « خل بالك من نفسك »

© Üie



نزل متمهلاً نظراً خلفه ثلاث مرات . ولو أن نافذة الحجرة الوحيدة تطل على الحجرة لتابعته . لكنها تفتح على منور داخل تغطيها دائماً خوفاً من الأبراص والهوام . قالت . . مضى على خروجه ليلة وخمس عشرة . . لفت بيدها حركة إيقظ شقيق الفتى معها أنها لم تاكل وجبة كاملة منذ مدة . وإنها تعانى للحاجة بعد انقطاع راتب ابنها . وإنها ستبكي بلا انقطاع بعد انصرافهم . إن حواسهم واهتمامهما كله من أجل استكشاف أمر ولو ضئيلاً أخفاء عنها هؤلاء الأنثى . ينحني الأستاذ الجواهرى لهجته ببطء . يقول إن السفارين يلقون ويرون الكثير من البلاد والعباد إلا يحتمل لقلوبهم نظرة لفت عليه . . اغوته . . (لا . . عبد الرحمن ما يعملهاش) . . قالتها باحتصار شديد تحول إخفاء استنكارها كجزء من إحترامها لهؤلاء الأغراب الذين لا يمتون بصلة ما إلى ابنها . . كل تصرفاته عقيمة بها . عندما حظ عينه على سنية المغربى ابنة جلول بائع العطور أخبرها . طلبت منه توفير بعض المال . واخرجت عليه النزول ليعمل سائقاً على الفاكسى ليتزوج . لم يقسم له نصيب من سنية . ينظر الأستاذ الجواهرى إلى عضوى اللجنة . لم يعد ما يقال مهما . إن الساعة تقترب من الواحدة بعد نصف ساعة يصبح من المستحيل ركوب وسائل النقل تستمر أم عبد الرحمن لم يسكتها وقوفهم عندما فاجأت المصرة ساعة إين الست روحه جارتهم استغلوا بعيد الرحمن نزل السلم يحمله . ليقتطع الدكتور عبد المعطى الذى يسكن فوق عيالته . قال لو جاسه مثل هذه النبوة عليهم تغطيته بملاعة سوداء وإن يضعوا شيئاً صلباً بين أسنانه .

ينزل الأستاذ الجواهرى . يتجمع صبية صغار . يبنو أن الست أم عبد الرحمن لا تراههم الآن . تتحدث إلى شخص ما . بدأ هذا ملاحظاً لهم بعد اعتيادهم ثبات ملامحها وجمود وجهها . تقول إن أول مرتب قبضه جاءها به . قال إنه يتقابل عندما يعطيها أول خيره . أمام البيت

تقترب منهم امرأة تحمل طفلا . تهمس طوال اليوم على هذا الحل . ينالم
الحى كله فى الليل لكن صوتها لا يهدأ . تحكى عن عبد الرحمن .
مسكينة . . اصلها لم تر ابيض واسود من ساعة غيبته .



، ملحوظة ،

يجب الاشارة هنا الى ان مهمة اللجنة عسيرة . إذ لم يسبق القيام
بمثل هذه الماموريات . حرص الاستاذ الجواهرى على التزام الحذر
بالنسبة لاي خطوة . لهذا عقد اجتماعا فور وصولهم السويس طالبا
شفيق افندى ذهابه الى المستشفى ■ الحل . قرر الاستاذ طليل البقاء مع
الاستاذ الجواهرى ليستريح قليلا من تعب الطريق . على ان يعضيا
بعد الظهر الى مقر المحافظة ومديرية الامن لسؤال المختصين . وبدأ
الاستقصاء الرسمى قام الاستاذ الجواهرى ليطلب أسرته تليفونيا
يخبرهم انه وصل السويس بخير ويطلب منهم الا يلقوا وانه فى
الامان . بعد عودته أكد على ضرورة تقديم تقرير مفصل عند نهاية كل
يوم مدعم بالمستندات التى تدعم صحة ما يذكر فيه من احداث ،
وتواريخ ، واقوال شهود . .



المستشفى . .

اعترضه رجل يرتدى معظفا ابيض . ابرز التصريح . قال انه يود
لو قابل المدير شخصيا . غير ان الرجل قال ، إن هذا الموضوع يصعب
لان المستشفى لوى جرحى كثيرين فى بداية المعارك . مدنيين وجنودا .
حتى الرجوع الى سجلات المستشفى لن يفيد فى قليل او كثير . لان
الوقت لم يتح لتكوين الجرحى كلهم . اما مدير المستشفى الذى عاش
الحرب والحصار ودأوى المرضى وعالج الجرحى فيشاء السميع العليم
ان يموت . يوم فتح الطريق وانتهاء الحصار قال إن الإهالى يعرفون
الأغراب الذين احتجزهم قطع الطريق . نظر شفيق افندى الى الأرض

المبلولة . والمرضات يرحن ويجنن . ترى . من رأى عبد الرحمن
 عض شفته ، سال . الا يمكنه التعرف عليه لو رأى صورته ؟ ؟ إبتسم
 الموظف قال إن طاقم المستشفى تم تغييره بالكامل ليلة امس وانه منتدب
 من مستشفى قتيوب ولا يعرف شيئا . ثم هناك إستحالة التعرف على
 شخص من الصورة ربما حدثت به تشوهات لو إصابت بالوجه .
 ثم إن الإنسان تتغير ملامحه تغيرا كبيرا زمن الحرب بتأثير المعاناة
 ورؤية الموت والقتال . سكت الرجل لحظة وقال . . عموما إذهب الى
 قسم السجلات ربما دلوك على الاسم . لكن المسؤولين عن الدفاتر
 والسجلات إعتذروا عن تقديم ايه مساعدة لعدة اسباب موضوعية منها
 فقد بعض السجلات أثناء قصف مدفعي قام به العدو ضد المدينة احرق
 جزءا من المبنى . الثانى يتعلق بالوقت الذى يستلزمه حصر المستندات
 المتبقية والاشراف على تصنيفها . والسبب الثانى او الثالث ان كثيرين
 جدا لم تدون اسمائهم . واخرين قدم لهم العلاج اللازم وخرجوا بدون
 تقييد اى مستندات بما صرف لهم من ادوية او علاج لعدم توافر الوقت
 الكافى ولا نشغال المرضى والاطباء والموظفين فيما هو اهم . مثل
 تصنيف المرضى وتوزيعهم على الاقسام طبقا لنوعيات حالاتهم . امام
 باب المستشفى تسامل شفيق الهندى . هل جاء الاسطى عبد الرحمن
 هنا . هل خرج الى مكان ما ؟ ؟ فى الطريق الصحراوى على مسافات غير
 متساوية تبدو كومة حديد متداخلة . يبرز منها إطار عربة . اكياس
 قماش . فردة حذاء . رأى بعينى عقله الاسطى عبد الرحمن يقود عربته
 فى الصحراء الملتفة . قدماه تضغطان على دواسات السرعة . قبضات
 نيران تومض . هنا وهناك يتحرك الافق حركة دائرية كأن اندفاع
 السيارة يبرز دوران الأرض . لكن يجىء الوحش المعدنى هائلا . يدوس
 السيارة . يعلوها يتجاوزها . على جانبي الطريق لافتة عبرية صغيرة .
 زجاجات الكوكاكولا وعلب طعام محفوظة فلرغة منقوشة بالعبرية ربما
 احد الذين شربوا هذه الزجاجات داس عربة عبد الرحمن بدبابته .

ليس من المحتمل تعرض الاسطى عبد الرحمن لثقل هذا الموقف :
وقتها نظر اليه الاستاذ الجواهرى . قال بلهفته البطنة . . هذا
ممكن . . لكن من يلبث هذا ؟

« من التكرير [] لطايل الجندي »

.. كما افاد قائد عموم المرور ان نقطة المثلث بقيت تمارس عملها
وتؤديه طوال يومي ٢٢ . ٢٣ اكتوبر . وعندما بدأت علامات الهجوم
على المدينة استطاع لحد الجنود ان ينقل الدفائر والتصاريح التي
تسجل حركة المرور من والى المدينة عبر الطريق الصحراوي وبالبحث
ثبت ما يلي . .

١- انه في تمام الثامنة ٤٥ دقيقة دخلت العربية رقم ٦٧٠٧٣ نقل
القاهرة ياقودها عبد الرحمن محمود . رقم بطلته الشخصية ٢٢٨٤٨
الجمالية وحامل تصريح مرور مستديم من والى السويس . وثبت ان
هذه السيارة لم تغادر المدينة حتى صباح ٢٢ اكتوبر وسالت سيادته
عن احتمال مغادرتها بعد مجيء قوات الطوارئ الدولية لكنه نفى ذلك
لان الحركة تمت بواسطة سيارات الامم المتحدة . وتم استدعاء الجندي
سيد احمد اهل وهو الباقي الوحيد من افراد نقطة مرور المثلث . افاد
الجندي المذكور انه في صباح يوم ٢٢ اكتوبر دخلت عربية النقل المشار
اليها قال انهم يعرفون سلفها لترده المستمر خلال الحرب وانه صاح
من نالذة الكيفية بعد تنوين بيانات العربية . شعوا حبلكم يا ابطل .
عاد في المساء . . لكن الظروف تغيرت إذ قطع اليهود الطريق في عدة
اماكن . كثرت الاخبار انهم في الطريق الى البلدة للهجوم عليها . اشتد
الطيران . وجاء الفلاحون من الجنائين وجنود شاربون . اخر عربية
ظهرت امام النقطة هي سيارة الاسطى كمال .

ومنا استوقف الجندي سيد احمد الامل . وبدأ استجوابه بحضور
قائد عموم المرور نظرا للتناقض في القوله .

س : من تقصد بالأسطى كمال ؟

ج : سائق اللورى المبين رقمه ١١ دفتر الحركة . .

س : إنه اللورى المبنى الوحيد المبين فى هذا اليوم . . هل تقصد سائقا آخر ؟

ج : المقصد سائق لورى الصحافة

س : اسمه فى الدفتر عبد الرحمن .

ج : ناداه البشجلويش دائما . . يا كمال وعندما جاء الطيران يقفز معنا الى الخندق وسمعت البشجلويش يقول له . . لا تخف يا كمال يا بنى ورايته ثابت الوجه متعجبا . فسألته ألم ير ضربا طوال حياته . . فقال إنه جاء الى المدينة ليلى الحرب لكن الأمور لم تصل الى هذه الدرجة من العنف . رفع البشجلويش قلة ماء مكسورة الفوهة . شرب ماء وقال . تضرب يا كمال فهز راسه قال إنه ليس يعطشان . س : ألم يدخل لورى آخر فى هذا اليوم ؟

ج : لورى واحد . .

س : ربما سمعت الاسم خطأ .

ج : أبدا . . فى مرة بعد إنصرافه وقف البشجلويش سلما وسمعتهم يكلم نفسه . . قال إنه شبه إبنى كمال . . أى والله الخالق الناطق . . كمال إبنى . .

س : بعد إنتهاء الغزاة أين ذهب ؟

ج : عاد اللورى الى داخل البلد . . ولم تخرج ولم تدخل أى سيارة منذ هذا اليوم وحتى فتح الطريق .



ملاحظات الأستاذ الجواهرى :

. . ثبت أنه لم توجد سيارة نقل زرقاء رقم ٦٧٠٧٣ خلال الحصار وأقوات المباحث الجنائية والمباحث العامة . والمباحث الخاصة بوجود حطام بعض السيارات المدنية المضروبة . بعضها استخدم كمخترين

أو عوائق . إما السيارات السليمة فمحدودة ومعروفة ولم تستخدم على نطاق واسع نظرا لقلّة البترين أيام الحصار وقمنا بعملية حطام نقل لم يستطع أحد الاستدلال على صاحبها وجدناها متفحمة تماما . متروكة الاطارات . منضغطة في بعضها لدرجة أن كابتية القيادة إندمجت بمؤخرتها . ■ احترق طلائها تماما . وحاولنا العثور على لوحات الأرقام لكن يبدو أن بعضهم إنقزعها إذ وجدنا المسامير القلاووظ التي تربطها مفككة وملقاة . قمت باستدعاء صاحب ورشة سيارات وهو فني معتمد لمعالجة الحطام مقابل ثلاثة جنيهات (مرقق إيصال المبلغ) والله أنها من طراز فورد . لكنه لم يحدد أي مواصفات أخرى ؟ ؟

.. بزيارتي للمسئولين بالمحافظة ألقوا أنه لم يتواجد شخص بهذا الاسم خلال الحصار . مع ملاحظة أنهم قاموا بحصر جميع الأهالي بالمدينة بعد معارك يومي ٢٤ . ٢٥ أكتوبر . لتوزيع المئونة عليهم . وقالوا إن الغرباء الذين احتجزوا بالمدينة معروفون وحالاتهم واضحة . .

.. لم يتعرف أحد من المسئولين بالمحافظة . وقوة عموم المبلّث على صور المذكور . ولم يدل أحد بما يثبت أنه رأه قبل أو خلال أو بعد الحصار . . .



شقيق افندى يحلول إستقصاء :

. مساء يوم الرابع للمهمة . بعد ان أجرى الأستاذ الجواهري اتصالا بأسرته للمرة الثانية طمانهم وطلب من اصغر اولاده الا يعكس امه كما طلب من زوجته ان تستعجل قصصاته التي ارسلها الى الكواء قبل سفره . وبعد إتخاذ طليل افندى لعدة ترتيبات لشراء سمك الخليج الذى بدأ الصيادون في النزول اليه . إتخذ الأستاذ شقيق افندى طريقة مقابلة بعض أبناء البلد من رجال المقاومة والمعروفين بين الناس باسم الغدائين . ابدى اكبرهم سنا دهشته من هدف النجفة . تساءل ما الذى ينتظر من سائق عربة توجه صباح يوم ٢٢ اكتوبر الى السويس ولم يعد حلول شقيق افندى شرح الظروف والملابسات ولىح الى القوانين الجامعة والعهد والمخازن . خجل . بدا يشرح لوصاف عبد الرحمن وطبيعة عمله . لم يكمل حديثه حتى قل احد الغدائين الأربعة . إنه يتحدث عن الغريب .

دق قلبه . رأى الست أم عبد الرحمن تكف عن حديثها فجأة . يهز الأستاذ الجواهري رأسه . يقول بعض معارف عبد الرحمن بعد سنوات . ذهب ولم يعد . قل قنلاوى الغدائى . إن الغريب جاء مع الحاج حسن السودانى متعهد توزيع الجرائد والمجلات . الحاج يعرف عنه كل شيء لكن المؤسف انه توكل على الله ذهب بطلا في معركة قسم الأربعين . عينا شقيق افندى تحيطن بسرعة بالوجود بكل ما في القاعة بظاظين رمادية . صناعيق ذخيرة فارغة وزمزميات مياه . مكن إقامة مليئة بالحفر والتراب . لوحة ملونة فارس يرتدى خوذة . يشهر حربة فوق رأسه كتلية واضحة أبو زيد الهلالي . لخر تنفذ منه حربة . إختفت بقاياها مع اللوحة الممزقة . لابد انها تنتمى الى أصحاب الشقة الاصيلين . ربما لم يلحظها احد حتى الآن برغم تواجدهم اليومى

يقول قنلاوى إن الغريب بدا حائرا عندما جاء الى قسم الشهداء مع الحاج حسن صاح كثيرون ان اليهود قنمون الى كوبرى الزاير . بدا

الملازم حسن ضابط الصاعقة ۞ توزيع رشاشات وقنابل ، قال الغريب
لقناوى : أين كوبرى الزراير ؟

أشار قناوى الى إتجاه المكان . سال :

« تعرف تضرب نزل ؟ »

« ممكن أعرف » . . .

تأوله قناوى رشاشا وثلاث قنابل خارقة للدروع . نظر الغريب الى
السلاح . هذه الدهشة الخفيفة والحذر تجاه السلاح لادى من يلمسه
لأول مرة . قال قناوى . هذه شرائط الذخيرة . حول القبض إضبط
الزناد . تمزيق حركة النفس كوبرى الزراير كوبرى الزراير . قال
الغريب .

(أجبى معاكم ؟)

راه قناوى بعضى مع الرجال . طلب منه الملازم حسن تدعيم الكمان
عند الهويس لم ير قناوى الغريب لكنه يعرف إخباره من الذين حاربوا
عند كوبرى الزراير . سال شفيق الفدى عن إمكانية اللقاء بأحدهم .
نظر قناوى الى زملائه نزل ابراهيم الى مصر بعد فتح الطريق . لكن
حسن موجود ولم ينزل فى إجازة بعد . ثم تسأل شفيق الفدى عن
حسن هذا . قالوا إنه ضابط الصاعقة . وأنه حارب عند كوبرى الزراير
وصباح اليوم القتال لك الملازم أول حسن عمار . إن الغريب لم يكن
يعرف علامح السويس لأنه سال مرتين عن كوبرى الزراير أثناء توجه
الكمان اليه . لم يسأل خائفا لو مترددا . عندما تقدمت الدبابات رأى
الغريب يتقدم . يلق بطوله فى مواجهة الدبابات مخالفا كل القواعد
التي يتخذها المشاة عندما يقتصدون للدبابة كمن يريد الاقتراب الى قصي
حد ممكن من الدبابة . يبدو أنه صرخ بشيء ما . زعق . بدأت حركة
نراعيه عندما تلقى القنبلة الأولى . انفجر الجسم المعنى . تصاعد
دخان كثيف له قام . ارتدت رصاصات البنلق الخارقة فى إتجاه افراد
العدو الذين قفزوا من برج الدبابة . بدأ الاضطرابات على حديد الدبابة
الثقيلة دار المدفع الرئيسى الى الشمال يرتد مكانه . بدأ الجسم الضخم
مرتجعا قيل إن تعدد نواع الغريب فى استقامة الى الخلف . تلقى القنبلة

الثانية غطى الدخان كل شيء أصدر لوامره بتغيير لوضاع الكمين . بعد الانتهاء من المعركة عادوا الى مكان الدبقتين المحطمتين لم يجنوا جثته قال إنهم ذهبوا بعد وقف إطلاق النار لأن الحركة إستحالت في المدينة يومى ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر بسبب الرصاص المطلق . قال إنه سأل عنه . من هو . ما اسمه لقد سمع أثناء القتل لحد الرجال يزعم . . يا مجدى . . فهل هو اسمه ؟ خاصة وأن كل افراد الكمين معروفون بالاسم ولا يوجد بينهم مجدى لكن الذين تبقوا من الرجال لا يعرفونه إلا باسم الغريب صاحب الحاج حسن السودانى .



أخرى :

قام الأستاذ الجواهرى في اليوم الرابع بزيارة موظف كبير بهينة الشئون الصحية إثر اكتشافه معرفة قديمة ربطت بينهما يوما وبالطبع ورد ذكر الأسباب التى أتت بالاستاذ الجواهرى . الموظف إنه لا يعرف شخصا حارب في المدينة بهذا الاسم . لكنه سمع حكايات من بعض الاهالى عن سائق لورى قطع عليه الطريق وحارب عند كوبرى الزاير ويقول إنه واجه الدبقات والظا . حتى أنه اعتل إحداها ودمرها بقنبلة ودمر نفسه معها . وهنا قال الاستاذ الجواهرى إنه جاء خصيصا من لجل هذا الشاب . تمهل صوته . بدا فيه فخر خاصة عندما بسط راحته على صدره قائلا :

« إنه من عندنا واسمه عبد الرحمن محمود . . »

في الليل حكى الأستاذ للجواهرى لطايل الخدى وشفيق الخدى ما سمعه وهنا أبدى الشابان حماسا وقالا إن هذا دليل واضح لكنه هز راسه حائرا وقال . . ربما ولكن من يثبت هذا ■ ■ ■

من تقرير طليل الخدى :

« واجمع البعض على أن الاهل سجدوا الغريب في نفس ليلة استشهادهم ودفنوه بسرعة بالقرب من الطريق المؤدى الى شركة شل .

وإثناء الحصار قرر الحاج حافظ نقل الشهداء الى مقبرة واحدة داخل
السويس . وعندما حفروا لنقل الغريب صلحوا الله اكبر ، الله اكبر ،
مسحوا دما جرى ، وجدوا الجثمان على حاله مفتوح العينين ثيلبه لم
تبل ، قدماء حافيتان لأن حذاءه خلع قبل الدفن ، بدت الدماء فوق
قميصه طرية مكانه أصيب منذ لحظات . . .

في روايات أخرى أكد البعض أن الشخص الذي نقلوه من المدفن غير
الغريب . والصحيح أن الثلثي انفجرت دابة فوقه تماما ولم يعثر له على
أثر ، وأكد هؤلاء أن المكان الذي استشهد فيه تفجرت منه عين ماء عذبة
قيما بعد خلال الحصار . .

قالت امرأة عجوز تعيش بجوار كشك الصحف الخاص بالحاج
السوداني إن الشاب الغريب اسمه خلف ، رأيته مرارا يجرى الى
الحاج ، قالت إنها ذهبا الى كوبرى الزراير وحاشا اليهود عن دخول
البلد وماتا ، قالت إنها ذهبت الى الكوبرى ، قالوا لها إرجعي يا ولية
لأن المكان على مرمى النظر من اليهود . لم تهتم لأن ما يربطها بالحاج
عشرة عمر ، أما الشاب فحنت عليه ، قالت إنها ذهبت لعلها تشم رائحة
من أثر تركه في مكان موته . قالت إن خلف تحدث اليها كثيرا سالها مرة ،
لماذا لا تهاجر ، قالت إنها لا تطيق البعد عن السويس ، أخبرته عن
إبنها في القاهرة . متزوج وعنده أربعة اولاد ويعيش في القلعة .
وسالها لماذا لم تذهب اليه ؟ قالت إنه لا أحد يطيق احدا في هذا الزمان .
بدلا من أن تثقل عليه وعلى امراته فضلت البقاء هنا تستلقط رزقها من
هنا ومن هناك قالت إن خلف حن عليها واعطاها خمسة وعشرين قرشا .
وكلما جاء اعطاها حلجة . عندما تجولت فوق كوبرى الزراير أخبرها
رجل يقيم بالقرب من المكان عن عصفورين ثوبهما أخضر . يفرلان فجر
كل يو ، صوتهما أحن من الحنين وأطرى من قلب الأم ، يحومان قليلا
ويختفيان فجأة كما ظهرا فجأة . لم يخلقا ميعادا . . .

وقعت بتوجيه سؤال اليها عن الاسم الكامل للشاب ، قالت إنها لم
تسأله أبدا عن اسمه أو امراته وعياله . لكنها سمعته بينها وبين نفسها

• خلف • خلف ابنها الأول الذي أنجبته منذ أربعين سنة ومات بعد سبعة شهور من ولادته • هكذا فجأة بدون مرض أو سبب . .

من حديث موسى الحلواني الى شفيق الفندى :

سال شفيق الفندى بإلحاح • هل رابت الغريب عند الهلويس بعد معركة كويرى الزاير ؟

قال إنه لا ينسى أبداً ولو أن الله مد لي أجل البمبوطى كفتة والباشجلويز سعد لاكدا ما يقوله الآن • لأنه وصل الى الهلويس معهما • قال إن الجو بدا مقلوبلوكان جزءا من طاقة جهنم فتح على الناس • اما الهواء فثقل كدخان الجير • مالفت نظره اليه • إتخذه أوضاعا تعرضه لأقصى الخطر • حتى قال البعض إن الغريب القادم محجب • مثل هذا لا ينسى أبدا . .

إن شفيق الفندى يرغب في توجيه المزيد من الأسئلة • لكن الحلواني سوسو يحتمل الى الأرض • نسي تماما وجود الافندى القادم من مصر • سهم فجأة كنزول ليل مباغت • لم يستطع شفيق الفندى أن يחדش صمته • ورصد دمعات تتسلسل على مهل من عيني الحلواني سوسو . .



ملحوظات أخيرة :

اجتمع الاستاذ الجواهرى في مساء اليوم السادس بعموى اللجنة • قدم طليل الفندى تقريرا بدا اثناء تلاوته منفصلا • قال فيه ان باشجلويز شرطة من قسم الاربعين وامرأة عجوزا من الجنائين لجأت الى المدينة عندما هاجمها اليهود وقتلوا اولادها واثنين من أطفالها • وبلع قتل متجولا • وعطرا من حى زرب • وصيد سمك يملك قريبا • اكثروا أنهم شاهدوا الغريب قبل نهاية الحصار بأنهم • واكد قريء حرق عجز انتدبته وزارة الاوقاف من المنوفية الى مسجد الشهداء ليقرأ القرآن قبل الحرب بأسبوع واحد إنه التقى كثيرا بهذا الشاب • لا يمكن أن يخطئ • لأن للذين احتجزتهم الظروف تقاربوا من بعضهم ليعرف كل

منهم حكاية صاحبه ، لجمع الكثيرون من القريب بدأ كثير الحركة لا يهدأ ، لا ينام في مكان واحد ، بل فاقرا ما رآه البعض نلقا ، كل من رآه شاهده مستيقظا يؤدي عملا ، في الليل يقف خلال نوبات الحراسة عند اطراف المدينة ذهب الى بور توفيق لكتر من مرة حفر الخندق ، نقل العديد من العوائق كالعربات المدمرة والحجارة الثقيلة ليسد بها الطريق ، شوهد يحفر مع بعض الشبان أنبارا للمياه قرب سيدي القريب ، سمع يؤذن للصلاة مرة ، كما انشد بعض المواويل في سهوة اقيمت خلال الحصار ، فبرع بدمه مرات لأن المدينة عانت نقصا في الدم ، يقال انه تسلل مرات الى قلب خطوط العدو ، استطلع الاخبار ، أثناء توغله رسم خرائط لمواقع العدو ومرابض مدفعاته وانواع مدفعايته ، وولست هذه الخرائط الى مصر بطريقة خفية ، واتك عدد من الاهال انه خرج في قارب ليصيد السمك برغم علمه بوجود الغام في الخليج ، لكنه دائما يجيء الى المرسى الراكب ، يسأل ، فين المراكب ، يحرك المياه بضربات المجذاف ، والقسمت امرأة من حي الأربعين ان القريب القادم من مصر جاءها عندما اتاها المخاض في الليل وصرخت من الألم حتى لففت الشهادة لبعد الناس عنها ورجل زوجها وشقيقها قبل الحصار وبقائها وحيدة ، بيديه لنهى ولانها للعسيرة ، تلقى الطفل عند خروجه ، وقال صاحب مقهى تهتم في الحرب ان القريب اصطح عربة لورى معطلة وقادها عبر شوارع البلد مرتين .



اصفى الاستاذ الجواهرى بهوء ، لم يفقه ملاحظة الجنية المفاجئة التي نزلت على طليل الهندى حتى صار يخرج من الفتق في السابعة صباحا يستلقى ويلتقى ويجرى المقلبات ليعود في المساء ، حتى انه جمع معلومات دقيقة عن ملامح القريب وطريقة مشيته ، وسجلا بالاسماء التي انطلقت عليه من الاهال ، لم يبد الاستاذ الجواهرى انفعالا ، قال إنه امر مشرف للمؤسسة ان تعلن إستشهاده لحد ابنتها السويس ، لكن لم نعلم على اثر ، لم نجد له قبرا ولم يجمع إنسان على

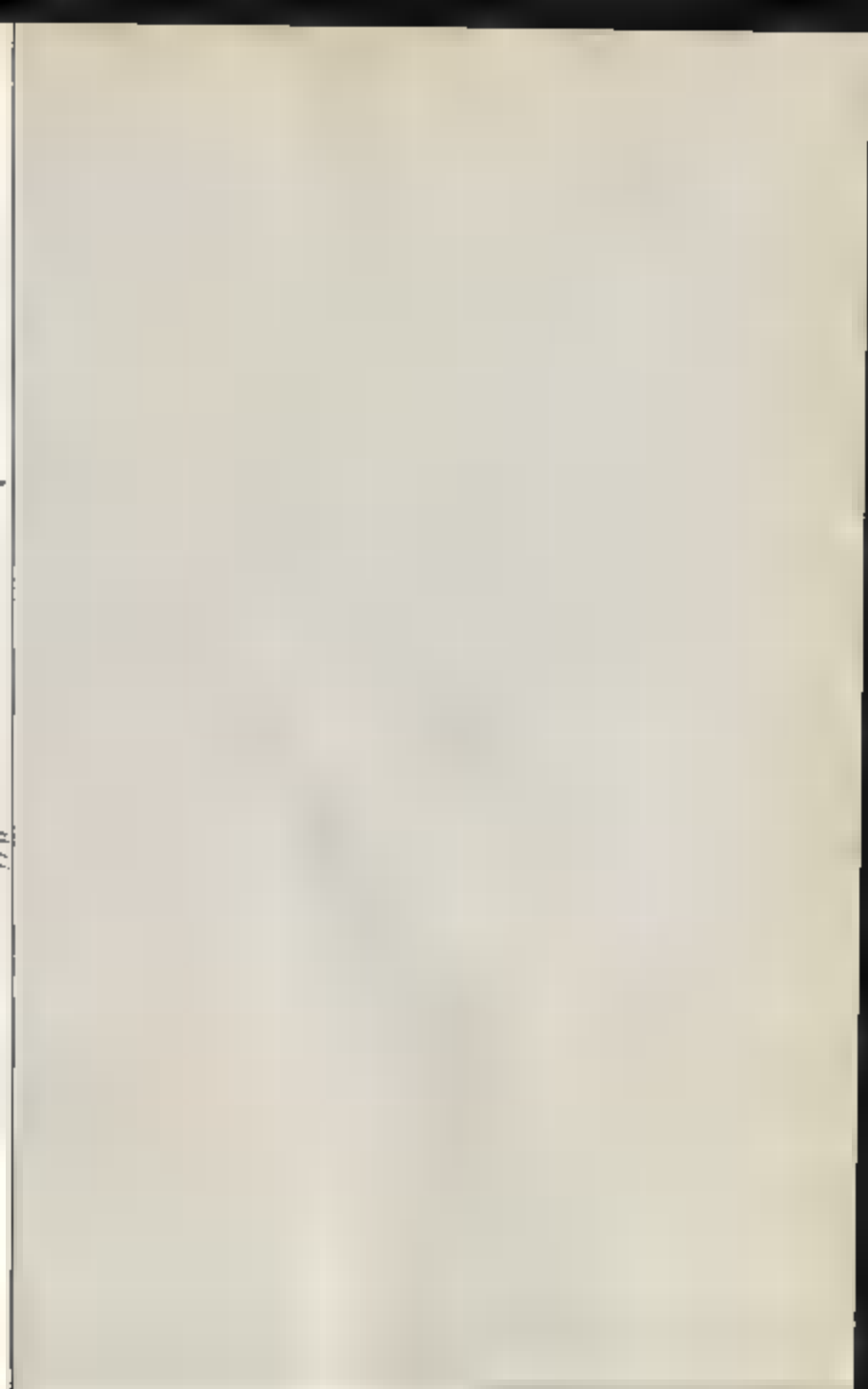
رواية واحدة . ثم ما هو موقف العهدة سيارة النقل والبضاعة .
وباعتباره موظفا قضى عمرا بأكمله في خدمة الحكومة لما يهمه أولا
الاطمئنان على أموال المؤسسة .



يصفى شفيق القذى صامتا . صباح اليوم راوده يقين أن الغريب
يطوف بالطرف الآخر من المدينة . اسرع الخطى . لم يلحقه وبقي
وحيدا في هدوء شتوي يخيم فوق انقراض البيوت . ورائحة البحر في
الخليج القريب حتما ستجىء لحظة يلتقى فيها بالغريب لا يرى متى .
لكنه سيحكي له طويلا . إنه على وشك اتخاذ قرار بينه وبين نفسه . أن
يبقى وقتا إضافيا وأن يباي بالاستاذ الجواهرى . طليل القذى يقول إنه
طلب زيارة الاسطى عبد الرحمن . مضى اليه مع عدد من شبان المدينة
قرلوا عليه الفاتحة . ماذا تبقى إذن لتقتنع المؤسسة بموته وتمنحه
حافله . يهز الاستاذ الجواهرى راسه . يكرر بهوء إن هذا مشرف
للمؤسسة . لكن ما الذى يثبته . . لين الأدلة ؟ ؟

١٩٧٩





الترام . . !



في مقابلة اجرتها احدى المنيعات بالقناة
الثانية ، قدمت بروج فكهة رجلا قال انه
مؤسس جمعية اصدقاء الترام ، حدث ذلك
خلال برنامج مسائي يقدم شخصيات يتم
اللقاء بها بدون ترتيب مسبق ، تجاوز
الرجل الستين ، قال انه عمل موظفا بوزارة

التكوين حتى احيل الى المعلى بدون توقيع اى جزاء عليه طوال مدة خدمته ، يسكن الضواحي ويمتلك بيتا مستقلا من طابق واحد تحيطه حديقة يزرع فيها كل ما يحتاجه . ورغم سكنه البعيد وعدم اضطراره الى ركوب المواصلات فعند فترة لا يستطيع تحديدها بالضبط لم يكف عن التفكير في الترام ، خلال نزوله الى المدينة القرب كثيرا من مركبات الترام . هاله ما رأى ، ما وصل اليه الحل من اهمال . ولأن الترام القدم وسائل المواصلات في القاهرة والاسكندرية ، ولأنه دخل البلاد قبل سائر المواصلات الأخرى فيجب الا ندعه هكذا . سألته المذبة عن طبيعة العمل الذى ينوى من خلاله إعادة اعتبار الترام ؟ قال إنه انشا بالفعل جمعية لاصدقاء الترام . تتلخص اهدافها في الدعوة الى ركوب الترامويات ، والعناية بها . والارتقاء بمستوى السائقين والمحصلين والمفتشين والفنيين ، ثم وجه دعوة الى جميع المواطنين للاشتراك في الجمعية ، انتهت المذبة اللقاء بمشاركته توجيه الدعوة ، ولابد ان المشاهدين في هذه الليلة مزوا رؤوسهم لدى الهيلة التى وصلت اليها برامج التليفزيون ، ربما حاولوا استعادة كلماته عندما اشارت افتتاحية الاهرام الى حديث العجوز صباح اليوم التالي ، جاء بها ان مختلف ما يجرى محليا وعليا يجب الا يشغلنا عن أمور جوهرية في حياتنا ، ان المآمل في وضع الترام يجد أنه قد وصل الى حد المهانة المؤلمة ، اى نظرة الى الترام تكشف هذا . طلاء جميع العربات لم يجد منذ سنوات ، المقاعد الجلدية قطعتها امواس الصبية الذين لم يبت احد في نفوسهم حب الترام ، اذ لم يضع التريويون مناهج تربط النفس بتاريخ الترام ، تبرز فوائده وأهميته . ان المركبات متعبة خاصة القديم منها . اما ما وصلت اليه « السنجات » فامر يرثى له . لا توجد سنجة واحدة سليمة تستمر معلقة الى اسلاك الكهرباء لمدة خمس دقائق . يضطر الكسالى الى النزول ، لو ينطوع احد العابرين باعبثها الى مكانها ، ان الترام هو المركبة الوحيدة التى يمكن ايقافها

ورغم ان السائق وذلك بشد « السنجة » نلاحظ ايضا ان سائق الترام هو الوحيد في البلاد الذي يقف على قدميه طوال نوبته . بعض الدول المتقدمة تكتيكيا اضافت مقعدا صغيرا للسائق ، وخطت بول اخرى الى ما هو ابعد فخصصت كبلن صغيرة تعزل السائقين عن زحام الركاب ، لكن تظل الغالبية المستخدمة في بلادنا من النوع الاول . ان الاعياء سمة مشتركة لسائقي الترام . انحنى جثوعهم . تقوست ادمامهم . غلظت اطرافهم . اضفى هذا على كل منهم ملامح خاصة توحي بان يراهم لأول مرة بدون معرفة مسبقة بان المثل امامهم . سائق ترام . لا يفكر احد ما وصل اليه حل المرفق من تدهور ، من هنا يجب النقاط الدعوة الى تطويرها وتدعيمها . اختتمت افتتاحية الاهرام بدون حث القراء على خطوة محددة ، ولوحظ ان هذه الافتتاحية اذيعت عقب نشرة اخبار الظهيرة ، كما صدر تعميم علوى من التنظيم السياسى بمناقشتها في جميع الاجتماعات التى عقدت خلال اليوم في سائر الوحدات الانتاجية والاسلام الادارية والمناطق التابعة . وحتى يظل التليفزيون محتفظا بسبقه الى الدعوة فقد خصص برنامج يومى يذاع بعد اخبار التاسعة والنصف مدته عشر دقائق . يتضمن رسائل المشاهدين ، ولقاءات مع المعمرين الذين شاهدوا دخول الترام لخصر واحاديث مع بعض الصحفيين الذين زاروا بلادا بعيدة واطلعوا على النظم المختلفة للعناية بالترام . كما تضمنت الاولى رسالة من المواطن على الناقورى ، دعا فيها الى انشاء الهيئة القومية للنهوض بالترام . وفي اليوم التالى قرأت المذيعات العديد من الاسماء التى يؤيد اصحابها الدعوة . كما اذاعت تصريحات من وزارة الداخلية لم تبد فيها اعتراضها على تشكيل هيئة قومية للنهوض بالترام لمدام نشاط الهيئة لم يتعرض لاسس المجتمع وقيمه وامنه واشترطت تسجيل العضوية في القسم الشرطة . في تلك الليلة يمكن القول ان الموضوع اثير على نطاق واسع . بين افراد العائلات وبين رواد المقاهى . كما تحدث بعض الاقرب والمعارف الى

بعضهم تليفونيا ، نلقبوا موضوعات عامة أو خاصة لكن الحديث عن الترام والاهتمام المفاجيء به تخلل معظم الاحاديث وعندما اطبق الملايين من اهل البلاد جفونهم استعدادا للنوم احتل الترام اذهان معظمهم صورة من تلك الصور التي تتوالى قبل النوم ، كثيرون تاملوا مركبات الترام صباح اليوم التالي ، لوحظ زحام غير عادي على محطات الترام ، هذا لا يعنى زيادة عدد الركاب زيادة غير عادية ، لكن المثير ان اعدادا كبيرة من المواطنين تاملوا المركبات التي تسعى في شوارع مدينتهم منذ سنتين طويلة وكانهم يكتشفونها لأول مرة ، بيت المركبات شائخة ، تهتز في اندفاعها فوق القضبان اهتزازات خفيفة الى اليمين ، الى الشمال ، كانتا ستقلت من اسر القضبان الحديدية ، الطلاء بدا شاحبا في كثير من المواضع ، اما المركبات الحديثة التي ظهرت منذ عامين فقط في شوارع المدينة فلاحظ الاهالي ان ثمة تغيرات طرات عليها الى جانب الاهمال ، يبدو ان الفنيين لم يحترموا الاجهزة الحديثة بها فابدلوا بعضها باخرى اكثر تخلفا ، وربما لم يتيسر ابدالها بمثيلاتها نظرا لنقص العملة الصعبة المخصصة لاستيراد قطع الغيار ، كثير من المصابيح الزجاجية الامامية تحطمت ، مقاعد البلاستيك تكسرت حوافها .

في صحيفة الاخبار نشر تحقيق عن الجلوس داخل الترام ، وقال التحقيق ان راكب الترام يواجه الجالس امامه ، ويتلاحم بالمجاورة له ، وهذا ما لا يجرى في الاتوبيسات ، سئل بعض علماء الاجتماع الذين ابرزوا الجوانب الايجابية والاثار المترتبة ، وتعميق المشاعر الانسانية والروح الاجتماعية في عصر توشك فيه الالة على المساد كل ما هو انساني وجميل ، وقال احد اساتذة الفلسفة بجامعة عين شمس ، ان الجلوس في الترام ينفي عنصر الاغتراب لدى الانسان ، وركز علماء النفس على الاثر السيكولوجية المترتبة على تقارب الناس وشعورهم بعقاع السير البطيء وعلاقة ذلك بالحد من نسبة القلق والشعور

بالاحتجاب . وتحدث أحد اطباء القلب عن علاقة ارتفاع السير البطيء
للترام ، وضمان عدم توافقه المفاجيء بسلامة القلب . ولكد ان الانتقال
بالترام افضل وسيلة لمرض القلب . ونشر صورتين علميتين . الاولى
لقلب مريض استخدم وسائل المواصلات كلها عدا الترام . والثانية لقلب
رجل لم يركب الا الترام .

والى جريدة الجمهورية نشر تصريح لخبر إحدى شركات الاعلان
الكبرى التى بدأت تعمل اخيرا براس مال مصرى - غريب مشترك . قال
ان الترام يعد من افضل امكن الاعلان اذ توجد به مساحات عريضة على
جانبه . كما يمكن تعليق لافتات بكافة الاحجام فوقه . ويمكن ابراز
الشيء المعلن عنه بوضوح . والمادة المصنوع منها جسم الترام تنقل
الى لون وتحفظ بمقوماته الاصلية . بالاضافة الى نقطة هامة للغاية .
انها سير الترام البطيء . يمكن للمعاشى على قدميه لو الجالس فى شرفة
أو المطل من نافذة أو مدخن الزجاجية امام اى مقهى من قراءة الاعلان .
فى نفس الجريدة اجرت إحدى الصحفيات مقابلة مع تاجر لعب اطفال
قال ان اجمل النماذج التى يبيعهها للولاد من مختلف الاعمر هو
الترام . وقال ان رجال الجيل الحالى يتذكرون ■■ اللعب الصغيرة اثناء
طفولتهم والتى تمثل مركبات الترام المفتوحة والقديمة . خلال السنوات
الاخيرة ظهرت مركبات متطورة من الترام وعرض نماذج مصفورة لها ■■
تجده . وقال ان الترام كلعبة يفتح مدارك الطفل ويثير ■■ خياله العبيد
من الصور ويفتح امامه افقا عديدة خاصة فيما يتعلق بالتجالات
الكهربائية .

كما صرح قائد شرطة اداب الميلاد بان حوادث النشل تقل كثيرا
بالترام وذلك لاتساع امكن الوقوف وعدم اقلعة الفرصة لاهتزازات
ثيرة فتيح الاحتكاك كما ان خدش حياء الاناث يقل كثيرا . وقال ان
مركبات الترام حافظت على قيم المجتمع ومثله عندما خصصت عربة
لحریم . لا يمكن لرجل ان يركب بها لو يقف امامها . وقال ان بعض

العجائز يجدن فيها متسعا ومكثرا مريحا ، يقعدون فوق ارضية المركبات ويستندون ما يحملونه امامهم .

وال بداية اجتماع كبير قل وكيل وزارة الاقتصاد المختص ان اقتصاديات تشغيل الترام اقل من اى وسيلة اخرى ، والتمسك بها ، وتعميمها سيؤدى الى وفر فى الميزانية يساعد البلاد على التصدى لمسؤوليات اخرى جسيمة يتطلبها الموقف الذى يجتازه اقتصادنا ، فى نفس اليوم تحدث احد اساتذة التاريخ المصرى المعاصر الى طلبته ، وقال ان الدور الوطنى للترام لا يقتصر على مدى الوفر الذى يمكن ان يحققه فى ميزانية البلاد ، ان هذه نظرة قاصرة وتعزل الاقتصاد عن بقية الجوانب العلمية الاخرى . انه بصدد وضع مؤلف يتناول الدور الوطنى للترام منذ ظهوره . ثم تحدث عن نضال عمال ومستخدمى الترام الذين كالفحوا ضد اصحاب شركات الترام الاجانب فى بداية القرن ، ثم اسهب فى الحديث عن الاضراب العمالى الكبير الذى جرى عام ١٩٠٨ . وذهب عائلات المصريين الى الورش والمركبات ومشركتهم الفعالة ثم تكرر هذه الاضرابات ، التراموية ، التى ساهمت فى توعية العمال بحقوقهم من ناحية وبلورة الشعور القومى من ناحية اخرى مما لوجد رافدا هاما ادى الى ثورة ١٩١٩ . ولا يقتصر دور الترام على ذلك فقط ، بل تصدت مركباته للانجليز عندما قلبها المتظاهرون واستخدموها كمتاريس ، ثم قدم الى الطلبة صورا نادرة تؤكد الدور الوطنى المباشر للترام .

فى اليوم التالى عقد اجتماع موسع بالمقر العام للمنظمات الشبابية واعلن المقرر العام اتخاذ قرار يقضى بمشاركة جماهير الشباب الطلابى والعمالية وشباب الموظفين فى حملة واسعة من اجل اعادة طلاء مركبات الترام وتنظيف القضبان وستقدم دروع وكؤوس لاقدم العاملين بللفرق .

علق المواطنون على ذلك الاهتمام الواسع بالترام اثناء وقوفهم

مختلف الطواوير ، امام مكاتب الجوازات . الجمعيات التعاونية .
نوافذ الحجز ، بنوك العملات المحلية والأجنبية ، مكاتب السجلات
المدنية ، كما جرت مناقشات هامة في المناطق الحرة بالبلاد ، والمقاهى
الأفريقية التى تقدم المشروبات الساخنة والجلاس وقطع الطوى
الصغيرة والمشهيات ، وفى المقاهى الشعبية ، ومقار النقابات المهنية ،
العملية . وقال البعض انها محاولة لصرف انظار الناس عن المشاكل
الحقيقية ، اعترض آخرون وقالوا ان الموضوع يتم بشكل تلقائى
ويشارك فيه مئات عديدة . ولا يمكن ان يصل الى هذا الشكل لو ان الأمر
مدبر ومخطط له من قبل احدى الهيئات . لكن بعض القوى المعنية التى
تقوم دائما بالمعارضة من اجل المعارضة لم تخف امتناعها ازاء
الاهمية المتزايدة والمواجهة نحو الترام . حاولت تلك القوى ترويح
اشاعات معينة ونكت تدور حول الترام . وهددت المباحث العلمية انه
سيتم الضرب بشدة على أيدي كل من يحاول الخروج بمعارضته عن
حيز القول والاحتجاج ، ولم يفهم ما المقصود بذلك كما ان موقف اجهزة
الأمن المختلفة من الترام ، وقد تعود الناس ان هذه الاجهزة لها موقف
من كل الامور الصغيرة والكبيرة . موقف خفى غير معلن لكنه يعرف
لدى الناس بالاحساس بوسائل ما . ثمة حكاية تروى ربما اوضحت
بعض ما خفى . اثناء قيام رجال المباحث بالتحقيق مع خلية سرية من
الشباب الصغار ، صنع الضابط المحقق احد الشباب وخاطبه قائلا :
لماذا تتوجهون الى العمل السرى وامامكم العديد من النشاطات التى
يمكن لكم الاشتراك فيها ، لماذا لا تعبرون عن رأيكم فيما يجرى
حولكم . . حول الترام ؟

يمكن القول انه بعد ايام عدة نما شعور بين جميع الفئات بالتعاطف
مع الترام . حتى اصحاب السيارات الذين اعتمدوا على المجارى
الخاصة بالترام في وسط الطريق عندما يشتد الزحام . وبلغ شعور
التعاطف قمته في شارع الأزهر الرئيسى الذى ليزل منه الترام منذ عشر

سنوات ، اقام احد تجار المنيفاتورة سرادقا ضخما يتسع لآلاف شخص ودعا اليه ثلاثة من القراء الكبار . وبعد الانتهاء من القلاوة الكريمة خطب القلجى فى المحتشدين سمع صوته فى القصى الشوارع بواسطة مكبرات الصوت المصرح له باستخدامها ، اعلن انه يحيى الليلة ذكرى ذلك اليوم الذى ازيلت فيه مركبات الترام من شارع الأزهر ، قال ان ذلك من السليبيات التى جرت ، اثر انتهاء كلمته قام البعض بتحرير صيغة برفية على الجالسين مرسلة الى كافة المسؤولين لاعادة الترام الى شارع الأزهر كما تقرر احياء ذكرى انتزاع الخط سنويا حتى فى حالة اعادة الخط القديم .

ورشحت جريدة الاخبار رجلا تجلوز السبعين اطلقت عليه لقب راکب الترام الاول ، ادلى بحدث طويل روى فيه ذكرياته عن الترام التى تمتد الى نشأته الاولى لم يستخدم غير الترام وسيلة لانتقاله ، قال ان عددا كبيرا من الكسارية والسائقين القدامى يعرفونه ، كثيرا ما تبادل معهم الحديث خلال الزمن الرائق ، الجميل المولى ، كما تبادل معهم السجائر . قال إنه يعتبر ركوبه الترام لفظ احد الاسباب التى ادت الى ■ عمره .

وقد حكى بعضا من ذكرياته ، عندما افتتح اول خط للترام أثناء مروره امام مقهى شعبى ، قام الجالسون فزعا فلما منهم بان المركبة وحش غامض . ولفترة تلت هذه الحادثة استمر رواد المقهى او أى مقهى يمر بها الترام يقومون حاملين مقاعدهم ويتوارون داخل المقهى . فى اليوم التالى دعى ، راکب الترام الاول ، الى القاء محاضرة بمدرسة البنات الثانوية بشبرا ، اجاب على اسئلة الطليقات ، اقترح احد القراء تكريمه ■ حفل قومى يدعى اليه كبار المسؤولين . ويهدى اليه درعا جديدا اسمه ، سرع الترام ، غير ان التولة اخذت المبادرة ، اعلن عن انشاء وسام جديد ، وسام الترام ، حددت انواعه بثلاث طبقات :

- وسام الترام من الطبقة الاولى .
- وسام الترام من الطبقة الثانية .
- وسام الترام من الطبقة الثالثة .

ويعمل شكل الوسام عربة ترام قديمة من النوع الذى استعمل لأول مرة في العاصمة . تشع منها أضواء جسدت بالفضة بينما جسم الترام نفسه من الذهب اما المصابيح الالامية فمن الملس النقي . ولا تختلف الطبقة الاولى عن الطبقتين الاخرتين الا في نوعية المعدن المصنوع منه جسم الترام . تصاعد الاهتمام بالترام الى حد كبير فيما تلا ذلك من ايام . عقد العديد من الندوات لاهياء نور الترام التاريخي . أجرى عدد من الساسة القدامى اتصالات مكثفة لانشاء . الهيئة القومية العليا للترام . والتي دعت اليها ذلك الراكب المجهول والذي اختلف تماما بعد ان ادلى بحديثه التليفزيوني . اعترض بعض الشباب على انفراد الساسة بالعمل واصدروا بيانا دعوا فيه الى ضرورة الاصغاء الى رأى المستقبل . كما جرت مناقشات عديدة منظمة وتلقائية . وتمت الاخيرة في وسائل المواصلات . خاصة القطارات التي تستغرق وقتا . ويعى المواطنون بعض الوجوه التي تقلصت ملامحها اثناء الحديث عن الترام . وقبضات الايدي المضمومة الملوحة في الهواء . والاصابع المتوترة المشسودة اذ تشير مهددة والاسنان التي تعض على الشفاة . وهرجات التعجب التي تتخلل الاحاديث . كتبت مقالات عديدة يتسائل اصحابها عن المقصود بالترام ؟ الا تدخل مركبات المترو الحديثة في نوعية الترام ؟ بل هذه المركبات التراموية الحديثة المستوردة من البلاد الشرقية . الا تمت بصلة الى جنس الترام « والترولى بلس » . الى اى جنس ينتمى ؟ . . .

كلمات كثيرة حول هذه القضية . تليت من الإذاعة . والتليفزيون . وقيلت حول مواثد مستديرة وداخل حجرات مغلقة وفي اجتماعات عامة . وفي سراياك منصوبة من القماش . ودون المستمعون اليها الاف الملاحظات . بمختلف انواع الاقلام . وشرب قائلوها اكواب ماء كثيرة اثناء حديثهم وجربت الميكروفونات المستعملة مئات المرات ينقر الاصابع عليها او نفخ الافواه فيها . كما قيلت عبارات مثل « سيداتى انسلتى ساندتى » . « مساء الخير ايها المستمعون الكرام » . . .

الاف المرات ، كما استهلكت كميات لا حصر لها من الورق ، والدفاتر ،
والدبايس التي ثبت بها البعض ملاحظاتهم المرفقة بالنصوص
الاصلية ، وازداد الامر عندما ادلى وزير التربية والتعليم العالي
والمقوسط بيانا اعلن فيه دخول الترام كمادة اساسية يشترط النجاح
فيها للانتقال من مرحلة الى اخرى . حدد محتوى هذه المادة في رسالة
اذاعتها وسائل الاعلام الى ابنته الطلاب ، وتضمنت دراسة انواع
الترام واشهر المصانع المتخصصة فيه ، ودراسة اجزائه ، وشبكات
الكهرباء التي تقوم بتغذيته وخلال امتحانات النقل بالمنطقة الوسطى
ورد سؤال في التعبير ■■■ كما يلي :

« اكتب خمسة عشر سطرا حول الترام موضحا به عدد العجلات
بالمركبة الواحدة ومقدار المسافة الفاصلة بين العجلة والاخرى ،
واعلنت المكاتب الاساسية بالبلاد عن عزمها إرسال وفود متتالية من
ممثلى الهيئات البرلمانية والشعبية الى مدينة شارلوا البلجيكية
باعتبارها اكبر مدن العالم لصناعة الترامويات ، ول نفس الوقت
انهالت برقيات عديدة من سكان مختلف المدن مطالبين بادخال الترام ،
ودعا احد الكتائب في مجلة العلوم الثقافية الى تعجيد فكرة الترام ،
وقررت مصلحة صك النقود اصدار عملة تذكارية خاصة عليها صورة
الترام ، اعلن رؤساء التحرير الثلاثة معارضته وطالبوا باصدار عملة
دائمة للترام ، وعد مدير مصلحة الصك بدراسة الفكرة وتأثيرها على
النقد المتداول وحجمه ، ■■■ ظهر اعلان من هيئة الاسطوانات بحذر
المقننين من تزييف اسطوانات الترام والكسبت التي انتشرت في البلاد
وتتضمن هذه التسجيلات اصواتا ■■■ لاجراس الترام من مختلف
الانواع ، واصوات احتكاك العجلات بالقضبان ، وصوت الفرامل لحظة
ان تقبض على العجلات والصيرير عند المنحنيات ، وتتضمن الاعلان عزم
الهيئة على طبع اسطوانات صوت سريان الكهرباء ■■■ الاسلاك ، وهذا
ملم يتم من قبل ، وتقدم لحد المشتغلين بالسياسة للحصول على

ترخيص اصدار صحيفة اسمها « الترام » . لقد نظمت ندوات واعلن ■
سيجرى مجمع اللغة العربية عن اضافة لفظ « الترام » الى القاموس
الفصحى المعتمد . وقامت بعض المصنف بصك ميداليات صغيرة تعلق
الى الصدر او تتدلى من الاحزمة تمثل الترام في موضوعه المختلفة . وزعت
هذه الميداليات على اعضاء الوفود الاجنبية التي بدلت في الوصول
وتدلت من صدورهم . كما اعلن عالم مصرولوجي اكتشاف رسم على
جدران معبد فرعونى قديم يشبه الترام وتساءل . هل عرف الفراعنة
الترام ؟ وقال انه سيعقد اجتماعا يجيب فيه على ذلك ؟ غير ان
المعارضين بدلوا التحرك . وفي الفترة الأخيرة وقع منشور سرى من
إحدى الجماعات التي تعمل تحت الأرض ■ ابدى رجال المباحث
والتحرى . دعا المنشور الى اليقظة والحذر . وزع المنشور في بعض
مركبات الترام . وعقد مدير هيئة جمع المعارضة مؤتمرا اذاع فيه نص
المنشور . واتهم بعض الدول الاجنبية واعترف بوجود معارضة
للاهداف القومية المؤيدة للترام والتي عبرت عنها الجماهير تعبيرا لاهل
العدو قبل الصديق . وقال . ان تلك الاهداف تلقى تأييدا واسعا من
شعبنا لدرجة ان كثيرا من الآباء انجبوا مواليد في الفترة الاخير .
واطلقوا على اسم واحد « ترام » . .

لا أحد فى وداع المسافر

١ - العادة .

■ اليوم السابع لبدء العمل فى شد الونش الضخم حمولة مائة طن ،
■ الرابعة وخمس دقائق ، وإثناء محاولة تحريك مكعب خرسانى
يستخدم فى حفظ أتران القاعدة ، ارتجفت ظلال ، وتحذت زوايا ،
وخلفت لوضاع ، علت صرخات وحملت العيون ، نصف جسد عمر
راوى بدءا من الوجه الغائم والعينين الملتويتين ، فالصدر ، ثم
الخصر ، كان نصف جسده الأعلى قد إنكمش فجأة ، أترق لونه ،
وتباعدت اليدان عن الجسد الى أقصى مدى ، بدا المكعب الخرسانى أكبر
من حجمه الطبيعى ، انحنى مدير الموقع الشاب ، هوجىء بالعينين
المتسعتين ونظراتهما المستسلمة ، كانتا مسكونتين بمعنى غامض يبدو
لحيانا لدى المسافرين الذين لم يودعهم أحد . بعد الفزع الأول شعر
مدير الموقع بضيق ، حادث غير لوانه ، كيف سيكتمل نصب الونش ؟
عاد ينظر الى الوجه الذى تضاعفت ملامحه ، هل رأى رفة رمش ؟ حركة
ما ؟ الا تزال به بقية من نبض ؟ ، قلم أحد العمال زاعقا ، السر الألهى
لم يطلع . .

● المجلس الأول في لحياتك ~~سيرة~~ لندارة ..

.. مسلج صغيرة ، رفع اليدين بالدعاء ، حضور فرح الولد ،
يا اولياء الله الصالحين ادعوا لي بالعيش حتى ارى الصحبة والزفة
والضجة ، يد عبد الرسول تحت منديل ابيض ، منديل ابيض كبير ..
فجر ايام الاجازات ، وقود الفرن ، يظن نفسه ■ احدى الخيام ، كشك
خشبي ، فرحة وجوده ■ البيت ، قطع مقل ..

.. ما اسم هذه المنطقة ؟ موقع العمل ، ما اسمه ؟ .. كلن بودي
اشوف عبد الرسول .

بالق شهر على ميعاد اجازته انا حسبت الايام ، اسبيل بعد
سفرك بيومين ..

.. كان نفسي اشوف عبد الرسول ، ياكل قلبي وانا بعيد .
سبورة ، تبرع لمجلس الآباء ، تصفيق ، رجل بجلباب يقول كل سنة
وانت طيب ..
لم يكتمل الونش ..

٢ = الموقع

اقرب طريق مرصوف يبعد سبعين كيلو مترا ، للوصول الى الموقع
يجب الدخول في مدق صحراوي قديم مهدته اقدام غابرة ، ضيق ،
متعرج ، يعلو وينخفض ، على جانبيه حفر وكثبان ، وهياكل عظمية
لبشر ضلوا الطريق ، وجعل نفد مخزونها فبركت الى الابد ، بعد ثلاثين
كيلو مترا تتجدد الأرض ، توشك عجلات القيادة ان تظلت من ايدي
امهر السائقين ، ثم يستوى ، لينتهي في هذا المكان الفسيح المحدوف
خارج العمار ، فوق مرتفع مجموعة اكشك منتصبة فوق قوائم صغيرة
من الخشب ، على ابعك مختلفة تتناثر صنابير كبيرة ، اجزاء الونش
موزعة عليها ، لا يتم نقلها إلا بمعرفة ، راوى .. انه الوحيد ■
النشركة ، ■ البلد ، الذي يمكنه فك وتركيب وتشغيل الونش .



المهندسون الشبلن يرقبونه خفية ويبيدون لا مبالاة ، سائقو النقل ، والملاحظون ، والعمال يصغون اليه ، تردد صوته هنا منذ سبعة ايام منذ بدء تركيب الونش ، وقبل ذلك تردد خلفنا عندما جاء يستطلع المكان وانحنى فوق الأرض ، تحسس الصلابة ، واختبر اللبونة ، رفع عينيه الى السماء وتشتم الجو كأنه يقيس سمك الفراغ ، ومقدار الرطوبة ، واتجاه الرياح ، كل ما سيحف أو يمر أو يلعب الونش ، راوى لم يبد ضيقا من وحشة المكان ، وقال يبدو عابرون إنه ما من انسان اقام هنا ، وما من احد يخل الى هذا الهو وعاد منه سائلا ، والجمل اذا شرد فلا يحول احدهم تتبعه ، ولا يقتفى قاص الاثر خطاه ، عودته او العثور عليه ميثوس منها ، الاغوار سحيقة ، والحشرات من كل جنس ولون ، العقارب في حجم راحة اليد ، والقملط شرس من النمر ، وذئب لا يطلق لسمه ، في الليالي الاولى لم يلمض جفن لانسان ، عدا راوى الذى استسلم لنزول الليل ، وتعمد فوق صندوق خشبي ، احنوتهم سماء لم يشهدوا مثيلا لها ، غزيرة النجوم ، مسكونة بالاطيف ، ظنوا كل صوت وحشا يسعى ، وكل همسة حضرة تنوى الاذى ، او قدوا نارا ، واصفوا ، وفي الصباح قلوا له ، المكان صعب يا عم راوى ، قل إنه رأى ما هو اصعب ، لكن نفس البني لهم سيكرش كل شر ، ويبعد اى اذى . .

المجنى الثاني

★ . . نصب الطابق الثاني ، القاعدة الصفراء ، كان الرؤية تمر بلهب اكسجين ، تنحنى القاعدة ، او احتمل . . حركة الذراع على مهل ، دقيقة ، تفرغ احشاء السفن ، رائحة البخار ، رغيف خبز سلق وسك ، مرات الجلوس الى مائدة قليلة ، الفراغ ، معجزة في الفراغ ، تزيج الفضاء . .

★ . . لا تبرى نفس . .

★ . . في هذه اللحظة تماما ، أين عبد الرسول ، اى يعينه ؟ الى شماله .

☆ . يد تمسك بسيجارة . شكرا . الا تدخن ؟ ، اى سيجارة مهداة
لم يتريد امامها . لكن . . تخرج عبد الرسول من الجامعة . عهد نفسه
الا تعلق اليد يد انسان آخر .

☆ . مكتب بريد . اول الشهر ، كم يستغرق الخطاب من بورسعيد
الى قبلى ؟ من سيوة الى قبلى ؟ من الطور الى قبلى ؟ من سفاجة الى قبلى ؟
من الدلتجات . . كم . . زمن الحوالة ! !

☆ . . هان عليه ، الونش لم يكتمل . لا يقدر على دفع المكسب
الا هو . خلا به .

■ . زعيق . هيل . هيلاء لبثوا اقدامهم في الارض . نفروا العروى .
بذلوا العرق . جعير . تضعف . تهن . حد يعرف فيه كل انسان . .
لا فائدة . .

☆ . . منديل ابيض . . حواف بيضاء . . القلب . . السماء البعيدة
ونجم بعيد منمها كضى الجبين . .

٢ = بعض من ماضي مندر . .

في اواخر الاربعينات جاء خواجه انجليزى مع الونش الذى لا مثيل
له في البلاد . تولى فكه وتركيبه واخر كل شهر يقبض جنيها
انجليزية . عمل راوى معه . راوى قليل الكلام . يتحمل المشقة
والاسية . ما لم يعلمه الخواجه انه يلحق بسرعة ، وعندما حدث
ما لا بد منه وسافر بدون رجعة . حار المسئولون ، بدا الونش كومة
حديد ، لم يدر احدى جزء يلائم الآخر ؟ تفاصيل الصيانة والتشغيل ،
من الضروري مجيء خواجه لخر . لكن راوى اكته قبله ، انه يعرف
الونش كراحة يده ، يرصد الخلل من صوت الازيز . طلب الفرصة ،
ومنذ هذه الايام لم يلق الونش ، عمل عند اطراف القناة ، في دمياط ،
في الواحات . قضى ستة شهور في البحر الاحمر حيث الخير عند الاقدام ،
السك يسبح قريبا من الشاطئ اما لا تقطاع رجل بنى ادم ، فقط يمد

اليد ويخرج بها يشاء من الدفيس والمرجلان . ثم تفوح رائحة الشواء
 خطا فوق الشعاب المرجانية . عد مائة خطوة . ثم عشرين الى اليسار .
 ثم عشراً الى اليمين ، ورعى الشعب فخرجت بكل طيب . ۞ الليل ينظر
 الى النجوم محاولاً رؤية النجم الذى تحدث عنه المعمرون من اهالى
 الناحية . يمر كل سبعين سنة ، شافق الضوء . ظهوره يقبىء بأمور
 جلييلة ، سافر الى الصحراء واصفى الى اصوات الخلاء الغريبة ، رأى
 مالم تدونه الخرائط ، وكباشا فى حجم الثيران ، ومقابل بها تصاوير
 ورمم كأنها دفنت بالامس . تنقلت الشركة أخير الوتش ، اذا غاب
 رئيسها فترة فأول سؤال يوجهه الى مستقبله . . اين الوتش ؟ لو . .
 اين راوى ؟ وعندما يقل له إنه فى مكان بعينه يبدى السرور ، لان هذا
 يعنى انجاز عملية ضخمة ، لم يخاطر راوى قلب المدن او القرى انما
 يقى عند اطرافها . اعتبر انفس السجارة محرمة عليه الا اذا جاءت
 هبة ، امراته وابنه لولى بكل ملهم ، لم يجلس بمقهى الا مدعوا . فى
 طعام الشركة الكافية . وفى قرص الاسبرين شفاء للاوجاع التى تلم به
 من حين الى حين . يؤرخ عمر عبد الرسول واطوار حياته بمواقع العمل
 التى رحل اليها . عندما نزل اجازة ثلاثة ايام من بورسعيد كان
 عبد الرسول حنة لحمه حمراء ، لا ينقلب ، لا يتحرك من رقبته . يبكى
 إذا جاع . او ألمه البلى . وفى الاجازة التالية طلبت منه ان يصل على
 النبى قبل ان يسمع حرفاً مما ستقوله لأن المال لا يحسده إلا أصحابه .
 لقد استطاع عبد الرسول ان ينقلب على جانبه الايمن . ثم شب براسه .
 ان تركه بمفرده غير مامون ، لابد ان تظل عينها عليه باستمرار ۞ عندما
 نزل من أسبوط فى اجازة جاء عبد الرسول بكراسة . فتح صفحاتها .
 اشار الى النجمة الحمراء التى رسمها المدرس علامة على ذكائه . ضمه الى
 صدره ۞ وتذكره عندما كان يخشى الاقتراب منه فتضربه امه على اطراف
 اصابعه . او تضمه الى صدرها . وتقول له ، هذا ابوك . جاب لك
 حاجات حلوة . وهنوم كانت ۞ غيبته تقول له إن اياه هو الذى ارسل
 هذا الطعام . وتلك الفكهة فى الاجازة التى فارق لسوان خلالها . كان

عبد الرسول في رحلة مع فريق الكشافة ، وعندما التحق بالجامعة ورحل الى مصر بعد ان اقسام لاه على المصحف ان يصون نفسه من شرور مصر ، وبنت مصر ، انقضت سنة كاملة لم يره فيها ، حتى انه تخرج من الجامعة ورحل الى أوروبا لمدة شهرين ولم يلتق به حتى مجيئه الى هذه المنطقة النائية ، بعد لحظات من تمده فوق الكنية في آخر مرة قالت إن الولد ابن حلال ، ويقوم بالقواجب لانه تربى من عرق حلال . امسكت بحوالة بريدية قيمتها عشرة جنيهات . ارسلها عبد الرسول من مصر ، هـس . الحمد لله الحمد لله . على امتداد سبعة وعشرين عاما لم يخلف ميعاده يوما . كان يقبض مرتبه قبل الحكومة بأسبوع . هذا من فضائل الشركة ، يقطع اى مسافة ليصل الى مكتب البريد . وبحول المبلغ كاملا فيما عدا جنيها ونصفا يستبقه لنفسه . أول ما يهه معرفته عند وصوله الى أى موقع مكن اقرب مكتب بريد ، دارت الايام وابنه يرسل الى البيت . والله ما في داعي . قالت إنها ستشتري مفرشا جديدا للكنية وكليما للحجرة . ربما جاء مع بعض اصحابه فيجد ما يستره . نظر اليها وتذكر حديثها لثناء خلواتهما الليلية . لم يرها في اجازاته الا راضية ، لا تثقل عليه بهم . رعت البيت وعبد الرسول ، صافته من اذى الدنيا ، حكى لها عما راه في لرض الله الواسعة ، الرمال التي لم تطوها قدم ، والارض الخراب التي يرب اليها العمار مع مجيء الونش ، والقرع ، والموانئ التي ترسو فيها سفن كالبلاد حجما ، وكثافة النخيل في لوغل جنوبا ، وصغير القطارات المسبوع في عمق الصحارى . وما يثيره من رغبة لرؤية الازل والاحباب ، وتدعو في ان يصونه . ولن يقيه شر طريقه ، وتذكره بقسمه امام عبد الرسول في يركب عربات النقل ليوفر لجور القطارات ، تروح الطلوس في ستين داهية . لكن سلامته اهم . تدعوه ان يجنبه لولاد الحرام . وما تحمله النفوس . وتبطنه الضمائر . وان يجد في كل خطوة سلامة .

● المجلس ..

★ . الم ثاقب بغرى الصبر ، الانحدار فى فراغ عتيم ، يروح كل شيء ، صفاء نقر ، ذاكرة من البللور ، يعد أحد المهندسين يده بسيجارة ، أى وجه ، ما اسمه ؟ ترتفع اليد شكره . الا تدخن يا عم راوى ؟ . كان يقبل أى سيجارة تهدى اليه لكن بعد تخرج الولد . . والله لمن أمد يدي لأى انسان . .

★ . حوالة ، كم سيستغرق الخطاب وتحويل النقود من بور سعيد الى قبلى ، كم من سفاجة الى قبلى ؟ لم يكتمل الونش ، خلايه ، والوحيد القادر على رفع الحجر الذى الغى النصف الأسفل ، تنأى السماء ، وكان عبد الرسول لم يتم علما ، ملامح الوجه التى حول كثيرا تذكرها ، واضحة جلية ، لثافة حلوى ، الولد يتوارى خلف أمه ، اطل براسه ، غزاء الم ، لكن أمه قالت . . الولد صغير وانت لا تقعد معاه . . فى الليل يمسك عبد الرسول المصحف ، يفتحه على سورة يس ، أحلف الا تتركب عربات النقل على الطرق الزراعية ، حوائثها كثيرة يلبابا ، وجهه جاد ، أقسم ، غمرته حنية ، رق قلبه ، وغمره تأثر ، فى الدنيا من يخلف عليه ، فى الدنيا من يعول همه ، نفسى اشوف عبد الرسول . .
سافر

ابن أمه الآن ؟ عصارى الانقباض ، وجيف القلب ، دخول الغريب . . راوى جرى له . . كبدى عليه . . يزعم مهتس الموقع . . يعنى لا فائدة ؟ رجال يقفون على محطات السفر ، يزحمون الأرصفة ، حقائق فوق لوف ، الكمسارى ظهر ، جنود متعبون ، إعتلوا سطح القطار ، الوداع فى المطار ، لو ودعه . . وجوه تحمق ، لم يودعها أحد ، لو . . لم تسمح الدنيا ، تعطى عندما تأخذ . . الونش لم يكتمل . . لماذا لم يلتق صدفه يوما بعيد الرسول ؟ ؟



كشف

الثام

عن أخبار ابن سلام

يا رب يا ساتر المؤمنين من العيوب . . يا كاشف
 الغيوب . . يا من ارشدت قوما من دون الخلق اليك . ثم
 وفقتهم للاعتماد في كل امر عليك . . اللهم صل وسلم على
 نبيك سيد البشر . . كاشف الحقيقة وحامي الصديق
 العالم فوق البحور الغريقة . . وبعد . اعلم اني
 سطر هذه السطور . . لا لشيء إلا ابتغاء مرضاة
 ربي . وكشفا لحقيقة إنسان عرفنا أخباره عن قرب .
 قاسى ما لم يقاسه الأولون . . وذاق مرا وهجلا لم يذقه
 الآخرون . وفي إيماننا تضاربت حوله التواريخ . فثمة
 من لا ينسب إليه سوى الفعل . وآخر يحمل سيرته
 بما لم يجز ولم يحدث وزعم آخرون أنه وهم لم يوجد .
 ومن يعلم ؟ ربما جاء في قديم العصور من يرغب ■
 معرفة طرف من أخباره . فيكون حديثي هذا هاديا
 ومرشدا .

ذكر أصله ونسبه :

هو الفقير إلى ربه ، يوسف بن إبراهيم بن سلام ، لا يعرف أبعد من جده الثالث ، وإذا سألته لأجب . أنا يوسف أبي إبراهيم وجدى سلام ، وكنتى ابن سلام ، فلا تنفيني إلا بهذا ، كما أنه لم يقل لأحد متى ولد بالضبط ولا أين ، يقول أنه سمع أمه تقرر تاريخ مولده بمجيء الوباء العظيم الذى مات فيه أبوه ، غير أنه كان بطرق ثم يقول ، لكن أى السفين لم تخل من الوباء ، وإشباع عسكر العثمانية بين العامة أنه غريب عن بر مصر . قالوا أنه يطمع في ثروات الجراكسة ، بل إن السبب في مروره بالطرقات متوقفا بين لحظة وأخرى ، زاعقا بأعلى صوته عما جرى في النهار من جند بن عثمان . إنه كان يقبم في عشة قديمة على باب حارة درب الرصاص ، وعندما شرع العسكر لازالة ابواب الحارات قوضوا عشته .

ابن سلام بلا ماوى ، فسخط وطفش في الطرقات ، ويكررون أنه ليس من أهل مصر . وإلا فإين كان وقت خروج التجاريد ؟ وإلا فإين كان وقت أن علق طومانيبى على باب زويلة . وإلا فإين للمعالم الذين يمشون دائما وراءه ، يريدون ما يقوله ، يحيطون به إذ ينام . لماذا لم يمت إذا كان يبكى ما جرى ؟ لا يقوم . لا تصدقوه فهو دجل .



حاشية :

أخبرنى من الأق به : إن بعض السوق دفعوا عنه خطر العثمانية عندما حاولوا خطفه . وراح ابن سلام يطلق صوته الغريب الذى لا هو زعيق ولا صراخ ولا حتى بين وبين . تراجعوا من حوله وابتعدوا في كعبة الزرد والسلاح لا يجرؤون على الاقتراب منه ، وأطلق العامة صيحات التكبير والتهليل .



■ فوما جرى ■ دخول العثمانية :

... عندما ثارت فتنة ابن عثمان . وجاءت الرسل من الشام بما جرى . لم يعد الرجال يفلقون أبوابهم في حارة تريب الرصاص . كما أن ابن سلام لم يعد يفلق أبوابها بعد المغيب . كل من أهل الحارة أطمأنت بيته . يخمنون ما يجري . فالأخبار مقطوعة . والقول الذي يبدو مؤكدا في الصباح ، يصير مكتوبا في المساء . كل هذا والناس في كرشة عظيمة . وابن سلام لا يأتى إلى عشته أبدا . وفي هذه الليلة التي جاء فيها رجل نكد يجلده من الشرقية وراح يحكى ما جرى ، واقترب منه ابن سلام وبدأ أن يظهره الهرم ■ ازداد انحناء . . ابن عثمان يعطى الأمان ويدخل بلبيس . . رجاله يطيحون السيف في أهلها حتى قيل أنه قتل فوق العشرة آلاف إنسان من عربان وجند وفلاحين ، صارت جثثهم مرمية ■ الطرقات . أما الأحياء منهم فخطفهم العثمانية وباعوهم بابيخث الأمان . حتى أن البكري بيعت بثلاثة دراهم . هنا زعم ابن سلام متسائلا عن الثمن الذي بيعت به البكر ؟ ثم سال عن عبد القتي . واضاف الرجل أن سائر البلاد التي مر بها ابن عثمان كانت تخلو من سكانها ، حتى أنك لتدخل القرية وتنادى فلا يصادك إنسان . تحسر الرجال . واستعان ابن سلام بربه . . سمعه الرجال يقول : والله لم يجر هذا لمصر من قديم الزمان . إلا زمن البختنصر البابلي . وأصفوا وكان عليهم الطيرة . ماذا يقول عجوز الحارة ؟ ومن هو البختنصر البابلي ؟ لم يكرر قوله . راحت أسئلة الناس كحجارة رموها في بئر بلا قرار . بل أدركوا أنها المرة الأولى التي يسمعون فيها العجوز . طوال سنين لم يفارق عشته . لم يدخل بيتا ولم يعبر حتى أسوار المدينة . . منذ هذه الليلة لاحظوا أنه يخرج كل نهار . رؤى في أطراف القاهرة وعند صحراء الرميطة . وقال آخرون والله أعلم أنهم شاهدوه في ميدان الريدانية . بل أن هناك من أقسم أنه رآه عند سبيل علان ، يسقى الجند ويحمل معهم الأتربة . . وفي اليوم السابق لدخول الخنكر مدينة القاهرة رجع إلى عشته مخمورا مقهورا ممزق الثياب . يلرز العظام . . حتى ظن من رآه

ان الصغار رموه بالحجارة . اما الحارة فنزل فوقها الخراب . وزع
 الأغنياء من اهلها ذهبهم وقضتهم وقلمشهم على الامكن المجهولة . ولجا
 من يخلف على نفسه وعلى حريمه وعياله الى المزارات البعيدة وفساقى
 الموتى . وإن لم يتلق هذا فيما بعد . وبدا لمن تقبوا انهم يرون
 ابن سلام لول مرة في حياتهم . عيناه اللتان دببت فيهما الحياة . زعيقة
 في جوف الليل . يا رب : وتنبهوا الى انه لا ينلم ابدا . حتى حلوا فيما
 جرى له وما اصبح عليه . وفي الصباح سالوا عنه . وجدوا عشته
 خاوية . تذكر البعض انهم راوه يصل الفجر في المسجد القريب . وطلع
 النهار وزامت الرجل في الطرقات . وفجأة علا صراخ الموقعة . وكلفت
 الكعبة . وهول النزال والقتل والطعن . ورجفة الارض إذ تنطلق
 المكحل الكبار بالبرود . وانعد الغبار سحبيات قتيمة في سماء المدينة .
 وبنت البيوت يتيمة . والدكاكين مرعوشة تنادى . . الامن . .
 الامن . . والحواري كالمستكين في المجاعة . كل هذا والشتاء يعمل
 عمله . ونظر الاماني من خلف الطيقتان المغلقة . والعصر يرمى في
 الشوارع وحشة وخنقة وأغرق النفوس ألم وخمدة . هاهم جند الخنكار
 يطلقون البندق الرصاص في الهواء يصرخون كاليهاثم . . ههج
 بلا نظام . هاهم يتوقفون يلجون البيوت . حجتهم البحث عن الممالك
 الجراكسة . وعلاصراخ الحريم والام العيال . واستمر النهب والقتل
 عمالا حتى بعد مجيء الغروب . والشمس ليس لها من اثر . . والمتادون
 في الطرقات . إدعوا بالتصبر للخنكار سليم بن عثمان . لا يخفى احد
 منكم جركسيا وإلا . . ومن نلحية سبيل علان . . وفوق قناطر السباع .
 خيل للناس انهم يسمعون صوتا يقول كلاما آخر . عجوز محنى الظهر .
 يبدو في حمرة المغييب . . يتكئ على فرع شجرة . يمشى بسرعة كانه
 يجري . هزيل لا يبين . راح الصالح بالطالح ولعب السيف في رقب
 الأبرياء . . طرش العثمانية من اهل مصر في يوم واحد الف الف
 إنسان . . الجثث مرمية تنهشها الغربان . . لا تجد من يدفنها . .
 أبدان بلا رؤوس ورؤوس بلا أبدان . . يا حي يا قيوم يا من لك الدوام

راح الصالح بالطالح . . . قيل ان الصوت سمع في الباطنية . بل إن
 أهالي الجوانية استطاعوا تفسير ما قاله الصوت . وأى مسافة تفصل
 المكثين عن بعضهما . وجاهروا فيمن يكون ومن يجزئ على التجوال
 والزعيق وسط هذا الضجيج والعجيج قالوا إنه مجذوب . . وقيل إنه
 رجل قتل ولده في الموقعة . وذكر آخرون إنه إنسان فاض به الحزن لهول
 ما رأى . وأقسم ثلاثة ممن كانوا يختبئون في فسافي الموتى قرب ضريح
 الامام الشافعي . . ما هو إلا عجوز معروف لأهالي قصر الشوق عامة
 وسكنتي درب الرصاص خاصة . . إنه معروف لدينا من صغرنا تراه
 الشيخ العابد الزاهد ابن سلام . . ولكد شاب أنه اصطدم به أثناء
 جريه فرمى . إنتابت جسمه عندئذ رعشة . وأقسم بقرية أبيه أنه رأى
 فم ابن سلام خاليا تماما من الأسنان . فراغ مظلم يقطر دما غير أن أهالي
 الدرب كذبوا ما سمعوه . صحيح ابن سلام عجوز لكن أسنانه سليمة .
 وقال آخرون إن فمه لم يكن به أسنان . غير أنهم تعجبوا كيف يتناقشون
 والموت يمشى على اقدامه في الطرقات . لا يامن أحد على روحه . الحرائق
 تشتعل في عدة أماكن . غير أنهم فجأة سمعوا صوتا واضحا أثار
 الرعدة في قلوبهم . أخذهم حتى كانوا يبكون . لا عجب فالناس في
 وهم عظيم وجرحهم طوي مفتوح لا يزال يتزف . . الصوت متوحش
 وغريب . ضاع الأمان . . وراح من راح . هتكوا عرض عشر نساء في
 جامع المؤيد . وقتلوا بلع خيل عند باب النصر . اكلوا خبازه . .
 والنهب عمال . . راح من راح . . اطلوا من الطيقان التي غلقت من وقت
 بعيد . صاحب الصوت مضى . سمع من يريد ما قاله . . سألوا
 بعضهم . فلماذا رأى المنادي بعينيه . . هو بعينيه . زاهدنا
 ولقيرنا . .

ذكر أخبار شهره :

أعلم غفر الله لك أن ابن سلام لم يقرض الشعر طوال عمره أو هكذا
 قيل حتى وقعت الشدة العظمى . وحسنت الكثرة . وعتت القرعة .

وصل جند ابن عثمان وجلالوا وهشوا على تاس مصر . وما راعوا
لجوامعها ولا لزوعها ولا لفسادها حرمة . . . وتهيوا بكليتها وقصورها
وما ابقوا إلا الجدران .

يذكر الناس . أن ابن سلام بدا عندئذ يقول الشعر ، وقد اشاع
العثمانية أن الجراكسة كانوا ينظمون له هذا الشعر ليقوله **■**
الطرق . . لكن أخبرني من تلق به أن ابن سلام هو الذي قرض كل
ما قاله من شعر . . ثم أن شعره الذي لبكى الناس وأجرى الدمع أنهارا
من العيون . لم يتبق منه شيء . ولو كان واحد من الخلق كتبه لبقى
عنه بعض ما كنا نود أن نورده هنا . يقول القاضي بدر الدين بن زينون
- نفعا الله به أمين - إن إلقاء ابن سلام لاحدى قصائده إستغرق مرة
وقتا يتحصر بين أذان العصر ونزول صفرة المغيب . وهذا من غرائب
الزمان .

فصل **■ ■ ■** ويقول : .

إفتش ابن سلام الطريق الكبير القريب من السوق . يحيط به من
إعتاقوا المشى وراءه . وتساعل التجار والناس والعيال عما ينويه
ابن سلام . وهوق البيوت نجمعت الغيوم الثقيل . . ولا عجب **■**
امطرت السماء طوال ثلاثة أيام . ولم يكف الرعد في الليل أو النهار كذا
البرق . حتى لوحلت الأرض وصل المشى صعبا . ويقسم من كانوا على
مقربة من ابن سلام أنه لم يرتجف من البرد أبدا . كما أن ثيابه لم تبللها
نقطة ماء . وفجأة وقيل الظهيرة . علا بق الكوسات والطبلخانات وزعق
النفر من بعيد . وبدا من نهاية الطريق متولى حسية القاهرة قدما من
ناحية الرملة حيث القلعة . يعشى أمامه الساعة . له هيبة ومهابة تكاد
تحلكى هيبة الملوك .

قام ابن سلام زاعقا . . متوسطا الطريق يا حي يا قيوم . . وتردد
الجميع مقدار درجة في الإحاطة به . . غير أنهم قد احاطوا به . وأمل
الأهل من الطبقات . ويطل النداء على سائر أنواع البضاعة . كت
الطيول . سكنت الكوسات . .

زعم ابن سلام زعقة عظيمة . اقول قد علمت ذلك بنفسى . إن قلب
الواقف على بعد ألف متر منه لا يد أنه ارتجف هولا ورهبة . تقدم من
حصان المحتسب . انزل يا زينى من فوق مرجك وكلمنى . وعلى مهل نزل
الزينى يتعثر **قططانه** الحريز وجبته . صاح عليه ابن سلام . ظلمت
العبيد وفرضت من الضرائب ما لا يطيقون . شربت العيل . وزدت عدد
الإرامل .

وفى هذه **تصليح** الواقفون وراء ابن سلام . ومعظمهم
فلاحون جاؤا من اقصى البلاد بعد أن سمعوا به . والآخرين حلفت
بهم المصائب فزموا جانبه . واطرق الزينى براسه . يا زينى ألم تكن
أنت الرجل المقرب عند السلطان الشهيد فنصوه الغورى ! وكنت تقبل
يده وطرف جبته فى اليوم مرات ! ما الذى جرى يا عالم ! ما الذى
فعلته ! وقمت به حتى نراك اليوم الحبيب المقرب لابن عثمان ؟ ألم تدع
أنت على الخنكر قبل خروج الغورى الى الشام ؟ ألم تشرف على جمع
النفود والضرائب ؟ وبأليتك اليوم نصير لاهلك عند العثمانية .
ها أنت مستمر **فرض** المكوس وتربنا من المظالم انواعا وانواعا . أئيل
أن الزينى صار يتلفت حوله مذعورا . . إنتابته رجفة . ربما سمع
الكلام من ينقله فى التو الى ملك الأمراء . يا خراب دياره . . لن يمضى
المغرب إلا ويشك فى الزنجير ويعدم اليوم التالى . يشك من ضلوعه
كالبانجان . . كل هذا وابن سلام لا يكف ولا يهدأ . . أنت كنت معهم
عندما هجموا امس على سكان الجزيرة الوسطى . طفشوا فى بيوتهم
ورموا عيشهم فى الطرقات وضربوهم حتى إنقطع حسهم . كل هذا وأنت
معه . لا تقول استكتوا ولا ترفع عنهم الأذى . كل هؤلاء شاهدوك
وسمعوك واستغاثوا بك . لكنت لم تأبه لهم وبهم يا كافر .
يا عدو الله . إنتفرت عروقه . . وكذ الدم يخرج من عينيه . . أما
الناس خلفه فصاروا يصرخون ويستغيثون .

وفجأة مد ابن سلام يده وجذب الزينى بركلت بن موسى من لحيته
وخلع عمامته . ورماها فى الوحل . وبهدله أذربهدله . وهذا لم يتفق
قديم الزمان لو حديثه أن ناسكا لو غير ناسك مرمغ هيبة رجل ذى

سطوة وجبروت خاصة كالزيني بركات بن موسى ، فقد قل نجمه يلعب
وسعده يطلع في زمن الفوري وزمن الخنكر . مما حير العقول وأربك
الآلياب . وقيل إن الزيني وعد ابن سلام إن يكلم ملك الأمراء في أمر هذا
الخراب . غير أن ابن سلام لم يصغ إليه .

وتزايد عند العامة فجة حتى أنك لو نثرت نرات الملح فوقهم لما
فلحت ذرة واحدة ، ولرعدت السماء فجة رعدا مهولا حتى رجفت قلوب
النفس بما فيهم عسكر العثمانية الذين تجمعوا عن قرب ، وتهاس
العامة وسائر أهل مصر . إن الباري عز وجل غاضب على ما نزل
بعبداه .

إنتابت القلوب رجفة ورهبة ، ورفع ابن سلام عصاه ممسكا بها من
منتصفها . زعق نالها على من ملت . معددا من رهم قتلوا منذ دخول
العثمانية ، راثيا أهل مصر الذين انتزعوهم من وسط عيالهم وأرسلوهم
إلى بلاد الخنكر . حتى حدائق الفرجة التي خربت ، وإيوانات الجوامع
الجميلة التي نهيت عواميدها وأحجرها .

وعندما استرسل كاد القوم يشقون ثيابهم . كبروا وهللا . وانطلقت
فيهم جمرة نار مهولة تقيد لا تنطفئ . هكوا الزيني ورجاله بالمقارع .
وبرغم زيادة الهول وشدة الضجيج ، فقد سمع جميع أهل المدينة صوت
ابن سلام نقيقا كالرثيق ، صلايا كالبللور برغم تقدم العمر . زيادة لهم .
وشدة الضيق . والكرب .

ذكر أخباره الأخيرة وكيف انتهى أمره :

طلب المشاعلية ثلاثة أيام . راكبين وراجلين . يناهون : بأن الكاتب
القديم مدعى الزهد والعبادة . سوف يبق رأسه بالطير عند باب زويلة
ظهر يوم الجمعة . ولمدة ثلاثة أيام علا النواح من البيوت . وبرغم أن
الوالي قد حرم النعش بالنق على الطلوات ، غير أن النساء تحت ستار
الليل رحن يقعن ويضربن الطلوات حتى الفجر . لدرجة أن المدينة
ياخذها الهول حتى ليشيب من حالتها الرضيع . ولم يجرؤ تركي واحد

ان يامر بالنهاى عن هذا ، وقيل لن الجنود الذين امسكوا ابن سلام وضربوه ، قد إنتابهم الندم ، لأن النساك لا يقربون ، فرموا انفسهم من فوق سور القلعة ، وراح خلف الحقول من العامة يقولون لن ابن سلام هارب هائم على وجهه فى الجبال ، وان الله سبحانه وتعالى سيمده بجند من عنده ، وانهم لم يمسكوه هو بعينه .

لكن جاء ظهر الجمعة حيث خلت الجواسع من مصليها ، وخرجت النساء حاسرات ، اما نوافذ جامع المؤيد شيخ ، فقد تعلق الخلق بها ليرقبوا البوابة الكثيبة وما يجرى عندها . وعند ظهور الحمار المربوط اليه العجوز ، سرت هممة بين الجمع خرس فجأة ، النسوة لم يطلقن زائرا مرتفعا ، ونزل الضراب والموت حتى لتحسه فوق البيوت ، وتكاد تخلل ماذنتى المؤيد فوق زويلة تميلان حزنا وقهرا ، وخلف ابن سلام سحبوا جمعا يبلغ العشرين ، قيل انهم الذين نهبت بيوتهم ■ الجزيرة الوسطى ، وشكوا الى ابن سلام حالهم ، وكان ما كان . .

طلع ابن سلام فوق المصطبة ، راسه مخلوق تماما ، جسده عار إلا من زنط قديم يحيط نصفه الأسفل . جال بعينيه فى الجمع الذى احتشد وسكن ، صاح فجأة : اقرلوا الفاتحة ، اهتزت الشفاة وترقرق الدمع خلف الملقى ، وقيل انه الذقت الى المشاعلى وقال : إعمل شغلك . وجلس القرفصاء ، بينما رفع المشاعلى الطير الثقيل واهوى به فوق عظام الراس الذى انخسف ، وبدا كومة غريبة فى حجم قبضة اليد فوق الرقبة . انتفض الجسم الى أعلى ، وقيل ظل والظامق دار درجات وبسرعة هوى الطير مرة ثغنية . وزعق الواقفون جميعا زعقة هائلة . وكثر التحسر والاسى ، وقيل لن أحجار البوابة رمت دما ولا تزال ، وعاطت النساء عياطا مهولا ، إرتجت له القاهرة وظل جسده معلقا فوق بوابة زويلة ثلاثة أيام .



دمعة الباكي

على طيفاً منصف الشاكي

.. سبحانه يامن انزلت الكتاب المبين على
نبينا اشرف المرسلين .. وقصصت عليه اخبار
المقدمين والمتأخرين . نحمدك ان جعلتنا من
امتك ، وحشرتنا في زمرك ، وبك نستعين . فقد
شفلنى امر هذا الرجل الغريب ، المعروف بين
الحاضر والغائب بطيفاً ، فصرت استقصي
لحواله ، ولحاول ان اجدوا اخباره حتى وقع
بين يدي من مخلفات السلف هذه القبيذ
والشتات . للفقر إلى ربه (ابن الحداد)
والتي عنوانها (دمعة الباكي على طيفاً
منصف الشاكي) وقد فرحت بها فرحاً عظيماً ،
لأنها تكشف بعض ماغص وطواه الزمن . قلت
فلانسخها واريتها للأصحاب . ربما ■ من
هذا بعض الثواب . والحمد لله رب
العالمين ..

(بقول وكان هذا مجرى امم عيني الآن . ان الليل كان شنيعا مهولا معتما . حتى النوم فطرق العسكر . صاروا يزعقون . الله اكبر . الله اكبر . اما الجليد فبالقطن المتدوف اتشبه . وإلى ريم الصليون القرب . ينزل من السماء ويطلع من الأرض ليكد يغرق خيلنا واحملنا . انقضى وقت طويل على حصار مولانا سلطان المسلمين لآخر قلاع الفرنجة في بلاد الشام . صار كل منا يقول . اما فك الحصار فالجند متعبون . لو الاندفاع . سرى الهمس بان تبشير وباء بدت . إن لم نتداركه فسيرمينا للمة هيئة سائفة امم الكفرة . قرب الصباح . النهار قريب . وارتجت الأرض رجا عظيما . واضاعت الوادي نيران القنوط التي سلطت على اسوار القلعة . اخذنا . لم نعرف . اهجمنا ام هوجمنا . صرنا نحن المشايخ نقرا الاوراد والانكار نطلب الرحمة من رب العالمين . سهلت الخيول . اجفلت الارواح في الابدان . سرى الخبر بيننا كالنار في عيدان اليوص . اندفع صفوة من فرسان الاسلام الى القلعة للمغازاة في الفرنجة الكفار وإنهاء الحصار . قيل من امامهم ؟ جامعا الجواب . الأمير . طييفا لق سنقر . اول مرة اسمع فيها الاسم . لم ينقض الكثير حتى تدافع العسكر من ثغرة كبيرة إلى داخل القلعة . القول وقد عاينت هذا بنفسى . إن الجنود الذين نال منهم التعب وبدا فيهم الوباء . رايتهم في لحظة اندفاعهم . انكر هذا طوال عمرى . فاسماء ساعتها محملة بغيوم ثقال لها عيون واذان . كل التعب ضاع وزاح . رفع الفرنجة الاعلام يطلبون الامن . دخل سلطاننا المنية يعرج عرجا خفيفا . فلحدى ساقية القصر من الأخرى . وخلفه حملة المصالحف . يصيحون . مكبرين مهللين . غير انه قبل جلوسه على حجر لو دخوله إلى مككن . نادى من حوله . امرهم بلحضار فارس الاسلام الأمير . طييفا لق سنقر . من اينال .



عاقق سلطاننا الأمير طييفا وضعد بنفسه جروحاته . أعلن المناديون انه استقر به نائبا للسلطنة . مختصا بالمظالم والاحكام . لهجت الألسن

بأن الناصر سوف يعقد لابنته على طييفا . لم يدم الزواج ، فلا استطيع
الجزم هل فكر سلطاننا بهذا أولا ؟ كما انى والحق نقول ، لست عليما
بكل الامور ولم يتبحر طييفا معى فى حكايها النساء . مرة واحدة فقط
كنت حديث معرفة به . شاورنى فى شراء جارية سوداء يقال لها ، انطلق
العوادة . ضحك وقال ، فلتجرب سماع جوارى السودان .

حدث ان بعض اللثم اشاعوا انه رتب امرا مع تاجر الرقيق الحبشى
ليحضر له صفار الجوارى السودان ، قالوا إنه يهوى ذلك ، اعود الى
ملكنا فيه . فاقول إن بعض الامراء اتركهم الغضب ولولهم طشتهم
جندار ، ذهبوا والسلطان للآوون فى طريق العودة ، داروا فى الكلام ،
تعجبوا . كيف يامر سلطان المسلمين بقرار طييفا وهو مزال غضا طريا
- كان صغير السن شابا فى هذا الزمان - نائباً للسلطنة ، يحكم فى المظالم
الكبيرة ويكفل حقوق المؤمنين والايتم ، اصفى اليهم . دار براسه
اليهم ، قال : اهذا كل ما عنكم ؟ قالوا والله نحن نخاف سلطاننا ، قال
وعيناه فى الارض لا تحيدان . غمروا من وجهى ، لو كررتم هذا لقطعت
لجسامكم والقمتم وحوش الارض . ارتجلوا . تقهقروا . استدركوا
فأرطهم واسرعوا إلى خط التبانة . السكون فى الدار . العبيد يقفون فى
الزوايا والأركان ، حتى نائب لها . هزراسه : ادعوا لنا حتى نشفى من
جروحنا اطلبوا الرحمة والمغفرة .

نزل الليل ناعما كزيت البلسان . الصيف انكسرت حديثه ، فى كل
ليلة . يتوجه اهل العلم واصحاب المعرفة من القوارىخ إلى بيت طييفا
المقام عند خط التبانة . السكون فى الدار . العبيد يقفون فى الزوايا
والأركان ، حتى بعد استقراره نائباً للسلطنة بقى فى بيته . لى الطلوع
إلى القلعة ، هنا نكون اقرب إلى خلق الله . هكذا قال . حمل الخدام
فوارغ الصحون من بعد ان فرغ الحضور من العشاء . قال الشيخ
سراج الدين انه جهز من الالفز ما يعجز الجلوس عنه . تندر يلغا
البحيلوى امير لخور واعز اصحاب الامير طييفا . اكل سيحلون الالفز
عدا أنت يا شيخ سراج ، لوح الشيخ بيده ، انشد :

تراها في المجيء وفي الذهاب
وتكسو الناس أنواع الثياب

و ذات ذؤابة تنجر طولا
وما لبست مدى الأيام ثوبا

.. تحدثهم الشيخ ان يحلوا اللغز ، علت الأصوات ، كثرت
التفسيرات ، طييفا هادئ ينتظر إلى الجلوس ، وجهه مريح لكنه
عبوس ، يفكر في أمور بعيدة لا تعرف ما هي . أخبرني فيما بعد انه
يضيق بالكلام لو دار ولف ثم استكان ، تنقل الليالي في نظره ، بفارقه
الأصحاب فيغرق في الخيال ، ما اصل الحياة ؟ تمضي بنا إلى أي حل ،
ضحك الشيخ سراج ، صاح أقول لكم ، هي الأبرة ، لم يكد يشرع في
الحديث حتى علا صوت صياح في الخارج ، الزعيق لوجف مياه النافورة
التي تنزل السكينة في الجو ، قال يلبيها الحيالوي عجيب ، من يجروني
على الصباح ؟

خرج طييفا يلتحف بعباءة حرير شاهاني أصفر .
قال العبيد : لا تؤاخذنا يا مولانا ، لا شيء يعكر الهدوء ، خطا عبر
الحديقة .

برز شاب يرتدي ملوطة ممزق الشباب جالط العيين من فرع ،
انطرح ، قبل الأرض ، اعانته طييفا ، اخذه ، شاب مليح حلو الصورة
صوته مرتعش ، لنا خازن السروج ، رايتني كثيرا ، هز طييفا رأسه .
اخذه العجب ، يراه كل يوم يضع سرجه فوق الحصان ولم يحفظ
خلقه ، ربما لم يعن بالنظر إليه ، ربت على كتفه ، بكى الشاب ،
لا تؤاخذوني يا مشايخ ، اندفع ضاحكا باكيا ، ناديا حظه ، منذ أسابيع
تزوج بنت ناس رفيقى الحال ، لكنها ذات حسن وجمال وكمال ، ويشاء
الحظ ان يلحقها في سوق الشماعين .

الأمير جنكلي ابن البابا ناهز السبعين ، عرف عنه ميله الشديد إلى
صغيرات السن ، ويقال انه لا حول له ولا قوة معهن ، بمجرد ان رآها ،
طاش عقله ، ضاع صوابه ، قال هاتوا لي هذه ، لا انام حتى تكون
عندي ، قام رجاله وراعاها ، زلقوها عند سوق الخيل ، الوقت غروب ،
احاطوها ، لفقوها ثم ولوا .

بكى خزن السروج ، امراته يتيمة ، مسكينة ستموت لتوها ،
يحبها ، يحبها والدنيا فيها الكثير من الحريم طمأذا امراته من دون
النساء ؟

قال الشيخ محب بن نياته ، وما تظنه سيفعله لك اميرنا طيبغا ؟ ثم
اشرق طيبغا مقدار درجة ، ضاق برد الشيخ ، تعلقت عيون الباقين
بوجهه ، إذا سخط على الشاب سخطوا عليه ، إذا ابدى الترفق تهونوا
به ، طمانوا لرواحهم ان الامر سيعدى ، ليست الحادثة الاولى التى
ياتيها ابن البابا ، وهو صاحب سطوة وهيبة ، يخاله الكثيرون .
مال الامر يلبغا همس الى ابن طيبغا قل له مثل ذلك . غير ان طيبغا
قام فجأة ، نزع عياعته ، صاح على الشاب ، قم وجهز ركبي ، التفت ،
لا ينالم ههنا فى بيته وقد لجأ إليه صاحب مظلمة .
نزل الارتياح والخوف على الوجوه ، الغاعل جنكلى بن البابا . قال
الشيخ سراج ، تعرض نفسك لخصومته يا امير .

ازداد طيبغا قبحا فى هذه اللحظة مع انه فى سبيل فعله الخير ، قال
لن يرضى سلطاننا بعمل هذه المظالم . قال يلبغا ، لكن حدث الكثير من
ذلك ولسان حاله يقول ، لماذا تستنكر الحادثة بالذات ؟

لم يجب طيبغا ، خرج لساعته . كنت مهوما عليه ، وانصرفوا كلهم
حتى يلبغا اليحياوى . ربما انقلبت الامور فيدهم طيبغا فى بيته عندئذ
يؤخذون . قلت والله لا امضى حتى اعرف ما جرى ، واوغل الليل فى
العتمة ، عظم البرد . خلت نفسى فى ليل شتاء عفى . .

وارتجت القاهرة رجا شديما . رجفت الالسن بما جرى وكفن ، صار
العلمة فى الأسواق والذعر واسفل العياق ، ولوبش الناس المشلاق .
لا يلوكون الا ما جرى . ترامى الامر بسرعة كصفيح الشرر لو دب فى
القش العظيم ، فوجهه واشعله . اقول وقد سمعت ما دار يائسى ، إن
الحديث واحد الى الحوارى والطرفات ، بين الحريم فى البيوت ، فوق
الاسطح ، وكلما قلبت اتسلنا بامرك بسؤال ، هل دريت بما كان ؟
والحق معهم ، فلم يحدث فى سالف العصور والازمن . لن اميرا اقل

رثبة من أمير عالي الشأن . يجبره على التراجع ■ أمر آتاه ولم يعد في حسابان .

وزاد الأمر هولا لأن طييفا وجنكلى مملوكان لسلطان واحد ، اثار هذا حفيظة ارباب الجاه . قالوا فعلها طييفا ، فرج علينا العوام . لكن طييفا ذاع امره واشتهر . وصار كل من عنده مظلمة يقول . هيا نذهب إلى طييفا ، فيسأل من هو ؟ فيقال هو من رد امرأة خازن السروج إلى زوجها بعد ان خطفها أمير كبير جنكلى بن البلبا . .



حكى الشيخ جلال الدين الكندرى ■ تاريخه المعروف (الطريق الآمن إلى حقيقة اهل القرن الثامن) قال لما شاع امر طييفا قلت لم يمر على شخص كهذا . والله لانهين إليه ، اراه واحادثه بنفسى ، وجذته متواضع الثياب . بيته قليل الريش . رايته يبيع الوجه غليظ الشفة الدغ اللسان . بطيء الكلام فخير انى قلت ليس هذا ذا شان . قلت كيف تنفذ امرأة واحد من العوام وتعدى جنكلى وهو من عشيرتك وابناء جنسك ؟

قال بلسان بطيء : تحرق قلبى المظلم . السماع بها لو رؤيتها ، تفعل وتابع . وقديما مشيت في الركاب خطفنا العمائم من فوق رؤوس الناس . اوقع اصحابى شيوخ كبار . كنا صغار . غير انى ارانى لحال القوم الذين يعال من عيونهم السؤال . شكوت ليلبغا صاحبى حال ، لكنه قال ما الذى تطلبه من الدنيا وانت في احسن حال ، عندك ما تشتهى من جوارى الروم والسودان . هل ستحمل الدنيا على راسك وتمشى تصرخ بها ؟ للكون رب يجبره .

■ ليل آخر سالت يلبغا كيف مات الف الف انسان ■ الوباء الاعظم . قال يلبغا ماتوا شهداء . قلت وما الفرق ان يموت ابن آدم شهيدا او غير شهيد . قال يلبغا ، انت تحيرنى يا أمير . لم اطل معه . سكت . لكن قل لى يا شيخ جلال الدين وانت رجل مطلع ، كيف قنام وكل يوم يقع من

المظالم ما تنكسر منه الجبال ؟ . . اطرقت . حرت في جوابه . نشفت عليه في الكلام . هل ستعدل الدنيا يا امير طييفا ؟ رددت مخطوفة إلى زوجها . فقلبت الكون والقيت الامراء وهيجت الخواطر واحقدت النفوس . لما بالك لو شرعت ؟ فض المظالم ؟ صاح طييفا : والله لا اسمع بمظالمة إلا وابذل دمي في سبيل رفعها عن صاحبها والله لا ارد عن بابي صاحب سؤال . اقول الحقيقة ، اننى قتت من امامه وعندي رهبة زائدة وحيرة مما اسمعه لى ، غير ان الايام جاءت بالغريب .



ضرب الامراء مشورة انطلقوا على طلوع طشتمر الجندار وسبقوا الخازندار . إلى السلطان كجك بن الناصر محمد بن قلاوون . ركبوا خيلهم . انهار في لوله . قبل الارض بين يدي السلطان . اخبر طشتمر والدمع يجرى من عينيه . الاحوال فسدت والامور اضطربت ما عاد للسادة حرمة في الديار . احمر وجه كجك . كان صغير السن . لم يمض عليه منذ اعتلائه السلطنة غير ايام . ما الخبر ؟ انخفض صوت طشتمر . نائب السلطنة يا مولاي اتى جرما عظيما وفعل موهولا . منع هدم ربع قديم . كان لابد من إزالته ليتمكن الامير القباي من بناء جامع . ولما رآه القباي في ذلك . قال طييفا ان البيت به سبعمائة نفس . اين يروحون ؟ تصور يا مولاي . يحول دون قبلم بيوت الله . الادهي من ذلك ينصف العامة على القباي . ضاعت هيبتنا بسببه . سبهم السلطان ثم قال . شوقوا يا امراء لا ليت حتى اشاور اهل الراي . صلحا ومن هم اهل الراي . مولاي السنا رجالك ؟ قال كجك بصوت خفيض : اوصانا والدنا بطييفا ثم انى لا لرى فيما اتاه ذنبا شنيعا . يا امراء تفكروا انه قول من رمى نفسه وغزى في آخر قلاع الكفار . قالوا وهما جزعان : وببت الله يا سلطان المسلمين يا حامي الدارين ! قال كجك امتحه ارضا خلاء من القطاى في الريدانية . .

هيا إلى العشاء . قام . في هذه الايام ازدادت قلمته طولا . عظمت مهلبته لم يسمع انسان في بر مصر يذكره مقرونا بقبحه . لو عدم

ملاحقته ، قام إلى فناء الدار رجال الصوفية من اتباع البطل المجاهد
سيدى احمد البدوى واتباع القطب سيدى الدسوقي وسيدى الرفاعى ،
عليهم جميعا افضل السلام ، احشرونا يارب فى ركبهم ، وعزز بأمثالهم
الاسلام ، العشاء ابلحه طييفا لكل ذى حيلة . اقول ان مطبخ الدار
ينجح كل يوم مئة رأس غنم وثلاثمئة طير ، غير الفلكة والنقل
والمشموم . يفتح المطبخ فى اليوم مرتين . ساعة الغداء يدخل الفقراء
والايتام فلذا ما فرغ الواحد منهم قام فيجىء غيره فى العصر ينفض
الغداء . غالبا ■ يحضر طييفا يكون مشغولا بالطواف فى الحواري
والاسواق يسمع لرباب الشكاوى والحلجات . يقض المنازعات ، اما
العشاء فيتصبر فيه المائدة . ينظر ضيوفه . يعرف واحدا لو اثنين .
الكل وجوه غريبة . لكنهم ينظرون إليه . عيونهم ترميه . تفرقه
ينظرات حب وحنان كأنهم يعرفونه من قبل ولادته . من سالف الزمان ،
كنت اواظب على المجيء . اما الشيخ سراج وغيره فاحتجبوا عنه
وصاحبه يلبغا ، بل سمعت من يقول . يلبغا يرمى صاحبه بالجنون .
سبحانك مغير النفوس والعقول . إذ ان طييفا عن ذلك ابعد ما يكون .
مال على وقال : دعوت طشتمر الجندار . ولقت اللقمة فى حلقى .
كيف ؟ لا يمر يوم إلا ويطلع القلعة . يحط فيك عند السلطان . سيقظن
الامر مكيدة لمسه . قال طييفا : وغيره كثيرون ليس بينى وبينه
ما يستحق هذا . طشتمر لم اجلسه فى حياتى . لا انكر شكله . قلت
لكنه يعرف كل كبيرة وصغيرة يا امير . ضحك طييفا . ويضيف اكثر مما
يعرف . قل انت ما الذى بينى وبينه ؟ اطرقت : والله لا اعرف . كلامك
يا طييفا بسيط . لكنه معجز عن الجواب واعر . دعاء الجلوس فى
المنى . قلت ربما حب العامة لك افسد عليهم حالهم . سألنى كيف ؟ قلت
الناس كلها تلهج الآن بذكرك . يقولون لو كلمهم على مثل طييفا لصار
الحال ولا فى الخيال . تراجع وبدا حشما مهيبا عليه حرمة زائدة .
لا افعل إلا ما يرضى ربي . قلت وعندى تتجلى لسلن . إذا كانوا
يطلعون القلعة ويدسون عليك ويحطون فى حقت الفارغ والملائن . اطلع
انت مرة واحدة إلى كجك ولا تقل اكثر من الحقيقة . قال بايجاز . لم

يطلبني . كنت اواصل الكلام ، سكنت ، لم احر جوابا ، الليل يوغل
 ناعما وطشتمر لم يصل . ربما قال ، يهينني طيبقا بدعوتي للاكل مع
 العوام ، تزايد صوت الصوفية حتى بدا كغيم الحلم في وجه السماء
 ساعة الغروب ، تربع طيبقا اغمض الجفنين بشجن يقطر من وجهة ،
 اصفى إلى العجوز الذى يتلو الاوراد ضربا عصاه الحديد بقطعة
 صغيرة ، يخرج احلى الانتقام . الدنيا مركب بلا ريلن ، بحر
 بلا سلطان . المسافرون فيها عميان ، نزلوا القيعان كمشوا وكان ، سيدنا
 حبيب الندمان ، أه يا حسين عليك الفضل الصلاة والسلام . جرى
 الدمع من عيون الرجال . احسست بقلب طيبقا مضيقا في اصعب حل ،
 يا شهيد يا حبيبى ، يامن افتدتك أم القلام ، ابنك مذبح في حجر
 وانت لم ندمان ، تطلعت حولى ، الجدران عليها مهابة . ماء الورد
 الاركان والحجارة لها عطر سلسبيل والله في الدماء رائحة البلسان . اود
 لو تعرف ما يقولون عنك يا امير ، كان ساهما ، يصفى بلحمه بعظمه ،
 بحسه ، بنفسه ، ولو راه الغريب لظن انه في ابعد واد . حرت فيما
 يفكر فيه ، أه لو انفذ إلى عقله فاعرف ، اقول الحقيقة ، الحيرة تاخذني
 امامه ، شق جوف الليل صوت زغاريد تلعلط من بعيد . ملت عليه ،
 طشتمر لم يكلف نفسه إرسال من ينوب عنه . سكنت ، سكنت ، قلت إنها
 إهانة . نظر إلى ، وكان الليل يدرك منا النخام ، سلامك الله يا ابن
 الحداد .



ركب قاضى الحنابلة فحلا قويا وقصد بين قاضى القضاة ، ترجل
 ودخل القاعة الكبرى . حيث جلس قاضى الحنفية ، وقاضى الشافعية ،
 وقاضى المالكية . يتصدر المجلس الشيخ عبد البر قاضى القضاة ،
 سلموا وتناقشوا في امور شتى حتى اثار قاضى الحنابلة حقيقة ما جاؤوا
 من اجله . منذ شهور مضت قل نصيب كل منهم من القضايا
 والشكاوى . صار القاضى يجلس في شرفته ليأمر وينهى . فلا يجد من
 يجيبه ويشكو إليه ، سرقة او خطف . او حتى قتل ، فيقوم الواحد

أخر للنهار كيسه خال من أى درهم رطلان . كلن بجىء من رسوم
المنازعات . ولما استقصوا فى الأمر . وجبوا شيئا فظيعا . الأمير طييفا
نائب السلطنة بدأ ينزل بنفسه الى الحوارى والطرفات يطلع الربوع
ويدخل الحفلات يسأل أرباب الحلجاء وحدث الكثيرون انه لوتى من
الفترة بحيث ينهى أشد الأمور تعقيدا فى ثوان ، حتى لهجت السنة
الناس بالسب ❧ حق القضية .

قال قاضى الحنفية . انه سمع قللا يتهم قاضى المالكية بقبول البرطيل
من الاموال فيغلب المظالم على المظلوم . صاح قاضى المالكية : انه ترامى
إليه من يتهم قاضى الحنفية بأن عينه حلفت فى امرأة شكت زوجها
عنده . علت الأصوات . اشتد الزعيق . بن الغضب فوق الجباه ، نزع
قاضى الحنابلة جيبه . لا اكون قاضيا بعد اليوم . إيش دخل طييفا فى
حوائج الناس ؟ رد عليه قاضى المالكية . لابد ان غرضه عظيم ، لم
يسمع بمثل هذا فى قديم الزمان . طييفا يخفى غرضا لئما هو تقويض
دعائم الاسلام . قالوا فى نفس واحد . نقيم عليه الحجة والبيضة انه
جدا فى حق مولانا رسول الانام . نجبر السلطان على الأمر برجعه .
أطرق قاضى القضية سكون أمره مكتنوقا مفضوحا . خاصة واللعين .
❧ يفوته فرض . يجمع حوله الدراويش . سألوا . ما العمل إذن والحال
منقلب . نخبه ان ما يفعله هذا يرمى إلى حسب العامة والأوباش .
عندئذ يسهل له الركوب على مولانا . هل شغتم أخيث منه . يدعى الزهد
ويعلم رجاله ❧ كل مكان . طييفا ان يبقى على مظلمة ويقتص للمظالم من
المظلوم . حتى إذا استطل أمره وعلا نجمه انظر ما عنده . فانهى
الملك . بالذمة يا مشايخ . هل سمعتم ❧ تاريخ دولة الترك بديل مصر
عن أمير يأخذ على علقه فض المظالم . يفتح بيته لأولاد الحرام . ياكلون
فيه ويشربون . قالوا والله ما سمعنا بمثل هذا . صاح شيخ الحنابلة
انه لو طى فسق . همس قاضى القضية تمسح وجهه ابتسامة لها رائحة
العنبر . ليس وقته يا شيخ أحمد . . ليس وقته . .

لم يكذب مبدء المؤمن في الأذان حتى علت ضجة وكبكة من ناحية جامع
 الحسين . ويذكر عبد الله يومئذ أن الكل قالوا طيبغا مقبل طيبغا قادم
 من ناحية أم الغلام ، سرى في الجمع كالماء في أرض الشراقي ، طيبغا
 وصل . مالت الرؤوس أصغت الأذان كان الأنفس في الصدور موج علا
 وهاج يذكر اسمه ، وفي صحن الجامع كانت الشمس تسطع والضوء في
 الفراغ يلعب ، دارت العيون ترمق الرجل الذي انتشر اسمه في سائر
 جهات مصر . حتى أن الكثيرين من الناس . تواضعوا إليه يشكون
 حالهم . وكثيرا ما يجيئه فلاحون . يقول الواحد منهم ، يا أمير اخذوا
 أرضي وشاقوا عني حملي ومالي . ولا أجد القوت فيرسل معه من رجاله
 ما يرد له أرضه . زعم الأمراء أن طيبغا كلن يهب كل من شرق وغرب ،
 يستجيب للناس مهما قالوا له حتى اختلت الأحوال . لكنني أقول وأنا
 واثق أن طيبغا لم يفصل في أمر إلا بعد تأكده وتحققه منه . ما علينا .
 أقول أن اليوم جمعة ، وطيبغا يرتدى الخشن من الثياب ، حوله
 رجال ، خليط فقراء وعامة جهلاء . ثلاثة أو أربعة من كبار الأغنياء -
 لزموه ولم يفارقوه . كان طول النهار يجول الطرقات . وشاب احدهم له
 طلوع في ظهره وصبره يصيح امامه . والعجيب أن صوته قوى جهورى
 حتى تخاله يطلع من غير جسمه . من له مظلمة لطيعرضها على نائب
 السلطنة طيبغا . يتقدم الناس منه . منذ يومين مشى في شوارع
 الصليبية . قام بنفسه بتسخير الأجبان والبيض ، والخضار
 والسنبوسك . وقد أثار هذا المحتسب . قال في رجاله وأنا باعمل إيش ؟
 لكنه لم يجرؤ على النزول ورفع السعر من بعد خفضه . ولو فعل لأكله
 الناس . وهذا من مآثر طيبغا فقد كلن المحتسب ظلما غشوما . يفرض
 الأسعار والمكوس على هواه لعنه الله . وإزال لجمه عن الإسلام .
 لم يكذب القاضي عبد البر يسلم وتنتهى الصلاة حتى التف القوم حول
 طيبغا يبتسمون له ببلالهم الكلام كأنه واحد من العوام . والله كنت
 أعيب عليه هذا . قلت يا أمير أنت كبير المقام فتعامل معهم باحتشام .
 غير أنه نثر في وقال : كلنا أولاد لحواء ولبناء لآدم . ثم هؤلاء العوام

عفيو السلطان ، ولو عرفهم الواحد منا لما قيل عنهم ما قيل . وتصلف
 في هذه اللحظة . ان خرج من الجامع ثلاثة امراء كانوا يصلون بجوار
 القاضي عبد البر اول الصفوف . القول الحقيقة كانت لهم هيبة يلبس كل
 منهم الكلفة والعبادة المزركشة . كانوا في غاية الابهة . الامير طشتمر
 الجندار - وسنقر الخازندار - ويلبغا وكان قد انقلب على طيبيغا وتباعده
 عنه . تهامسوا وتساءل طشتمر بانفه زائدة عن الزحام ، وتصلف في
 اللحظة ان واحدا من شلاق الناس صاح : انظروا الفرق بين الصالحين
 وبين ظلمة الاسلام . لغت القول اعتلق الناس ، سمعت من يقول اليس
 هذا (يقصد طيبيغا) من جنس هؤلاء ؟ قال آخر : اليس هذا (يقصد
 طيبيغا) اعلى ■■■ من هؤلاء ؟ .

اكتهرت وجوه الامراء من الغضب . صار الناس يرمونهم بجمل
 النظرات . تراهنوا فيما بينهم عما سيفعله طيبيغا . ثمة قاتل انه
 سيتقدم منهم ويسلم عليهم . وآخر يزعم انه سيدنومهم ويقطع
 هدومهم ويمرغهم في الوحل . بهدوء تكلم طيبيغا مع الخلق ، الامراء
 منه على مسيرة اقدام . لم يرم اليهم حتى بسلام ، ولا بدا عليه انه
 لحظهم ولا سمع الناس وهم يلوحون لهم . ويجهرون لهم بالكلام
 الفاحش المنكى .



.. (هات ما عندك) اطرق طشتمر . همس بصوت خفيض : الامير
 طيبيغا يا مولاي ! زعق السلطان : قلت لكم طيبيغا اوصلنا ابونا عليه
 وله عندنا حرمة فما اريد سماع الكلام فيه . الليل ناعم ، الدفء في
 للعروق والواصل . لين الحشايا يتسرب إلى الدم والمفاصل . همس
 طشتمر . صوته يزداد انكسارا اصغى الامراء كافة : اعرف يا مولاي .
 لكن نعي إلى حدث جلال . . . زم سلطاننا شفتيه . قال طشتمر . داب
 طيبيغا مدعى الزهد والصلاح على السهر في بيته يقرع اولاد الحرام
 كوسا من الخمر وفي ليل لمس طار دماغه حتى انه وقف في صحن داره
 وهو يصيح . لا تؤاخذني مولاي . . . خيم الصمت المهول على القاعة .

ارتجف النبيذ في الدنان . راح السكر من العقول . زعق السلطان : قل
ما عندك ! قال طشتمر والامى العظيم في صوته : وقف يا مولاي ونادى
بأعلى صوته هاتولى ققط . . هاتولى ققط . . انا عزيز ققط . طق
شرار الغضب من عيني السلطان كجك . رمى الدورق في الارض ضرب
جدار الرخام . طلب من طشتمر الكف عن الكلام .



لما شاع امر مخطوطة ابن الحداد . وانتشرت بين العوام والفقهاء
والمشايخ ومسائر الناس قام الشيخ الجليل والعالم التودعي الفضيل
احمد بن عبد المقصود الهندي بتأليف فصل في الرد على ابن الحداد .
ولد فضيلته عام ١٠١٦ ومازال يدرس الفقه ■ الأزهر الشريف . .
« **الهام أهل الفناء بالرد على ابن الحداد** »

اقول ولا ابتغي غير وجه الحقيقة . وإتق الصدق التائه في الليالي
القميئة . انه ما من موضوع طرقتي . وأخذ من الكد والجهد بقدر
موضوع ذاك اللعين النجمل الأمير طييفا لق سنقر من اينال . لقد
سمعت ما يتناقله عنه الجهال منذ ما يزيد عن مائتين من الاعوام .
ودفعني هذا إلى استجلاء الامر . فتبين لي انهم يحكون عنه الكثير
بلا اصل ولا سند . من ذلك قولهم ان السلطان كجك يس له السم
البطيء حتى قتله . وصيب هذا علمه ان طييفا صاح في احد مجالسه
هاتولى ققط . وقطقط هذه محتلية السلطان السودانية . ولابد ان هذا
صحيح . فابن الحداد نفسه يذكر اول كلامه عشق طييفا للجواري
السودان . اقول واستغفرك ربي انه بعد اطلاعي على مصادر كثيرة
ومؤلفات عديدة . ان طييفا لم يكن يهوى الجواري السودان . بل كان
يهيم ويعشق الفلمن السودان . كان فاسقا لعينا لا يستقيم له حال .
فكيف يتأتى له كل ما يقال من معجزات لا يصنفها عقل ولا حتى في
خيال .

اقول هل عجز السلطان عن قتله لو شئفه حتى يمس له السم
البطيء ؟

يقول ابن الحداد ان كجك خاف هياج العامة . وانهم صاروا بعد موت طييفا يلعنون كجك . وإذا ما سمعوا بركبه عتجها الى مكان اقبلوا عليه كالجراد المنتشر . يسمعونه فلعش الالفاظ . ويكون عليه في الكلام . حتى انهم في مرة كلوا يقتلونه مما اغضب السلطان . وامر بالقبض فيهم على ألف انسان ونحبهم تحت الليل . هكذا اسد طييفا الرعية على مولاها . وسبحان من له الدوام . ثم كيف يقتله السلطان وهو اول من عشى في جنزته . ولا اجدنى هنا سلخر من حكايات ابن الحداد التي صاغها عن ايام الوفاة . لخبث طييفا . اطل الله مدة احتضاره . فبلغت اربعين يوما كاملا . وهذا لم يحدث لمؤمن حق في غابر او حاضر الأزمان .

يزعم ابن الحداد ان العامة غصت بهم الدار . وقد الفلاحون من الأرياف جماعات جماعات . ينترون النذور للسيدة زينب . يتشفعون عند سيدي زين العابدين . وسافرت جماعات منهم الى سيدي المجاهد احمد البدوي . يسالونه ان يشفي طييفا .

قال ابن الحداد . اوصى طييفا بتوزيع إقطاعاته كلها على فقراء الفلاحين العوام بعد موته . حتى يستقينه . نخيله . ما يقع في زمانه من طرح النهر . اقول كيف يطلب الفلاحون له الشفاء وإطالة العمر . وهم ينتظرون موته لياخذوا أرضه . اليس هذا من تخطيط ابن الحداد ؟ ثم يطلع علينا هذا الفقيه المجنون المجاور . برواية غريبة عن يوم الوفاة . إذ يقول في الليلة التي طال احتضاره فيها . ونالت الدم من فمه خيوطا . قام واحد من دراويش الصوفية . صاح في الناس انه اغلى هنيئة . إذ به يرى في المنام شيخا مهيبا . جلبابه ابيض . ثقله عظيمة . يشك في انه الخضر عليه السلام . قال إذا كنتم تريدون لطيفا الشفاء . اقروا صحيح البخاري ثلاثة آلاف مرة . وسورة يس أربعة آلاف مرة بصوت عال . قال الدرويش هذا . بسرعة تضمن العوام . احضروا الفقهاء بدلوا يقرؤن في صحن الدار .

يقول ابن الحداد ، ان العوام ركبوا وراء الفقهاء ما يقرءون ، حتى ارتجت السماء رجاً مهولاً . ارتعشت المدينة من الفزع والرهبة . الطرقات انطرت خيم عليها رجفة ، حتى ان القلوب غاصت في الصدور ، وكانت ان ترمى كل ذات حمل حملها .

يزعم ابن الحداد ان كل واحد من الناس ، تمنى لو اعطى طيبفا من حياته لكن قبل طلوع النهار ، قبل انتهاء الفراء من التلاوة ، شهق طيبفا شهقة مريضة ، انخلعت لها قلوب الخلق ، طق رأسه فرخ جمر ، انحبس نفسه . وانكمم . قيل ان السماء اسودت سواداً حالكا ، ساعتها ودوت الفرقة من بعيد ، حتى ظن الحضور ان الدنيا عمت عليها القارعة ، وحانت النازلة ، وصرخت النساء وقفن يتعين طيبفا بالطارات . القول ان طيبفا هذا لو كان صالحاً فعلاً ، لو كان عارفاً بالاصول ، وراعياً للناس ، لكن شلى ببركة قراءة صحيح البخارى ، وتلاوة سورة يس المباركة ، وبفضل طلوع سيدنا الخضر عليه السلام في المنام .

يزعم ابن الحداد ان الحلوانية صنعوا تماثيل لطيبفا من السكر ، عللوهما في البيوت والحانات ، ومزال الجهال يشترونها ، وان العلامة بعد موت طيبفا لو حاققت بواحد منهم مظلمة ، صاح والله انى ذاهب إلى قبر طيبفا اشكو له الحال ، ولو كان بعيداً لارسل له الرقاق . وهذا عين الجهل . مما يؤكد ذكرناه من الاحوال . .

صدر المؤلف

● لوزاق شهاب عاش منذ ألف عام طبعة أولى ١٩٦٩ طبعة رابعة ١٩٨٠ مجموعة قصص

(طبعة خاصة دار صلاح الدين - للفنس المحللة)

● لرض - لوش - طبعة أولى ١٩٧٢ طبعة ثانية ١٩٨١ مجموعة القصص
● الزيفى برككت طبعة أولى ١٩٧٤ طبعة ثالثة ١٩٨٥ رواية
● الزويل طبعة أولى ١٩٧٥ طبعة ثانية ١٩٨٠ قصص

(طبعة خاصة من دار الاسوار - عكا)

● ولتاع حارة الزعفرانى طبعة أولى ١٩٧٦ طبعة ثانية ١٩٨٥ رواية
● الحصار من ثلاث جهات طبعة أولى ١٩٧٥ طبعة ثانية ١٩٨١ مجموعة القصص
● حكايات الغريب طبعة أولى ١٩٧٦ طبعة ثانية ١٩٨٢ مجموعة القصص
● ذكر ما جرى طبعة أولى ١٩٧٨ طبعة ثانية ١٩٨٠ " " " "
● الرافعى طبعة أولى ١٩٧٨ طبعة ثانية ١٩٨٠ رواية
● خطط الفيظلى طبعة أولى ١٩٨٠ رواية
● كتاب التجليات طبعة أولى ١٩٨٢ بيروت دار الوحدة
● (السفر الاول) طبعة أولى ١٩٨٢ القاهرة دار المستقبل
العربى

● كتاب التجليات (السفر الثانى) ١٩٨٥

● اتحاد الزمان بحكاية جيسى السلطان

● انحراف المدينة

● طبعة أولى ١٩٨٤ مجموعة قصص
● كتاب اليوم ١٩٨٤ مجموعة قصص

■ دراسات ومشاهدات :

■ المصريون والحرب ١٩٧٤

● حراس البوابة الشرقية ١٩٧٥

● نجيب محفوظ يذكر ١٩٨٠

● مصطفى امين يتذكر ١٩٨٣

● ملاحم القاهرة في الف عام ١٩٨٣

● اسبلة القاهرة ١٩٨٤

■ تحت الطبع :

● كتاب التجليات - السفر الثالث -

● ● ● ●

● ● ● ● ● كتابه اليوم ● أول مايو ● ● ● ● ●

أبناء الصمت



للأديب القصصى :

مجيد طوبيا



إفمان العين ؟ ضنون مائتية ؟

الذكرى تكلوى ملاك الموت الفصيح ؟

الوليف ؟ الوباء للرمدى ؟

● ● ● ● ● ترقب صدوره ● ● ● ● ●



أحلى وأشهى ما يقدم

منتجات

كورونانا
Corona

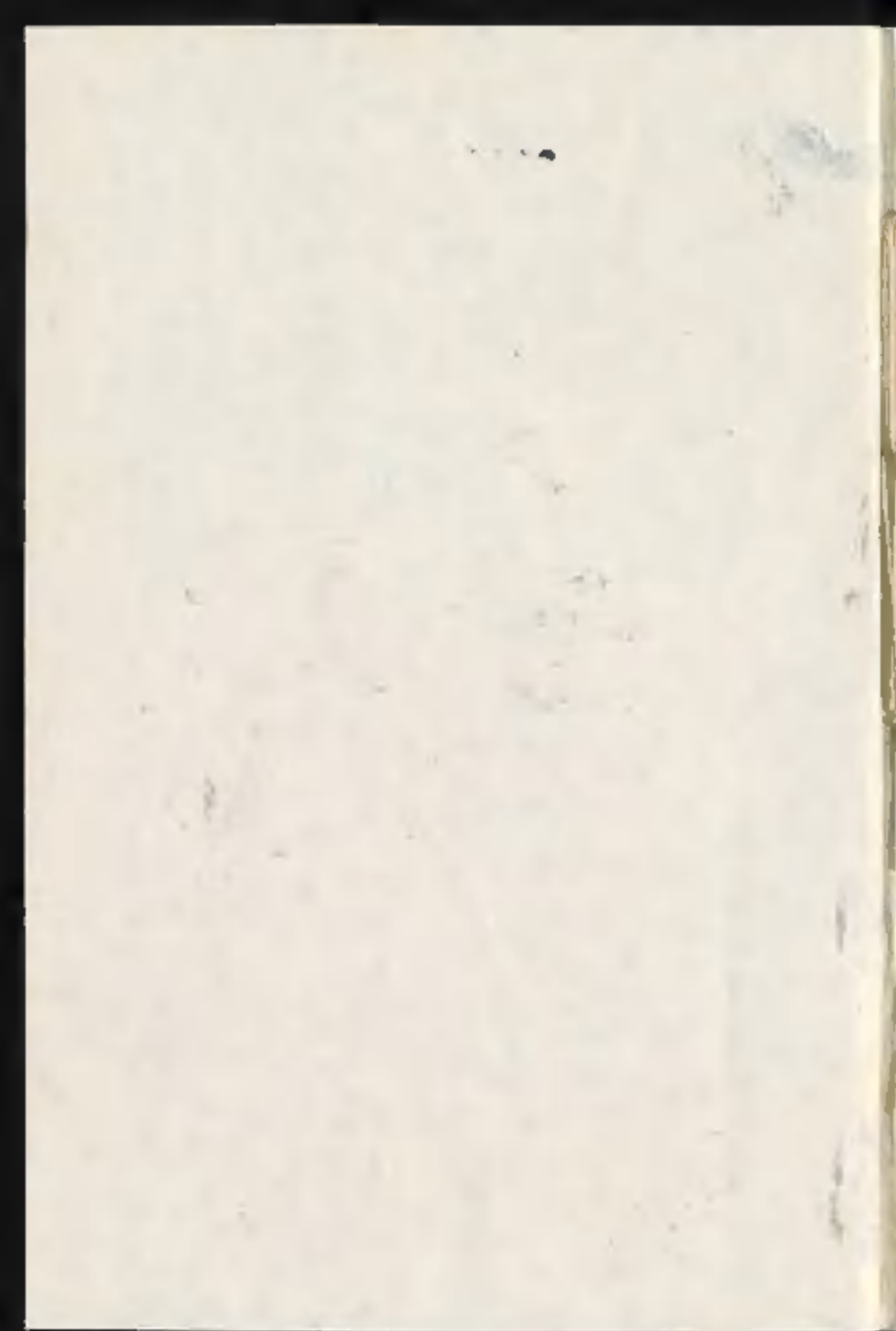


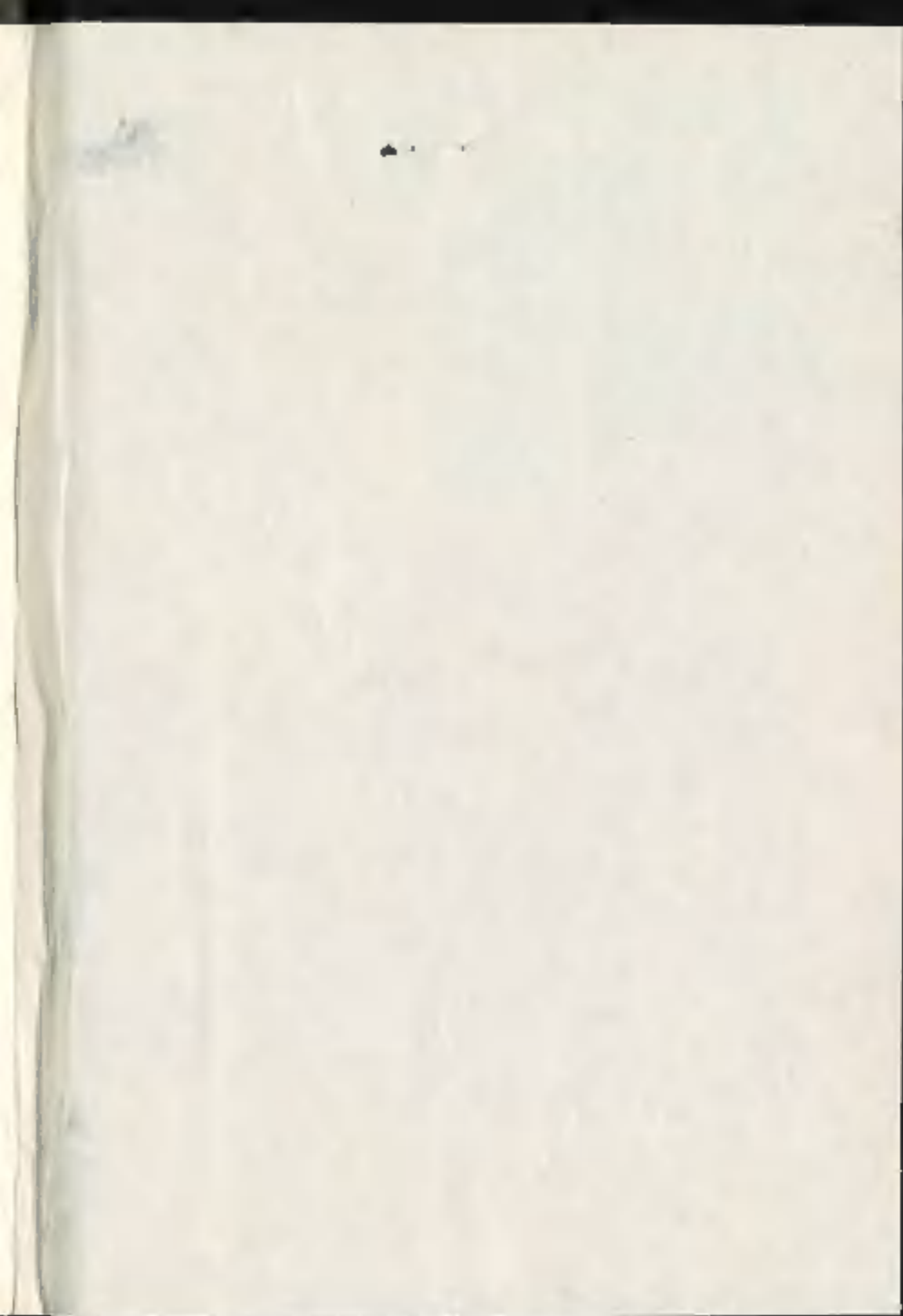
• كوكيت لسان
• مشروبات لذيذة في قلوب هدية
• تشكولاتة الفخامة
كورونانا
• من أجلكم

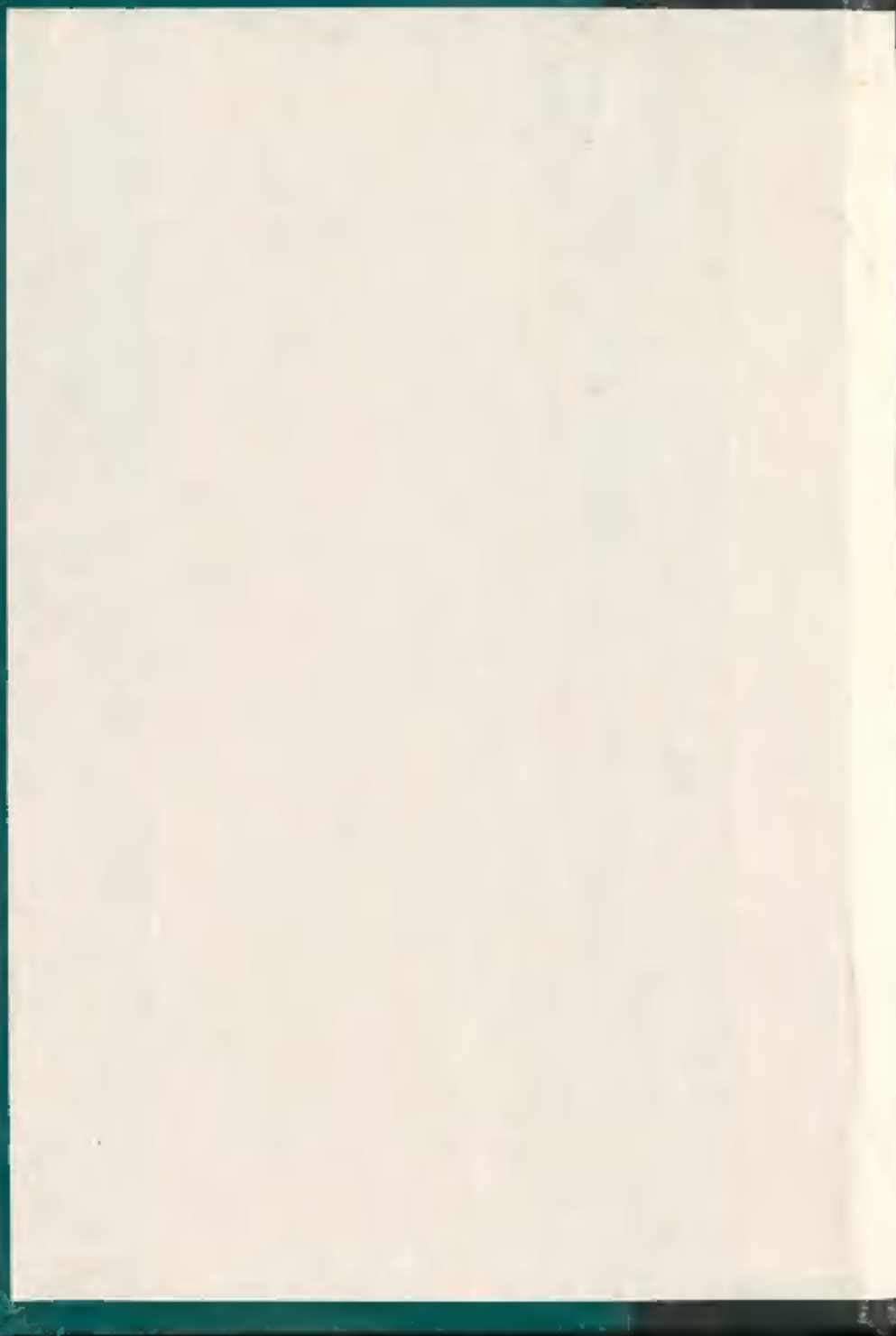


إنتاج شركة الإسكندرية للأحلى والسيكولاتة
شارع قنصل لعمودية الإسكندرية

٥٠ قرشا







PJ
7826
H67
A75
1985